جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

السيرة النبوية

سُبل الهُدى والرّشاد
في سيرة خير العباد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

تحقيق
الدكتور مصطفى عبد الواحد

الجزء الثاني

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

جماع أبواب صفة جسده الشريف
صلى الله عليه وسلم

أفرد الحافظ أبو الخطاب ابن دِحْية كتابا سماه : « الآيات البيّنات فيما فى أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات » وسأذكر خلاصته فى المعجزات مع زوائد كثيرة ، والمقصود منه هنا بيان صفة جسده الشريف صلى الله عليه وسلم فقط وقد أذكر شيئا من الآيات لزيادة الفائدة

الباب الأول

فى حُسْنه صلى الله عليه وسلم

اعلم رحمنى الله وإياك أن الله سبحانه وتعالى أنشأ النفوس مختلفة ، فمنها الغاية فى جَوْدة الجَوْهر ، ومنها المتوسط ، ومنها الكَدِر . وفى كل مرتبة درجات . فالأنبياء صلى الله عليهم وسلم هم الغاية ، خلقت أبدانهم سليمة من العَيْب فصَلحت لحُلول النفس الكاملة ، ثم يتفاوتون . فكان نبينا صلى الله عليه وسلم أصلح [1] الأنبياء مزَاجا وأكملهم بدَنا وأصْفاهم رُوحاً ، وبمعرفة ما نذكره من صفاته صلى الله عليه وسلم وأخلاقه يَتبين ذلك إن شاء الله تعالى .

روى الشيخان عن البَرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنهما قال : لم أرَ شيئا أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]

البَرَاء بفتحتين مخفَّفا .

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجلٌ حسَن الجسم [3] .

وقالت أُمُّ مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجملَ الناس [وأبْهَاهُ] [4] من بعيد وأحْلاَهُ وأحسنه من قريب [4] .

رواهما البيهقى .

---

(١) ط : أصح .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢١٩ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ ونصه : « ما رأيت شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١ ٩٧ (تحقيق السيد صقر) والرواية عن رجل من بلعدوية قال حدثنى جدى .

(٤) من دلائل النبوة للبيهقى ١/٢٣٠

وقال جابر ابن سَمُرة - بسين مهملة مفتوحة فميم مضمومة فراء - رضى الله تعالى عنه : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة إضْحيان وعليه حُلَّة حَمْراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر [1] فلهو [2] أحسن فى عينى من القمر .

رواه الترمذى والنسائى [3] .

وقال البرَاء رضى الله تعالى عنه : ما رأيتُ من ذى لِمّة فى حُلة حَمْراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

رواه مسلم وأبو داود[4] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس صفةً وأجْمَلَها .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال طارق بن عُبَيْد رضى الله تعالى عنه : أقبلنا ومعنا ظَعِينة حتى نزلنا قريبا من المدينة ، فأتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الظَّعِينة : مارأيت وجهًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه صلى الله عليه وسلم

رواه إبراهيم الحَرْبى فى غريبه وأبو الحسن ابن الضحاك فى الشمائل وابن عساكر .

وقال أبو إسحاق الهَمْدانى - وهو بفتح الهاء وسكون الميم ودال مهملة - لامرأة حجَّتْ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : شبِّهيه لى : قالت : كالقمر ليلة البَدْر ولم أرَ قبله ولا بعده مِثْله .

رواه يعقوب بن سفيان[5] .

وقال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر للرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ رضى الله تعالى عنها : صِفِى لى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا بنىّ لو رأيته لقلت الشمس طالعة .

---

(١) غير ط : والقمر .

(٢) ص : فإذا هو . و ت م : فهو . وما أثبته من ط .

(٣) شرح شمائل الترمذى للقارى ١ ٥٦

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٥٢ وسنن أبى داود كتاب اللباس باب رقم ١٧

(٥) شمائل الرسول لابن كثير ص ٨

رواه الدارمىّ ويعقوب[1] .

قال الطِّيبىّ رحمه الله تعالى : قولها : « لقلت الشمس طالعة » أى لرأيت شمسًا طالعة ، جرَّدتْ من نفسه الشريفة شَمْسا[2] وهى هى ، نحو قولك لئن لَقِيتَه لتَلْقينَّ أَسَدا ، وإذا نظرت إليه لم تر[3] إلا أسدا .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : ما رأيت شيئًا قط أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَنَّ الشمس تجرى . وفى لفظ : تخرج . من وجهه .

رواه الإمام أحمد والترمذى وابن حِبّان وبَقِىّ بن مَخْلَد . وسنده على شرط صحيح مسلم[4] .

قال الطِّيبىّ : شبَّه جرَيان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم . ومنه قول الشاعر :

يَزِيدك وجهُه حُسْنًا إذا ما زِدْتَه نَظَرا

وفيه أيضا عكس التشبيه للمبالغة . ويجوز أن يقدَّر الخبر الاستقرار[5] ، فيكون من باب تناسى التشبيه ، فجعل وجهه صلى الله عليه وسلم مقرا ومكانا لها . ويحتمل أن يكون فيه تناهى التشبيه جعل وجهه مقرًّا ومكانا للتشبيه[6] .

ولله در القائل

لِمَ لا يضىء بك الوجودُ وليله فيه صَباحٌ من جمالك مُسْفِرُ
فبشَمْس حُسْنك كلُّ يوم مُشْرقٌ وببدر وجهك كلُّ ليلٍ مُقْمِرُ

---

(١) شمائل الرسول لابن كثير ص ٨ . قال : ورواه البيهقى من حديث يعقوب بن محمد الزهرى عن عبد الله بن موسى التيمى بسنده .

(٢) كذا فى ط وفى بقية النسخ : نفسا .

(٣) ص ت م : لم أر .

(٤) مسند أحمد ٢/٣٥٠ ، ٣٨٠ وشمائل الرسول لابن كثير ص ١٥ .
وشمائل الترمذى (بشرح ابن جسوس) ١/١٤٣ .

(٥) ط : ويجوز أن يكون محل الاستقرار .

(٦) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : للشمس

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط ، إلا غلَب ضوؤه ضوء السراج .

رواه ابن الجوزى[1]

وقالت أُم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وَسِيمًا قَسِيماً .

رواه الحارث بن أَبى أُسامة .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : كلَّ شىء حَسَن قد رأَيتُ ، فما رأَيت شيئا قط أَحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر[2] .

وقال أَبو قِرْصافة ـ بكسر القاف وسكون الراء بعدها مهملة وفاء ـ واسمه جَنْدرة ـ بفتح[3] أَوله ثم نون ساكنة ثم مهملة مفتوحة ـ ابن خَيْشَنَة بمعجمة ثم تحتانية ثم معجمة ثم نون ـ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن الوجه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارع الجسم .

رواه ابن عساكر[4] .

تنبيهان

الأول : قال ابن المنيِّر والزركشى وغيرهما فى قوله صلى الله عليه وسلم فى يوسف : أُعْطى شَطْر الحسْن يتبادر إلى أَفهام بعض[5] الناس أَن الناس يشتركون فى الشطر الآخر . وليس كذلك ، بل المراد أَنه أُعطى شطر الحُسْن الذى أُوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإنه بلَغ النهاية ويوسف بلغ شطْرها . ويحققه ما رواه الترمذى عن قَتَادة والدارقطنى عن أَنس رضى الله تعالى عنهما قال : ما بَعث الله نبيًّا إلا حسَن الوجه حسَن الصَّوْت ، وكان نبيُّكم أَحسنَهم وجهًا وصوتًا[6] »

---

(١) الوفا لابن الجوزى ٢/٤٠٧

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٠ بمعناه .

(٣) ص ت م : واسمه جنده بضم أوله . وما أثبته من ط .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٣ .

(٥) ط : إلى أفهام الناس .

(٦) شرح شمائل الترمذى للقارى ٢/١٤٣

وقال نفطويه رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : « يكاد زَيْتها يُضيء ولو لم تَمْسَسْه نارٌ » هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول : يكاد نظره يدل على نبوته وإن لم يَتْل قرآنا . كما قال ابن رواحة رضى الله تعالى عنه :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنة كانت بَدَاهته[1] تُنْبيك بالخَبرِ

وقال القرطبي رحمه الله تعالى قال بعضهم : لم يظهر لنا تمامُ حسنه صلى الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمامُ حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم . ويرحم الله تعالى الشرف البوصيرى حيث قال :

فهو الذى تمَّ معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبًا بارئ النَّسَم
مُنَزَّه عن شريكٍ فى محاسنه فجوهر الحسْن فيه غير مُنْقسم

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

أعيَا الورَى فهمُ معناه فليس يُرَى للقُرْب والبعد فيه غير مُنْفَحمِ
كالشمس تظهر للعينين من بُعْد صغيرةً وتُكِلّ الطَّرْف من أَمَمِ

وهذا مثل قوله رحمه الله تعالى :

إنمـــا مثَّلوا صِفَاتِك لِلناسِ كما مَثَّل النجومَ المَـــاءُ

ويرحم الله تعالى الشرف ابن الفارض حيث قال :

وعلى تَفَنُّن واصِفيه بِحُسْنه[2] يَفْنى الزمانُ وفيه ما لم يُوصَفِ

وسيدى على بن وفا[3] حيث قال رحمه الله تعالى :

كم فيه للأبصار حُسْنٌ مُدْهشٌ كم فيه للأرواح راحٌ مُسْكرُ
سبحان من أنْشَاه من سبحَاته بشَّرا بأسرارِ الغيوب يُبَشِّرُ

---

(١) ط : بديهته .
(٢) ص : بوصفه .
(٣) غير ط : ابن أبي وفا . ولعلى بن محمد وفا ترجمة طويلة في طبقات الشعرانى ٢/٢٠ وهو ابن محمد وفاهن أكابر العارفين . وسمي وفا لوفاء النيل ببركته .

قاسوه جَهْلا بالغـــزال تغزّلا هيهات يُشْبهه الغزال الأَحْورُ
هـــذا وحقّك ماله من مُشْبِه وأرى المشبِّه بالغزالة يكفرْ
يأْتى عظيمَ الذنب فى تشبيهه لولا لِرَبِّ جمالِه يَسْتغفـــرُ
فخِر المِلَاحُ بحُسْنهم وجمَالهم وبحسنه كلُّ المحاسن تفخـــرُ
فجماله مَجْلىً لـــكل جميـلة وله مُنَار كل وجـــه نَيِّرُ
جنات عَدْن فى جَنى وجنـــاته ودليله أن المراشف كوثـــرُ
هيهات أَلهو عن هواه بغيره والغير فى حشر الأَجانب يُحْشرُ
كتَب الغَرامُ علىَّ فى أَسفاره كُتُبا تُؤوَّل بالهوَى وتُفسَّـــرُ
فدَع الدَّعىَّ وما ادّعاه من الهوى فدَعِيُّه بالهُجْر فيه يُهْجَـــرُ
وعليك بالعَلَم العليم فإنـــــه لخطيبه فى كل خَطْب مِنْبَـــرُ

* * *

الثانى : فى تفسير غريب ما سبق .

إضحيان – بهمزة مكسورة فضاد معجمة ساكنة فحاء مهملة مكسورة فمثناة تحتية : أى مقمرة مضيئة من أولها إلى آخرها .

اللِّمَّة : بالكسر شعر الرأس المجاوز شَحْمة الأُذن فإذا بلغ المنكبين فهو الجمّة والجمع لِمَم .

الظَّعينة : قال فى النهاية : أَصل الظَّعينة الراحلة التى تُرْحل ويُظْعَن عليها أَى يسار . وقيل للمرأَة ظعينة لأَنها تَظْعن مع الزوج حيثما ظعَن ، أَو لأَنها تُحمل على الراحلة إذا ظعنت . وقيل : الظعينة المرأَة فى الهودج ، ثم قيل للهودج بلا امرأَة ، أَو للمرأَة بلاهودج : ظعينة .

الرُّبَيِّع : بالتصغير والتشديد . مُعَوِّذ : بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو .

الوَسِيم : المشهور بالحسن كأَن الحسن صار له علامة . وقال فى النهاية : رجل قَسِيم الوجه أَى جميل كله كأَن كل موضع منه أَخذ قسما [1] من الجمال .

والوسيم : الحسَن الوَضىء الثابت .

---

(١) ط : أخذ شيئا .

الباب الثانى

فى صفة لونه صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللَّون ليس بالآدَم ولا بالأَبيض الأَمْهَق .

متفق عليه [1] .

وفى رواية لمسلم : كان صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا بحُمْرة .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صِيغ من فضة .

رواه الترمذى [2] ورواه ابن عساكر من حديث أنس .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا حُمْرة .

رواه الإمام أحمد [3] والترمذى والبيهقى من طرق .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا حُمرة .

رواه ابن عساكر .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهر اللون ليس بالأَبْيَض الأَمْهق [4]

---

(١) صحيح البخارى ٢ ٢١٩ (من حديث طويل) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١١٣ .
(٢) شمائل الترمذى ١ ٥٨ بشرح القارى . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣١٩
(٣) مسند أحمد ١ ١١٦ وشرح شمائل الترمذى ١/٣١ .
(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٠ .

رواه ابن عساكر من طرق .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض اللون مُشْربا حُمْرة.

رواه ابن عساكر .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس لَوْنًا .

رواه ابن عساكر .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا بحمرة .

رواه ابن سعد وابن عساكر .

وقال أبو أُمَامة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض[1] تخالطه حمرة.

رواه ابن عساكر[2] .

وقال أبو الطُّفَيْل رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيح الوجه .

رواه الإمام أحمد ومسلم ويعقوب بن سفيان .

وفى رواية لأحمد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيحا مُقَصَّدا .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللون .

رواه البيهقى[3]

---

(١) ص ت م : رجل أبيض . ولعله تحريف . وما أثبته من ط .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٢ ونصه : « تعلوه حمرة » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٣ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس لَوْنًا .

رواه ابن الجوزى [1] .

وقالت أُمُّ مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر الوضاءة

رواه البيهقى .

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْوَر المتجرَّد .

رواه الترمذى[2] والبيهقى .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أُهدِى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شَمْلَة سوداء فلبسها ، وقال : كيف تَرَيْنها علىّ يا عائشة ؟ قلت ؛ ما أَحْسنَها عليك يا رسول الله ! يَشُوب سوادَها بياضُك وبياضُك سوادَها .

رواه ابن عساكر[3] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : روى الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان والبزار وابن حبان والحاكم وصححه الحافظ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْمَر اللون[4] .

ورواه البيهقى من وجه آخر بلفظ : كان بياضه إلى سُمْرة [5] وعند الإمام أحمد بسند حسن : أبيض إلى سُمْرة[5] .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ٢/٤٠٥

(٢) شرح شمائل الترمذى للقارى ١/٤٨ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٤ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٠ وقال : تفرد به خالد الطحان عن أنس .

(٥) ط : إلى السمرة .

وروى ابن أبي شَيْبة عن شيخه هَوْذة والإمام أحمد عن شيخه محمد بن جعفر وأبو نُعَيْم عن رَوْح قالوا أنبأنا عوف بن أبي جميلة عن يزيد[1] الفارسي رحمه الله تعالى قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام فذكرتُ ذلك لابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال : صِفْه لي . فذكر الحديث : وفيه : أَسْمَر إلى البياض . قال ابن عباس : لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا[2] .

وروى أبو بكر بن أبي خَيْثمة عن شيخه هَوْذة ، وأبو نُعيم من طريق الحارث بن أبي أُسامة عن شيخه رَوْح ، كلاهما عن عوف عن يزيد . وذكر الحديث ولفظه : أحمر إلى البياض.

قال الحافظ : وتبيَّن من مجموع الروايات أن المراد بالسُّمْرة : الحمرةُ التي تخالط البياضَ ، وأن المراد بالبياض المُشْبَت : ما تخالطه الحمرة . والمَنْفيّ ما لا تخالطه ، وهو الذي تكره العرب لوْنه وتسميه أَمْهَق .

وقال ابن أبي خيثمة : ولَوْنه صلى الله عليه وسلم الذي لاشك فيه : الأبيض الأزهر ، المشْرَب من حُمْرة وإلى [3] السمرة ما ضحَى منه للشمس والريح ، وأما ما تحت الثياب فهو الأبيض الأزْهر .

وتعقَّبه بعضهم بأن أنَسًا لا يخفى عليه أمرُه حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقُرْبه منه ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم ملازما للشمس . نعم لو وصفه بذلك بعضُ القادمين ممن صادَفه في وقت غيَّرته الشمس لأمكن ، فالأَوْلى حَمْلُ السُّمْرة في هذه الرواية على الحُمْرة التي تخالط البياض ، أي كما سبق في كلام الحافظ .

قلت . قوله إن أنسًا لا يخفى عليه . إلخ يقال عليه : قد وصفه أنس بأنه صلى الله عليه وسلم أزْهر اللون ليس بالآدَم ، كما تقدم أول الباب ؛ وهو حديث أصح من هذه الروايات . وتابعه غيره على هذه الرواية .

---

(١) ص ت م : عند زيد . وما أثبته من ط .
(٢) مجمع الزوائد ٨/٢٧٢ . قال : ورجاله ثقات .
(٣) ص ت م : إلى السمرة . وما أثبته من ط .

وقال الحافظ أبو الفضل العِراقى : فى قوله : « أسمر اللون » : هذه اللفظة تفرَّد بها حُمَيْد عن أنس ، ورواها غيره عنه بلفظ « أَزْهَر اللون » .ثم نظَرْنا من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير أنس ، فكلهُم وصَفوه صلى الله عليه وسلم بالبياض دون السُّمرة ، وهم خمسة عشر صحابيًّا .

قلت : سمَّى أبو الحسن ابن الضحاك فى كتاب الشمائل منهم : أبا بكر وعمر وعليًّا وأبا جُحَيْفَة وابن عمر وابن عباس وهند بن أبى هالَة والحسن بن على وأبا الطُّفَيْل ومُخَرِّش[1] الكَعْبى وابن مسعود والبرَاء بن عازِب وسعد بن أبى وقَّاص وعائشة وأبا هريرة وذكر أحاديثهم وأسانيدهم[2] العشرة . ثم قال : وما رواه أنس مما يوافق الجمهور أَوْلَى وأصح وهو الذى ينبغى أن يُرْجع إليه ويعَوَّل عليه .

وأما رواية أبى يزيد الفارسى : أنه صلى الله عليه وسلم أسمر إلى البياض : فخطأ فى الرواية ، والصواب الرواية الثانية .

* * *

الثانى : وقع فى زيادات المسْنَد لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ، عن على رضى الله تعالى عنه : أبيض شديد الوضَح . وفى حديث أبى هريرة عند البزَّار ويعقوب بن سفيان بسند قوى : كان صلى الله عليه وسلم شديد البياض . وهذا مخالف لقول أنس أول الباب : وليس بالأَمْهَق . ولرواية مسلم عنه : أبيض مُشْربا بحُمْرة : وهما أصح منهما . ويمكن الجمع بحَمْل ما ذكر على ما تحت الثياب مما لا يَلْقَى الشمس .

الثالث : وقع عند أبى زيد الْمَرْوَزِىّ أحد رواة الصحيح عن أنس : أَمْهَق ليس بالأبيض

---

(١) هو مخرش بن سويد بن عبد الله بن مرة الخزاعى . ومخرش بالخاء والحاء . قال الزمخشري : الصواب بالخاء . وانظر شرح المواهب للزرقانى ٤/٢٢٠ .

(٢) ط : بأسانيدهم .

واعترض الداودىّ الشارح هذه الرواية . وقال القاضى إنها وَهْم . وقال : لعل الصحيح رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا بالآدَم .

قال الحافظ : وهذا ليس بجيّد لأن ؛ المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا الآدم[1] الشديد الأدمة وإنما يخالط بياض الحمرة . والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر . ولهذا جاء فى حديث أنس أى السابق : كان صلى الله عليه وسلم أسمر .

قال الحافظ : وتبين من مجموع الروايات أن رواية المروزى : أمهق ليس بالأبيض» مقلوبة : على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذى ليس بياضه فى الغاية ولا سُمْرته ولا حمرته . فقد نُقل عن رُؤْبة أن المهَق[2] خُضْرة الماء فهذا التوجيه على تقدير ثبوت الرواية وقد جاء فى عدة طرق أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض.

* * *

الرابع : نقل القاضى عن أحمد بن أبى سليمان صاحب سحْنُون رحمهما الله تعالى أن من قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أسود . يُقْتل . انتهى .

قال بعضهم : وهذا يقتضى أن مجرد الكذب عليه فى صفة من صفاته كُفْر يوجب القتل . وليس كذلك ، بل لابد من ضَمِيمة ما تشعر بنقص كما فى مسألتنا هذه فإن السواد مَفْضول .

* * *

الخامس: فى بيان غريب ما سبق : الأزْهَر : الأبيض المستنير المشرق وهو أحسن الألوان أى ليس بالشديد البياض .

الآدم : الشديد السمرة .

---

(١) ط : أو الآدم .

(٢) ص ت م : أن الأمهق . وما أثبته من ط .

الأَمْهق : الشديد البياض الذى لا يخالطه شيءٌ من الحمرة وليس بنيِّر كلون الجصّ أو نحوه .

الإشراب : خَلْط لون بلون كأن أحد اللونين سقى الآخر لونه ، يقال : بياض مُشْرب حُمْرة بالتخفيف . فإذا شُدِّد كان للتكثير والمبالغة .

المُقَصَّد : من الرجال الذى ليس بجسيم ولا طويل .

ظاهر الوَضَاءة : أى الحسن والجمال .

أَنْوَر المتجرَّد : بجيم وراء مشددة مفتوحتين : ما كشف عنه الثوب من البدن ، يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان مشرق الجسد نيِّر اللون فوضع الأَنور موضع النير .

الباب الثالث

فى صفة رأسه وشعره صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس .

رواه البخارى[1] . ورواه أبو الحسن ابن الضحّاك عن جبير بن مُطْعِم . ورواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر . من طرق عن على رضى الله تعالى عنه . ورواه من طريق عنه بلفظ : عظيم الرأس .

وروى الترمذى عن هند بن أبى هالة والبيهقى عن على رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة رَجْل الشعر إن افترقت عَقِيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعرُه شحمة أذنه إذا هو وفَّره[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجَعْدٍ قَطط ولا سَبْط ، كان رَجْلا .

رواه الشيخان[3] والترمذى والنسائى .

وقال جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس رَجْله .

رواه ابن أبى خيثمة .

وقالت أم معبد رضى الله تعالى عنها فى صفته صلى الله عليه وسلم : ولا تُزْرِيه صُعْلة .

---

(١) لم أجده فى صحيح البخارى . وهو فى مسند أحمد ١/٨٩ ، ٩٦ ، ١٠١ ورواه الترمذى فى شمائله عن البخارى شرح الشمائل ١/١٩

(٢) شرح شمائل الترمذى للقارى ١/٤٢ .

(٣) صحيح البخارى ٢/٢١٩ وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٤ .

رواه الحارث ابن أبي أُسامة[1] .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يُؤْمَر فيه لشيء وكان أهل الكتاب يَسْدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم . فسدَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم فرَق بعده .

رواه الستة [2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرًا بين شعْرين ، لارَجْل سَبْط ولا جَعْد قَطَط ، وكان بين أُذنيه وعاتقه .

وفى رواية : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنصَاف أُذنيه .

متفق [3] عليه .

وقال على [بن حُجْر] [4] رضى الله تعالى عنه : لم يكن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجَعْد القَطط ولا السَّبْط كان جَعْدًا رَجلا .

رواه مسلم والبيهقى [5]

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : « أنا فرَقْت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسَه صدَعْت فَرْقه عن يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه .

رواه [6] ابن إسحاق وأبو داود ، وابن ماجه ولفظه : « كنت أَفْرق خَلْف يافوخ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثم أَسْدِل ناصيتَه» .

---

(١) مجمع الزوائد ٦/٥٧ ، ٨/٢٧٩ قال الهيثمى : رواه الطبرانى وفيه عبد العزيز بن يحيى المدينى ونسبه البخارى وغيره إلى الكذب . وقال الحاكم : صدوق . فالعجب منه . وفيه مجاهيل .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢٢٠ (ط الأميرية) .

(٣) صحيح البخارى كتاب اللباس ٤ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٦ .

(٤) من دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٧

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٧ .

(٦) سنن أبي داود (٢/١٢٦ ط الهورينى) كتاب الترجل باب رقم ١٠ ومسند أحمد ٦/٩٠ ، ٢٧٥ .
وسنن ابن ماجه حديث رقم ٣٦٣٣ (ط عبد الباقى) .

وقال البَراء رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منكبيه . رواه الشيخان [1].

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوَفْرة ودون الجُمَّة .

رواه أبو داود والترمذى [2] .

وقالت أم هانئ رضى الله تعالى عنها : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أربعُ غدائر : يعنى ضفائر .

رواه الترمذى وأبو داود بسند جيد[3] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امتشط بالمشط كأنه حُبُك الرِّمال.

رواه أبو نُعَيْم .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أُذنيه وعاتقه .

رواه مسلم [4] .

وروى عبد المجيد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوةً له يوم اليَرْموك فطلَبها حتى وجدها وقال : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناسُ جوانبَ شَعْرِهِ فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا رُزقْت النَّصْر .

---

(١) صحيح البخارى ٤/٣٣ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ ونصه : « شعره يضرب منكبيه » .

(٢) سنن أبى داود كتاب الترجل باب رقم ١٠ وصحيح الترمذى ١/٣٢٦ كتاب اللباس . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وهو فى شمائل الترمذى أيضا . شرح الشمائل ١ ٩٢ .

(٣) شرح شمائل الترمذى ١/٩٤ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٤ .

رواه سعيد بن منصور

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رمىَ جَمْرة العَقَبة[1] نحَر نُسكه ثم ناول الحالق شقَّه الأيمن فحلقه فأعطاه أبا طلحة ثم ناوله شقه الأيسر فقال : اقسمه بَيْن الناس .

رواه الشيخان [2] .

وفى رواية لمسلم : « فلقد رأيته والحلاق يحلقه فطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شَعْرةٌ إلا فى يد رجل .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا وَفْرة .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن الشعر .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدَ سواد الرأس واللحية .

رواه ابن عساكر[5] . ورواه أبو الحسن ابن الضحاك وغيره عن رجل من الصحابة من بنى كنانة .

وروى إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهب : أرسلنى أهلى إلى أُمِّ سَلَمة زَوْج النبى صلى الله عليه وسلم بقدَح من ماء - وقبض إسرائيلُ ثلاثَ أصابع - فجاءت بِجُلْجُل من فضة[6] فيها شَعْر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا أصاب أحدًا

---

(١) ط : لما رمى الجمرة . وهى موافقة لرواية مسلم والترمذى .
(٢) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٣٢٦ . وصحيح الترمذى ١/١٧٢ كتاب الحج .
(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .
(٤) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ .
(٥) ليس فى تهذيب ابن عساكر المطبوع : وفيه عن أبى قرصافة : كان شديد سواد الشعر .
(٦) كذا ويأتى فى تفسير الغريب : من قصة . بالقاف والصاد .

من الناس عين أو شيء بعث إليها بخضِّه[1] ، فاطلعتُ فى الجُلْجل[2] فرأيت شعرات حُمْرا[3]

رواه البخارى[4] واللفظ للحميدىّ فى جَمْعه

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : حاصل الأحاديث السابقة : أن شَعْره صلى الله عليه وسلم كان جُمَّة وَفْرة لِمَّة ، فوق الجُمَّة ودون الوفرة عَكْسُه . فالوَفْرة - بفتح الواو وإسكان الفاء : مابلَغ شحمةَ الأُذن . واللِّمة - بكسر اللام : ما نزَل عن شَحْمة الأُذن ، والجُمَّة - بضم الجيم وتشديد الميم - قال الجوهرى رحمه الله تعالى : هى مُجْتَمع شعر الرأس وهى أكثر من الوَفْرة ما نزل عن ذلك إلى المنكبين .

هذا قول جمهور أهل اللغة وهو الذى ذكره أصحاب المُحْكَم والنهاية والمَشارق وغيرهم . واختلف فيه كلام الجوهرى . فذكره على الصواب فى مادة « لَمَم » فقال : واللِّمة - بالكسر : الشعر ، المتجاوز شحمة الأُذن ، فإذا بلَغت المنكبين فهى الجُمَّة . وخالف ذلك فى مادة « وَفَر » فقال : والوفرة إلى شحمة الأُذن ثم الجُمَّة ثم اللِّمة . وهى التى ألَمَّت بالمنكبين[5] . انتهى .

قال الحافظ أبو الفضل العراقى رحمه الله تعالى : وما قاله فى باب الميم هو الصواب وهو الموافق لقول غيره من أهل اللغة . ولا جَمْع بين رواية : (فوق الجمة ، ودون الوفرة) وهى عند الترمذى ، والعكس رواية أبى داود وابن ماجة ، وهى الموافقة لقول أهل اللغة ، إلا على المحمل الذى تؤول عليه رواية الترمذى ، وذلك أنه قد يراد بقوله : « دون » بالنسبة إلى محل وصول الشعر . فرواية الترمذى محمولة على هذا التأويل : أن شعره كان فوق الجمّة أى أرفع فى المحل . فعلى هذا يكون شعره لَمَّة ، وهو ما بين الوَفْرَة ،

---

(١) كذا والذى فى صحيح البخارى ٤/٣٣ (كتاب اللباس) : بعث إليها مخضبة .

(٢) البخارى : فاطلعت فى الحجل . بفتح فسكون .

(٣) ص ت م : شعرا أحمر . وما أثبته من ط موافقا لرواية البخارى .

(٤) صحيح البخارى ٤/٣٣ (ط الأميرية) كتاب اللباس .

(٥) ص ت م : لمت المنكبين .

والجُمة ، وتكون رواية أَبي داود وابن ماجة معناها :« كان شعره فوق الوفرة » أى أكثر من الوفرة ودون الجُمة أى فى الكثرة .

وعلى هذا فلا تعارض بين الروايتين . فروى كل راوٍ ما فهمه من الفوق والدُّون،

وقال القاضى : والجمع بين هذه الروايات أن ما يلى الأُذن هو الذى يبلغ شحمة أُذنيه والذى يلى[1] أُذنيه وعاتقيه وما خلفه هو الذى يضرب منكبيه . وقيل بل لاختلاف الأَوقات فإذا غفل عن تقصير شعره بلَغ المِنْكب وإذا قصره كان إلى أَنصاف أُذنيه فكان يَقصُر ويَطُول بحسب ذلك .

الثانى : قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى فى زاد المعاد[2] : لم يَحْلق صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف إلا أَربع مرات . ولهذا مزيد بيان فى أَبواب زينته صلى الله عليه وسلم ويأْتى الكلام على ما شابَ من شَعره صلى الله عليه وسلم فى الباب التاسع .

* * *

الثالث : روى ابن عساكر من طريقين غير ثابتين عن على رضى الله تعالى عنه أَنه قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْطا . وقد تقدم من طريق صحيحة أَنه لم يكن بالسَّبْط ولا بالجعْد القطَط .

الرابع : قال ابن أَبى خَيْثمة فى تاريخه : إنما جُعل شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه غدائر أَربعا ليخرج الأُذنَ اليمنى من بين غديرتين يَكْتنفانها ويخرج الأُذن اليسرى من بين غَدِيرتين يكتنفانها ويخرج الأُذنان بياضهما من بين تلك الغدائر كأَنهما توقد الكواكب الدرِّية بين سواد شعره وكان أَكثر شَيْبه صلى الله عليه وسلم فى الرأس فى فَوْدى رأسه ، والفَوْدان حَرْفا الفَرْق ، وكان أَكثر شيبه صلى الله عليه وسلم فى لحيته فوق الذقن وكان شيبه كأَنه خيوط الفضة يتلألأُ بين ظهرى سواد الشعر الذى معه ؛ إذا مسّ ذلك

---

(١) ط : بين أذنيه :

(٢) زاد المعاد بهامش شرح المواهب ١/١٥٨ : ولم يحفظ عنه حلقه إلا فى نسك .

الشيبَ الصُّفْرة ـ وكان كثيرا مايفعل ـ صار كأنه خيوط ذهب يتلألأُ بين ظهرى سواد الشعر الذى معه .

* * *

الخامس: فى بيان غريب ما سبق .

الهامة ـ بالتخفيف : الرأس .

رَجل الشعر ـ بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وسكونها ، ثلاث لغات ذكرها فى المفْهم أى لا شديد الجعُودة ولا شديد السُّبوطة بل بينهما . قال القرطبي : وكان شعره صلى الله عليه وسلم بأَصل الخِلْقة مُسَرَّحا .

العقيقة : بقافين على المشهور : شَعْر الرأس ، سمِّى عَقِيقة تشبيها بشعر المولود قبل أن يحلق فإذا حلق ونبت ثانيا فقد زال عنه اسم العَقِيقة ، وربما سمِّى الشعر عقيقةً بعد الحلق على الاستعارة . ومنه هذا الحديث . والمراد إن انفرقت عقيقته من ذات نفسها وإلاتركها معقوصة . وروى : عَقِيصته ـ بقاف وصاد مهملة ـ وهى اسم للشعر المعقوص ، مشتق من العَقْص وهو اللَّىُّ .

وَفَّره : بفتح الفاء المشدَّدة أى جعله وَفْرة .

الجَعْد ـ بفتح الجيم وسكون المهملة . والجعودة فى الشعر أن لا يتكسَّر ولا يسترسل .

القَطَط ـ بفتحتين : الشديد الجعودة الشبيه بشعر السودان .

السَّبْط ـ بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وكسرها ، وهو المنْبَسِط المسترسِل الذى لا تكسير فيه ، أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السُّبوطة بل بينهما .

الصُّعْلة ـ بصاد فعَيْن مهملتين : صِغر الرأس . ويروى بالقاف . ويأْتى بيانه فى صفة إبطه الشريف صلى الله عليه وسلم .

يَسْدِل ـ بفتح المثناة التحتية وسكون السين وكسر الدال المهملتين ، ويجوز ضم الدال أى يترك شعر ناصيته على جبهته . قال النووى . قال العلماء : والمراد إرساله على الجبين واتخاذه كالقُصَّة أى بضم القاف وبعدها صاد مهملة وهو شعر الناصية

يَفْرقون ـ بضم الراء وكسرها : أى يلقون شعر رؤوسهم إلى جانبيه ولا يتركون منه شيئا على جبهتهم .

فَرَق ـ بفتح الفاء والراء : تقدم معناه قَبْله .

العاتِق : ما بين المَنْكِب والعُنق وهو موضع الرداء يذكر ويؤنث ، والجمع عواتق[1]

صدَعْتُ ـ بالتخفيف : نحَّيْت . اليأفوخ : بَهمْز ، وهو أحسن وأصوب ، ولايُهمز ، وهو وسط الرأس ، ولا يقال يافوخ حتى يَصْلُب ويشتد بعد الولادة .

الناصية والناصاة :مَنْبت الشعر فى مقدّم الرأس ، ويطلق على الشعر .

المَنْكِب : مجتمع رأس العَضُد والكتف .

الغدائِر : بغين معجمة ودال مهملة .

حُبُك الرِّمال ـ بضم أوله وثانيه جمع حَبِيكة وهى الطريق[2] فى الرمل وقال الفرَّاء : الحبك تكسُّر كل شىء[3] كالرَّمْل إذا مرَّت به الريح الساكنة والماء الدائم إذا مَرَّت به الريح والشَّعرة الجيدة تكسُّرها[4] حبكٌ .

القلنْسُوَة ـ بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين وفتح الواو . والجمع : القلانس والقلاسى .

اليَرْموك ـ بفتح الياء : مكان قرب دمشق .

قوله : « وقبض إسرائيل ثلاث أصابع » . أشار بذلك إلى صِغَر القَدَح .

قصة ـ بضم القاف وصاد مهملة لأكثر رواة الصحيح . قال ابن دُرَيْد : كلُّ خصلة من الشعر قُصَّة . قال ابن دِحْية والصحيح عند المتْقنين[5] : « من فِضَّة » بالفاء بواحدة وضاد معجمة وهو الأَشْبه والأَوْلى لقوله بعد ذلك : « فاطَّلعت فى الجُلْجل » وقد بيَّنه وَكِيع فى مصنَّفه فقال : كان جُلْجلا من فضة صُنع صَوْنًا لشَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فى الأصل بعدها كلمة « أنصاف أذنيه » ولا معنى لها .

(٢) ط : وهى الطريقة .

(٣) ص : الحبك كل شىء كالرمل .

(٤) ص ت م : تكسر حبك . وما أثبته من ط .

(٥) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : والصواب عند التفتيش .

الباب الرابع

فى صفة جبينه وحاجبيه صلى الله عليه وسلم

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفَاض الجبين رواه البيهقى وابن عساكر [1] .

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسعَ الجبين أَزَجَّ الحَواجِب سوابغَ فى غير قَرَن ، بينهما عِرْق يُدِرُّه الغضب

رواه الترمذى [2]

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دَقِيق الحاجبين .

رواه البيهقى [3] .

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : كان جَبينُ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلْتًا

رواه ابن عساكر [4]

وقال الحافظ أبو أحمد بن أبى خيثمة رحمهما الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَجْلَى الجبين إذا طلَع جبينه من بين الشَّعْر أو طلع من فَلق الشَّعْر أو عند الليل أو طلع بوجهه على الناس تراءى جبينُه كأنه السِّراج [5] المتوقِّد يتلألأُ ، كانوا يقولون هو صلى الله عليه وسلم . كما قال شاعره حسّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦١ .

(٢) شرح شمائل الترمذى ١/٤٣ .

(٣) لم أجده فى دلائل النبوة للبيهقى .

(٤) لم يرد هذا الخبر فى تهذيب ابن عساكر .

(٥) ط : كأنه هو السراج .

متى يَبْدُ فى الليل[1] البهيم جبينُه يَلُحْ مثل مصباح[2] الدُّجى المتوقِّدِ

فمن كان أو مَنْ قد يكون كأحمد نِظَاما لحقٌّ أو نَكالا لمُلْحدِ[3]

قال أبو الحسن بن قانع عن سويد بن [غفلة[4]] رضى الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحَ الجبين أَهْدَب مَقْرُون الحاجبين .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : فى حديث أم مَعْبَد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزجَّ أقْرَن . قال ابن قتيبة وابن عساكر : ولا أراه إلا كما وصف هند وصحَّحه ابن الأثير والقُطْب رحمه الله تعالى .

قلت : وروى البيهقى وابن عساكر عن مقاتل بن حيّان رحمه الله تعالى قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام : جِدَّ فى أمرى ولا تَهْزل إلى أن قال : صَدِّقوا النبىَّ العربى الصَّلْت الجبين المقْرون الحاجبين[5] .

وروى ابن عساكر من طرق عن على رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْرون الحاجبين[6] . ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم كان أولاً بغير قَرَن أو من جهة الرائى من قُرب ومن بُعْد ، وبأنه لم يكن بالأقْرَن حقيقةً ولا بالأزَجّ[7] حقيقةً بل كان بين الحاجبين فُرْجة يسيرة لا تتبين إلا لمن دقَّق النظر إليها . كما ذكر فى صفة أنفه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال : يحسبه من لم يتأمله أشَمَّ ولم يكن أشم .

---

(١) ط : فى الدجى .

(٢) ص ت م : مثل أهياج الدجى . وما أثبته من ط .

(٣) ديوانه ص ١٠١ (ط البرقوق) .

(٤) بياض بالأصول وهى مثبتة بهامش ط .

(٥) تهذيب ابن عساكر ١/٣٤٤ .

(٦) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٥ .

(٧) ط : ولا بالأبلج . وفى ت م . ولا بالأفلج . وما أثبته من ص .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق.

مُفَاض الجبين - بميم مضمومة ففاء فألف فضاد معجمة مخففة أى واسِعَه ، يقال دِرْع مفاضة أى واسعة . الجبين مافوق الصُّدغ . والصُّدغ ما بين العين إلى الأُذن ، ولكل إنسان جبينان يكتنفان الجبهة .

الزَّجَج : تقوُّس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد . قاله فى النهاية . وقال غيره : الزَّجَج دِقَّة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوّس .

سَوابغ - حال من المجرور وهو الحواجب جمع سابغ وهو التامّ الطويل أى أنها دقّت فى حال سُبوغها . وضع الحواجب موضع الحاجبين لأن التثنية جمع .

القَرَن - بالتحريك : اتصال شعر الحاجبين .

يُدِرُّه - بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه : أى يحرِّكه ويظهره ، كان صلى الله عليه وسلم إذا غضب امتلأ ذلك العِرْق دمًا كما يمتلئ الضَّرْع لبنًا إذا دَرَّ فيَظْهر ويرتفع .

الصَّلْت الجبين : أى واسعه ، وقيل الصلت الأَملس وقيل البارز .

الباب الخامس

فى صفة عينيه صلى الله عليه وسلم وبعض ما فيها من الآيات

قال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعج العينين وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَب الأَشفار .

رواه الإمام أحمد ومسلم [1]

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَب الأَشفار مُشْرَب العين بحُمْرة .

رواه البيهقى [2] وأبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر من طرق .

وقال سِمَاك بن حَرْب : قال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَشْكَل العين [3] .

قال الراوى له [4] عن سِمَاك : ما أَشْكَلُ العين ؟ قال : طويل شِقّ العَيْن [5]

رواه مسلم وغيره [6] . ورواه أبو داود بلفظ : أَشْهَل العين .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : فى أَشْفاره غطَف وفى لفظ : وَطف [7]

رواه الحارث بن أبى أُسامة .

---

(١) مسند أحمد ١/٨٩ . من حديث طويل وفيه : هدب الأشفار . ولم أجده فى صحيح مسلم .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٩ .

(٣) كذا بالأصل . موافقا لصحيح مسلم والذى فى دلائل النبوة للبيهقى : أشكل العينين .

(٤) هو شعبة .

(٥) فى دلائل النبوة للبيهقى : قال : باد أم جشم . ولا معنى لها . ونقل المحقق عن مصحح المستدرك : معناه فى عينه شىء من الحمرة . وهو مخالف لما هنا .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٧ ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٨ . ومسند أحمد ٥/٨٦ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٣ .

(٧) سبق تخريج حديث أم معبد فى ص ٧ من هذا الجزء .

وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبْحَر العينين .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبْرج العينين .

رواهما أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان صلى الله عليه وسلم أكْحَل العينين أهْدَب الأشفار .

رواه محمد بن يحيى الذُّهْلى فى الزُّهْريّات .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كنت إذا نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أكحل وليس بأكحل .

رواه الإمام أحمد بن حنبل ويعقوب بن سفيان[1] .

وقال مقاتل بن حيّان رحمه الله تعالى : أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم جِدَّ فى أمرى ولا تَهْزل إلى أن قال : صدِّقوا النبىَّ العربى الأَنْجَل[2] العينين .

رواه البيهقى وابن عساكر[3] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسْودَ الحدقة أهْدَب الأشفار .

رواه الترمذى[4] .

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين مُشْرب العين حُمْرة أهْدَب الأشْفار كَثّ اللحية .

---

(١) الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ص ٣٨٩ .
(٢) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : الأكحل .
(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣٤٤ .
(٤) شرح الشمائل ١ ٣١ .

رواه ابن عساكر[1] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعَج العينين .

رواه ابن عساكر[2] .

فصل :

روى ابن عَدِىّ والبيهقى وابن عساكر عن عائشة رضى الله تعالى عنها . والبيهقى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرى بالليل فى الظُّلْمة[3] كما يرى بالنهار فى الضَّوْء[4]

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قِبْلتى ها هنا ، فوالله ما يخفى علىَّ ركوعُكم ولا سجودكم ، إنى لَأَراكم من وراء ظَهْرى .

متفق عليه[5]

وقال الحافظ أبو بكر بن أبى خَيْثمة وتبعه أبو الحسن بن الضحاك فى كتاب الشمائل له : كان فيه صلى الله عليه وسلم شىء من صَوَر . والصَّوَر : الرجل الذى كأنه يَلْمح الشىء ببعض وجهه .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فإنى أراكم من أمامى ومن خَلْفى .

رواه مسلم[6] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأَنظر إلى ما وراء ظهرى كما أَنظر إلى أمامى » .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٤ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .
(٣) ت م : بالظلمة .
(٤) الوفا لابن الجوزى ص ٣٤٤ عن عائشة .
(٥) صحيح البخارى ١ ٦٠ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٠٩ .
(٦) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١١٢ .

رواه عبد الرزَّاقَ فى الجامع وأبو زُرْعة الرازى فى دلائله .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى مَنْ خلفه من الصفوف [1] كما يرى من بين يديه .

رواه الحُمَيْدىّ وأبو زرعة الرازى فى دلائله .

فائدة : ذكر القاضى رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى فى الثريّا أحد عشر نجما .

وذكر السُّهيلى رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر نجما . وبالأول جَزَمَ أبو عبد الله القرطبى فى كتاب « أسماء النبى صلى الله عليه وسلم » حيث نظم ذلك فقال رحمه الله تعالى :

وهو الذى يرى النجوم الخافيه ... مُبَيَّناتٍ فى السماء العاليـــــه

إحدى عشر قد عدَّ فى الثريّا[2] ... لناظرٍ سِـوَاه مـــــا تهيَّا

قال فى « القول المكرم » وهذا لم أقف له على أصل يستند إليه . والناس يذكرون أن الثريا لا تزيد على تسعة أنجم فيما يَروْن . انتهى .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال القاضى : إنما حدَثث هذه الآية له صلى الله عليه وسلم بعد ليلة الإسراء كما أن موسى صلى الله عليه وسلم كان يرى النَّمْلة السوداء فى الليلة الظَّلْماء من مَسِيرة عشرة فراسخ بعد ليلة الطُّور .

الثانى : هذه الرؤية رؤية إدراكٍ ، والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التى هى العَيْن عند أهل الحقِّ ولا شُعَاعٍ ولا مُقَابَلة ، وهذا بالنسبة إلى البارى تعالى . أما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية فى حقه صلى الله عليه وسلم عليه[3] ، وخالق البصر فى العين قادر على خَلْقه فى غيرها .

---

(١) ط : فى الصفوف .

(٢) ط : إحدى عشر عد فى السماء .

(٣) أى على وجود آلة الرؤية .

قال الحرّانى رحمه الله تعالى : وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالةً على ما فى حقيقة أمره من الاطلاع[1] الباطن، لسعة علمه ومعرفته، لما عَرف بربه لا بنفسه أطلعه الله تعالى على ما بَيْن يديه[2] مما تقدم من أمر الله وعلى ما وراء الوقت مما تأخر من أمر الله تعالى . فلما كان على ذلك من الإحاطة فى إدراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثلَ ذلك فى مُدْركات العيون ، فكان يرى المحسوساتِ من وراء ظهره كما يراها مِنْ بين يديْه .

ومن الغرائب ما ذكره بختيار[3] محب بن محمود الزاهد شارح القدورىّ فى رسالته الناصريّة أنه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسَمِّ الخِيَاط يُبْصر بهما لا تحجبهما الثياب . وقيل : بل كانت صورهم تنطبع فى حائط قبلته كما تنطبع فى المرآة أمثلتهم فيها فيشاهِد أفعالَهم .

قال الحافظ : وهذا إن كان نقلا عن الشارع بطريق صحيح فمقبول وإلا فليس المقام مقام رَأْى ، على أن الأَقْعَد فى إثبات كونها معجزة حملُها على الإدراك من غير آلة .

وقال ابن المنيِّر رحمه الله تعالى : لا حاجة إلى تأويله لأنه فى معنى تعطيل لفظ الشارع من غير ضرورة .

وقال القرطبي : حَمْله على ظاهره أولى؛ لأن فيه زيادة كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا مزيد بيان فى الخصائص .

* * *

الثالث : فى بيان غريب ما سبق :

الدَّعَج : شدة سواد العين فى شدة بياضها .

---

(١) ط : فى الاطلاع .

(٢) غير ط : على ما فى يديه .

(٣) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : مختار محب .

الأَهْدَب ـ بالدال المهملة : الطويل الأشفار .

الأَشفار : جمع شُفْر وزن قُفْل وهو حرف الجَفْن الذى ينبت عليه الهدْب . قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى : والعامة تجعل أشفار العين : الشَّعْرَ وهو غلط، وإنما الأَشفار حروف العين التى يَنْبت عليها الشعر .

الحَدَقة : بالتحريك : سواد العين والجمع حَدَق وحدقات . مثل قَصبة ، وقصَب ، وقصَبات .وربما قيل حِدَاق محل رَقَبة ورِقَاب .

قوله : مُشْرَب العين بحُمْرة : هى عروق حُمْر رِقَاق وهى من علاماته صلى الله عليه وسلم التى فى الكتب السالفة .

وقول سِمَاك رحمه الله تعالى : إن الشُّكْلَة طول شِقّ العين : قال القاضى : إنه وَهْم من سِمَاك باتفاق العلماء وغلطٌ ظاهر ، فقد اتفق العلماء وأصحاب الغَريب أن الشُّهْلَة[1] حُمْرة فى سواد العين كالشُّكْلة فى البيَاض .

الغَطَف : بغين معجمة وتُهْمل هو أن يطول شعر الأَجفان ثم ينعطف . الوطَف : الطويل أيضا .

الكَحَل : بالتحريك : سواد يكون فى مفاوز أَجفان العين خِلْقة .

الأَنْجَل : يقال عين نجلاء أى واسعة .

الأَبْرَج العين : بهمزة فموحدة فراء فجيم : من البَرَج بالتحريك وهو بياض العين مُحْدِقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء . والله تعالى أعلم .

---

(١) الأصل : أن الشكلة . وهو تحريف وصوابه من الوفا لابن الجوزى ص ٣٨٩ قال : « قال أبو عبيدة : الشكلة حمرة فى بياض العين . والشهلة : حمرة فى سوادها والكحل : سواد هدب العين خلقة » .

الباب السادس

فى سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يَسْمع ما لايسمعه الحاضرون مع سلامة حواسّهم من مثل الذى سمعه .

وروى ابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تامَّ الأُذنين[1] .

وروى الترمذى وابن ماجة عن أَبى ذر ، وأبو نُعَيْم عن حكيم بن حِزام رضى الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسمعون ما أسمع ؟ »قالوا ما نسمع من شىء قال إنى لأَرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، إنى أَسمع أَطِيط السماء وما تُلَام أَن تَئِطَّ وما فيها موضع شِبْر إلا وعليه مَلَك ساجد أَو قائم[2] »

وقال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه : بيْنا النبى صلى الله عليه وسلم على بغلة له إذ حادت به فكادت تُلْقيه وإذا أَقْبُرُ ستة أَو خمسة أَو أَربعة ، فقال من يعرف أَصحاب هذه الأَقبر ؟ فقال رجل : أَنا . فقال : متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك ، فأَعجبه ذلك فقال : « إن هذه الأُمة تُبْتَلى فى قبورها ، فلولا أَن لا تدَافنوا لدعوتُ الله عز وجل أَن يُسْمعكم من عذاب القبر الذى أَسمع » .

رواه مسلم[3] .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حائطاً من حيطان المدينة لبنى النجار فسمع أَصوات قوم يعذَّبون فى قبورهم فحاصت البغلةُ ، فسأَل النبىُّ

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٢) صحيح الترمذى كتاب الزهد باب ٩ وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ١٩ . ومسند أحمد ٥/١٧٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٦٧ .

صلى الله عليه وسلم : متى دُفن هذا ؟ قالوا : يا رسول الله دفن هذا فى الجاهلية فأعجبه ذلك وذكر نحو الذى قبله .

رواه الإمام أحمد[1] .

وقد ثبت أن الوحى كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا فى مثل صلصلة الجرس ويسمعه ويَعِيه ولا يَسْمعه أحدٌ من الصحابة .

تنبيهان

الأول : إن قيل : كيف يكون صوتٌ مسموعٌ لسامع فى محَلّ لا يسمعه آخر معه وهو مثله سليم الحاسَّة عن آفة الإدراك ؟

أُجيب : بأن الإدراك معنًى يخلقه الله تعالى لمن يشاء ويمنعه لمن يشاء وليس بطبيعة ولا وتيرة واحدة .

الثانى : فى بيان غريب ما تقدم :

الأَطِيط : صوت الأقتاب وأَطيط الإبل أصواتها وحَنينها ، أى أن كثرة ما فى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أَطَّتْ .

قال فى النهاية : وهذا مثَل وإيذانٌ بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثَمَّ أَطِيط ، وإنما هو كلام تقريب أُريد به تقرير عظمة الله تعالى .

قلت : وفيه نظر لقوله : « إنى لأسمع أَطيط السماء » .

حادت : مالت عند نِفَارها عن سَنَن طريقها .

حاصت : بحاء فصاد مهملتين : نَفَرَتْ وكرَّت راجعةً من خوف ما سمعت .

---

(١) مسند أحمد ٣ ١٠٣ وعن زيد بن ثابت ٥ ١٩٠ .

الباب السابع

فى صفة أنفه الشريف وخدّيه صلى الله عليه وسلم

روى الترمذى عن هند بن أبى هالة وابن عساكر عن علىّ رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَقْنَى العِرْنين. زاد هند : له نور يَعْلوه ، يَحْسبه من لم يتأَمله أَشمَّ وليس بأَشَم[1]

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دقيق الأَنف . رواه البيهقى .

وقال هند بن أَبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهْل الخدين .

رواه الترمذى .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسِيل الخدَّيْن .

رواه محمد بن يحيى الذُّهْلى فى الزهريات وابن عساكر .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهْل الخدين دقيق العِرْنين .

رواه ابن عساكر من طرق[2] .

وقال أَبو بكر رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح الخد .

رواه ابن عساكر[3] .

---

(١) شرح الشمائل ١/٤٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ .

(٣) لم أجده فى تهذيب ابن عساكر .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الخدين.

رواه أبو الحسن بن الضحاك .

العِرْنين . بكسر العين وسكون الراء المهملة وكسر النون : الأنف . والقَنَى فيه : طوله ودقة أرنبته مع ارتفاع فى وسطه .

الشَّمَم : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا ، والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم لحُسْن قَنَى أنفه واعتدال ذلك يُحْسَب[1] قبل التأمل أنه أشمّ وليس كذلك . قاله فى النهاية .

سَهْل الخدين : أى ليس فى خديه نُتوء وارتفاع . وقيل أراد أن خده صلى الله عليه وسلم أسِيلان قليلا اللحم رقيقا الجلد ، كما فى حديث أبى هريرة .

---

(١) ط : يحسبه

الباب الثامن

فى صفة فمه صلى الله عليه وسلم وأسنانه وطيب ريقه وبعض الآيات فيه

قال هند ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان صلى الله عليه وسلم ضَليع الفم، أشْنَب، مُفَلَّج الأسنان ، يَفتر عن مثل حَبِّ الغَمام .

رواه الترمذى[1] وأبو الشيخ .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَلِيع الفم .

رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم[2] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرَّاق الثنايا .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الثَّغْر .

رواه البيهقى[4] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله عليه وسلم مُفَلَّج الثنايا .

رواه ابن سعد[5] وأبو الشيخ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : شَمَمْت العطر كله فلم أشمّ نَكْهَةً أطْيَبَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) شرح الشمائل ١/٤٥ .

(٢) لم أجده فى صحيح البخارى . وهو فى صحيح مسلم كتاب الفضائل ٩٧ .
ومسند أحمد ٥/٩٧ وصحيح الترمذى كتاب المناقب باب ١٢ .

(٣) ليس فى تهذيب ابن عساكر .

(٣) لم أجده فى دلائل النبوة للبيهقى .

(٥) الذى فى طبقات ابن سعد ١ ١٢٩ (القسم الثانى) ط ليدن : مفلج الأسنان .

رواه ابن سعد[1] وأبو الشيخ .

وقال وائل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صَبَّ فى البئر أو قال ثم مَجَّ فى البئر . ففاح منها مثل رائحة المسك .

رواه الإمام أحمد وابن ماجة[2] .

ورواه أبو الحسن ابن الضحاك بلفظ : أُتِى بدلو فتوضأ منه فتمضمض ومَجَّ مسكاً أو أطْيبَ من المسك وانتشر خارجا منه .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضحك كاد يتلألأ فى الجُدر لم أرَ قَبْله ولا بعده مثله .

رواه محمد بن يحيى الذهلى فى الزهريات . وأبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر[3] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : بزَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بئر فى دارنا فلم يكن بالمدينة بئر أعْذبَ منها .

رواه أبو نعيم[4] .

وقالت عُمَيْرة[5] بنت مسعود الأنصارية رضى الله تعالى عنها : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخواتى وهن خَمْس فوجدناه يأكل قَدِيدًا فمضغ لهن قَدِيدة ثم ناولنى القديدة فقسمتها بينهن فمضغت كلُّ واحدة قطعةً فلَقين الله وما وُجد لأفواههن خُلُوف .

رواه الطبرانى[6] .

وقالت أُم عاصم امرأة عتبة بن فَرْقد رضى الله تعالى عنها : كنا نتطيَّب ونَجْهد لعتبة ابن فرقد أن نَبْلغه فما نَبْلغه وربما لم يمسّ عُتْبة طِيبًا، فقلنا له فقال : أخذنى البَثْرُ على عَهْد

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٢٣ (القسم الثانى) ط أوربا .
(٢) مسند أحمد ٤٠ ٣١٦ وابن ماجه كتاب الطهارة باب المج فى الإناء .
(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ .
(٤) الخصائص الكبرى ١ ١٥٣ .
(٥) كذا فى ط موافقا لأسد الغابة ٥/٥١٢ . وفى بقية النسخ : عمره . ولعله تحريف .
(٦) أسد الغابة ٥/٥١٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته ، فتفل فى كفه ثم مسح جلدى ، فكنت من أطيب الناس ريحًا .

رواه البخارى فى [ ](١) والطبرانى وأبو الحسن بن الضحاك(٢) .

وقال أبو أمامة رضى الله تعالى عنه : جاءت امرأة بذيئة اللسان إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديدًا ، فقالت : ألا تُطْعمنى؟ فناولها مما بين يديه ، فقالت : لا إلا الذى فى فيك . فأخرجه فأعطاها فألقته فى فمها فأكلته فلم يُعْلَم منها بعد ذلك الأمر الذى كانت عليه من البذاء والذرابة .

رواه الطبرانى(٣) .

وقال محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس : إن أباه فارق أمه وهى حامل به ، فلما ولدته حلفتْ أن لا تُلْبنه من لبنها . فدعا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى فيه وقال اختلفْ به فإن الله رازقه فأتيته به اليوم الأول والثانى والثالث .

رواه البيهقى(٤) .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

بحرٌ من الشَّهْد فى فيه مَراشِفُه ... يا قوت من صدف فيه جواهرُه(٥)

ويرحم الله تعالى القائل أيضا :

جَنى النَّحْل فى فِيه وفيه حَياتُنا ... ولكنَّــه مَنْ لى بِلَثْم لِشــامِهِ

رحيق الثنايــا والمشــانِ تنفَّسَتْ ... إذا قال عن فتحٍ بطيب ختامِه

---

(١) بياض بالأصول . ولعله فى التاريخ الكبير .

(٢) مجمع الزوائد ٢٨٢/٨ . قال : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بنحوه . ورجال الأوسط رجال الصحيح غير أم عاصم فإنى لم أعرفها .

(٣) مجمع الزوائد ٣١٢/٨ . وقال : وفيه على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف . والخصائص الكبرى ١٥٤/١ (ط الهراس) .

(٤) الخصائص الكبرى ١٥٤/١ وبقية الخبر : فإذا امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس فقلت لها : ما تريدين؟ قالت : رأيت فى منامى هذه الليلة كأنى أرضع ابنا يقال له محمد . قال : فأنا ثابت وهذا ابني محمد .

(٥) ط : ياقوتة صدف فيه جواهره .

وقال أبو جعفر محمد بن علي رحمه الله تعالى : بينما الحسن بن علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطش فاشتد ظمؤه فطلب له النبي صلى الله عليه وسلم ماءً فلم يجدْ فأعطاه لسانه فمصّه حتى رَوِي .

رواه ابن عساكر . وهو منقطع . ورواه عن أبي هريرة وزاد : الحسين[1] .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيّتين . زاد أبو الحسن بن الضحاك : والرَّبَاعيّتين . انتهى .

إذا تكلّم رُئِي كالنور يخرج من بين ثناياه .

رواه أبو زُرْعة الرازيّ في دلائله والدارميّ والترمذي وأبو الحسن بن الضحاك وسنده جيّد[2] .

وقال سهل بن سعيد رضي الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه ، يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسوله . فلما أصبح الناسُ غَدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعْطاها . قال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يشتكي عَيْنيه . قال : فأرسِلوا إليه . فأتي به فبصَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع . الحديث

رواه الشيخان[3] .

وقال أبو قِرْصافة ـ بكسر القاف رضي الله تعالى عنه : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمي وخالتي[4] فلما رجعنا قالت أمي وخالتي يا بنيّ ما رأينا مثلَ هذا الرجل لا أحسنَ وجهاً ولا أنقَى ثوبا[5] ولا ألْيَن كلاماً ، ورأينا كالنور يَخْرج من فيه .

رواه البيهقي[6] .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/١٥٥ عن ابن عساكر .

(٢) شرح شمائل الترمذي ١/٦٧ والخصائص الكبرى ١/٦٢ وهو في مجمع الزوائد من قوله :- « إذا تكلم رئي كالنور » الخ . ٨/٢٧٩ . قال : وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف .

(٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد وكتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٢ - ٣٥ .

(٤) كذا في ط . وفي بقية النسخ : أنا وابني وخالي .

(٥) غير ط : لوناً .

(٦) ليس في دلائل النبوة للبيهقي .

تنبيه فى بيان غريب ما سبق

الضَّليع : بضاد معجمة وعين مهملة ـ قال فى النهاية : أى عظيم الفم وقيل واسعة والعرب تمدح عظم الفم وتذم صغره .

قال الإمام النووى : وهذا قولُ الأكثر وهو الأظهر . والضَّليع : العظيم الخَلْق ، الشديد . وقال غيره : الضليع : المهزول الذابل . وهو فى صفته صلى الله عليه وسلم ذبول شفتيه ورِقَّتهما وحُسْنهما .

الشَّنَب : بشين معجمة فنون مفتوحة فموحدة : البياض والبريق والتحديد فى الأسنان وقيل هوْ بَرْدها وعذوبتها .

الفَلَجَ بالتحريك : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات .

يَفْتُرُ ـ بمثناة تحتية ففاء ففوقية مضمومة أى يُظْهر أسنانه .

حَبّ الغمام : الْبَرَد بفتحتين شبه به ثَغْره فى بياضه وصفائه وبَرده . الثَّغَر هنا : الثنايا .

مَجَّ الماء من فيه : مجاز من باب رمى : رمى به : الخُلوف : كالقُعود تغيُّر رائحة الفم .

الذَّرابة : الفُحْش .

البَذاء فى المنْطق . بالفتح والمد والذال المعجمة : السَّفَهُ والفحش .

تلبِنُه : بالمثناة الفوقية فلام فموحدة فنون : ترضعه .

الثَّنَايا : جمع ثَنِيّة وهى أربع من الأسنان .

بَصق بالصاد المهملة ويقال بالسين أيضا .

الباب التاسع

فى صفة لحيته الشريفة وشَيْبه صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثَّ اللِّحْية .

رواه الترمذى ورواه ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه[1] .

وقال على رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم اللحية .

رواه البيهقى وابن عساكر وابن الجوزى[2] .

وقال جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم اللحية . رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية .

رواه البيهقى وابن عساكر[3] .

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد سواد الرأس واللحية .

رواه ابن عساكر[4] .

---

(١) شرح شمائل الترمذى ١/٤٥ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٣ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٢ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٤ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٤) ليس فى تهذيب ابن عساكر . والذى فيه : سئل سعد بن أبى وقاص : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ولا هم به .
وهذا الخبر فى طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٢٦ (ط ليدن) .

وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كانت لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأت من هاهنا إلى هاهنا . رواه ابن عساكر[1] .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة رحمه الله تعالى : كانت عَنْفَقَتُهُ صلى الله عليه وسلم بارزة ونبكاه[2] حول العنفقة كأنهما بياض اللؤلؤة ، فى أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها .

وقال أبو ضَمْضَم رحمه الله تعالى : نزلتُ بالرُّجَيْج[3] فقيل هاهنا رجل يقال له أسعد ابن خالد رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت: رأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم رأيته كان رجلاً مربوعا حسن السَّبْلة .

رواه الدينورى وابن عساكر[4] .

وقال أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس واللحية .

رواه مسلم وابن أبي خيثمة واللفظ له[5]

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : شَمِط مُقَدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته وكان إذا ادَّهن لم يتبين فإذا لم يدهن تبيَّن .

رواه مسلم[6]

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس رضى الله تعالى عنه : ليس فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته عشرون شَعْرة بيضاء .

رواه الشيخان[7] .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٠ .

(٢) كذا بالأصول . ولعلها : وفكاه . والنبك : المرتفع .

(٣) الأصل بالرجيج – بالحاء – وما أثبته من معجم البلدان ٩/٢٩

قال : والرجيج تصغير رج موضع ببلاد العرب .

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٥ .

(٥) ليس فى صحيح مسلم كتاب الفضائل .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٩ .

(٧) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ومبعثه وسنه ٤/٨٢٤ ط استامبول .

وقال ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لحيته[1] إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة بيضاء .

رواه ابن سعد بسند صحيح[2] .

ورواه أبو الحسن ابن الضحاك بلفظ أربع عشرة بيضا .

وقال حُمَيْد عنه : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء قال حميد : كن سبع عشرة .

رواه ابن أبى خيثمة .

وقال قتادة عنه : لم يَخْضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إنما كان فى عَنْفَقته وفى الصدغين وفى الرأس نَبْذٌ[3] .

رواه مسلم[4]

وقال أبو بكر بن عيَّاش رحمه الله تعالى : قلت لربيعة : جالستَ أنسا ؟ قال: نعم. وسمعته يقول : شاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشرين شيبة ها هنا . يعنى العَنْفَقة .

رواه ابن خيثمة .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : كان شيب رسول الله صلى الله عليه نحواً من عشرين شعرةً بيضاء فى مُقَدَّمه .

رواه ابن إسحاق وابن حبان والبيهقى[5] .

وقال أبو جُحَيْفة رضى الله تعالى عنه : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورأيت بياضاً تحت شفته السُّفْلى العَنْفَقة .

رواه البخارى[6] .

ورواه الإسماعيلى بلفظ : من تحت شفته السفلى مثل موضع إصبع العنفقة .

---

(١) ط : ولحيته .

(٢) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٥ (ط أوربا) .

(٣) كذا فى ط موافقا لصحيح مسلم . وفى بقية النسخ : وفى الرأس شعرات تبدو .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٤ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ١٨٦/١ . وشمائل الرسول لابن كثير .

(٦) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

وفى لفظ له . رأيت النبي صلى الله عليه وسلم شابت عنفقته

وقال عبد الله بن بُسْر- بضم الموحدة وسكون المهملة - المازنى رضى الله تعالى عنه كان فى عنفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراتٌ بِيضٌ .

رواه البخارى[1] .

وفى رواية عند الإسماعيلى : إنما كانت شعراتٍ بِيضاً .

وقال أبو إياس رحمه الله تعالى : سئل انس عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماشانه الله تعالى ببيضاء

رواه ابن عساكر . وقال : لعل أنساً أراد بلحية بيضاء . فقد روى عنه وعن غيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنه شاب بعض شعره صلى الله عليه وسلم وأشار إلى العَنْفَقة .

وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال : سئل أنَس رضى الله تعالى عنه عن خضَاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن شابَ إلا يسيرا ولكن أبا بكر وعمر خضَباه بعدُ بالحِنَّاء والكَتَم[2]

وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفَّر لحيته وما فيها عشرون شعرة بيضاء .

وقال قتادة : سألت أنساً : هل خضَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا إنما كان شيء فى صدغيه .

رواه البخارى[3] ولفظه : قال : لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان البياض فى عنفقته وفى صدغيه[4] . نَبْذ: أى متفرِّق .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

(٢) بل هو فى صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٥ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ج ١ القسم الثانى ص ١٣٥ وما بعدها .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وكتاب اللباس باب رقم ٦٦ وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠١ ، ١٠٢ .

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : سألت أنساً أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْضب ؟ قال : لم يَبْلغ الخِضَاب .

رواه الشيخان[1] .

ولمسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه . لو شئت أن أعدَّ شَمَطاتٍ كنّ فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت[2] » .

فائـــدة

روى ابن سعد عن يونس بن طلق بن حبيب رحمه الله تعالى أن حجَّاماً أخذ من شارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شيبة فى لحيته فأهوى إليها ، فأمسك النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم بيده وقال : « من شابَ شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة[3] » .

تَنْبيهاتٌ

الأول : قال الحافظ رحمه الله تعالى : عُرف من مجموع الروايات أن الذى شاب فى عنفقته صلى الله عليه وسلم أكثر مما شاب فى غيرها . وقول أنس لما سأله قتادة هل خضب ؟ : « إنما كان شئ فى صدغيه » أراد أنه لم يكن فى شعره ما يحتاج إلى الخضاب . وقد صرَّح بذلك فى رواية محمد بن سيرين السابقة .

الثانى : اختلف فى عدد الشعرات التى شابت فى رأسه صلى الله عليه وسلم ولحيته . فمقتضى حديث عبد الله بن بُسْر أنَّ شيبه صلى الله عليه وسلم كان لايزيد على عشر شعرات لإيراده بصيغة القلة . وفى رواية ابن سعد : لم يَبْلغ ما فى لحيته من الشعر عشرين شعرة[4]. قال حميد : وأومأ إلى عنفقته سبع عشرة[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب اللباس باب رقم ٨٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٣ .

(٣) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٦ (ط أوربا) .

(٤) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ٦٣٥ .

(٥) الطبقات : قال زهير : وأصغى حميد إلى رجل عن يمينه قال سبع عشرة . ووضع يده على عنفقته .

وروى أيضا عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة[1] .

وروى ابن أبى خيثمة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء . قال حميد : كن سبع عشرة .

وروى الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : لو عددت ما أقْبَل من شيبه صلى الله عليه وسلم فى رأسه[2] ولحيته ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة .

وجمَع العلامة البُلْقينى[3] بين هذه الروايات بأنها تدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين شعرة، والرواية الثانية[4] توضح أن ما دون العشرين كان سبع عشرة ، فيكون كما ذكرنا : العشرة فى عنفقته[5] والزائد عليها يكون فى بقية لحيته لأنه قال فى الرواية الثالثة : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء ، واللحية تشمل العنفقة وغيرها . وكون العشرة فى[6] العنفقة بحديث عبد الله بن بُسْر والبقية بالأحاديث الأخر فى بقية لحيته . وكَوْن حُمَيْد أشار إلى عنفقته سبع عشرة ليس يُعْلم[7] ذلك من نفس الحديث، والحديث لايدل إلا على ما ذكرنا من التوفيق . وأما الرواية الرابعة فلا تنافى كونَ العشرة على العنفقة والزائد[8] على غيرها . وهذا الموضع موضع تأمل . انتهى .

الثالث : سيأتى الكلام فى خصائصه صلى الله عليه وسلم فى أبواب زينته .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق .

---

(١) الطبقات ١/١٣٥ (القسم الثانى) .
(٢) ص ، ت ، م : ورأسه .
(٣) ط : العينى .
(٤) ط : الثابتة .
(٥) ط : على عنفقته .
(٦) ط : على العنفقة .
(٧) ط : يفهم .
(٨) ط : والواحد .

الكَثّة : بفتح الكاف وثاء مثلثة ـ أى فيها كثاثة واستدارة وليست بطويلة .

السَّبَلة : بالتحريك ـ مقدَّم اللحية وما انحدة منها على الصدر . وقيل: هى الشعرات التى تحت اللِّحْى الأسفل . وقيل : الشاربُ[1]

الرُّجَيْج[2] :

شَمِط : بالكسر شَمَطاً : خالط سوادَ لحيته بياضٌ فهو أشْمط . والمرأة فى رأسها كذلك فهى شمطاء .

أبو جُحَيْفة : بجيم مضمومة فحاء مهملة ومثناة تحتية ساكنة ففاء ـ واسمه وهب بن عبد الله السُّوائى بضم السين .

العَنْفقة : ما بين الذقن والشفة السفلى ، سواء كان عليه شعر أم لا . ويطلق على الشعر أيضا . وقوله : « تحت شفته السفلى العنفقة » بجرّ العنفقة بدلٌ من الشفة . وبنصبها وإعراب[3] عنفقة كما تقدم .

الصُّدْغ : بالضم : ما بين لَحْظ العين إلى أصل الأُذن ويطلق على الشعر المتدلى عليه والجمع أصداغ ، مثل قُفْل وأقفال .

---

(١) كذا بالأصول . وفى القاموس : والسبلة محركة : الدائرة فى وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من للشعر ، أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها ، أو مقدمها خاصة .

(٢) بياض بالأصول والرجيج : تصغير رج : موضع ببلاد العرب . معجم البلدان ٩/٢٩

(٣) ص ت م : وهو إعراب . وما أثبته من ط .

الباب العاشر

فى صفة وجهه صلى الله عليه وسلم

سئل البرَاء بن عازِب رضى الله تعالى عنه أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل القمر .

رواه البخارى والترمذى[1] .

وسئل جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل[2] مثل الشمس والقمر مستديراً .

رواه مسلم[3] .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وَجْهًا وأحسنهم خُلقا .

رواه الشيخان[4] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُطَهَّم ولا المُكَلْثَمَ ، وكان فى وجهه تَدْوير .

رواه البيهقى وابن عساكر من طرق[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم (٢/٢١٩) (ط الأميرية) . وشرح شمائل الترمذى للقارى ١/٥٧ .

(٢) ص : لا ولكن مثل القمر .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٩ .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٣ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ١/٢٢١ وتهذيب ابن عساكر ١ ٣١٧ .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فَخْمًا مفخَّما يتلألأ وجهه وجه القمر ليلة البدر .

رواه الترمذى وغيره[1] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَدْوير .

رواه مسلم والبيهقى[2] .

وقال أبوعبيد[3] : يريد ما كان فى غاية التدوير بل كان فيه سُهولة وهى أَحْلَى عند العرب .

وقالت أُم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : رأيت رجلاً ظاهرَ الوضاءة متبلِّج الوجه .

رواه الحارث بن أُسامة وغيره[4] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وَجْها وأَنْوَرهم لونًا .

رواه ابن الجوزى[5] .

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : كانْ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارَة القمر .

رواه أبو نعيم .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَن الشمس تخرج[6] من وجهه .

رواه ابن الجوزى[7] .

---

(١) شرح شمائل الترمذى ١/٤٠ .

(٢) لم أجده فى صحيح مسلم كتاب الفضائل وهو فى صحيح الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٨ . والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٢ ودلائل النبوة للبيهقى ١ ١٦٠ .

(٣) ص ، ت ، م : أبو عبيدة .

(٤) سبق تخريج حديث أم معبد .

(٥) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٦ .

(٦) كذا فى ط موافقا لابن الجوزى وفى بقية النسخ : تجرى .

(٧) الوفا ص ٤٠٦ .

وقالت امرأة حجّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أبو إسحاق الهَمْدانى : شبِّهيه لى . قالت : كالقمر ليلة البدر ، لم أرَ قبله ولا بعده مثله .

رواه البيهقى[1] .

ويروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كنت أخيط الثوبَ فسقطت الإبرة فطلبتها فلم أقْدر عليها ، فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتبيَّنتُ الإبرة بشعاع وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر[2] .

ويروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . قال : لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظِلّ ولم يقم مع شمسٍ إلا غلَب ضوؤه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج إلا غلب ضوؤه ضوء السِّراج .

رواه ابن الجوزى[3] .

وقال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر فكنا نعرف ذلك منه .

رواه الشيخان وأبو داود والنسائى[4] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تَبْرق أساريرُ وجهه .

رواه الشيخان[5]

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٤٦ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٤ .
(٣) الوفا ص ٤٠٧ .
(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم وكتاب المغازى باب غزوة تبوك وصحيح مسلم كتاب التوبة حديث رقم ٥٣ والترمذى كتاب التفسير « سورة التوبة » .
(٥) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وصحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم ٣٨ .

وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ كأن وجهه المرآة ، وكأن الجدُر تَلاَحكُ وجهُه .

أورده ابن الأثير فى النهاية[1] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ : قوله : « كأنه قطعة قمرٍ » لعله صلى الله عليه وسلم كان حينئذ متلثِّما ، والموضع الذى يتبين فيه السرور هو جبينه وفيه يظهر السرور ، وكأن الشبه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبَّه ببعض القمر .

وقال فى المغازى فى قصة توبة كعب : ويُسْأَل عن السرّ فى التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد فى كلام البُلَغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد[2] . وقد تقدم تشبيههم له بالشمس طالعةً وغير ذلك . وكان كعب قائل هذا من شعراء الصحابة وحاله فى ذلك مشهور ، وما قيل فى ذلك من الاحتراز من السواد الذى فى القمر ليس بقوىّ ، لأن المراد بتشبيهه ما فى القمر من الضياء[3] والاستنارة وهو فى تمامه لا يكون فيها أقل مما فى القطعة المجردة . ويحتمل أن يكون أراد بقوله « قطعة قمر » القمر نفسه .

وقد روى الطبرانى حديث كعب بن مالك من طرق فى بعضها : « كأنه دارة قمر » .

وروى النسائى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى قصة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر وسؤاله ربَّه تبارك وتعالى قال : ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن شِقَّة وجهه القمر فقال : هذه مصارع القوم العشيَّةَ .

ووقع فى حديث جُبَيْر بن مُطْعِم عند الطبرانى : التفت إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بوجهه مثل شقّة القمر . فهذا محمول على صفته صلى الله عليه وسلم عند الالتفات .

---

(١) النهاية لابن الأثير ٤/٥٥ .

(٢) ص ، ت ، م : بغير تقديم ، وما أثبته من ط .

(٣) ت م : من الضوء .

الثانى : هذه التشبيهات الواردة فى صفاته صلى الله عليه وسلم إنما هى على عادة الشعراء والعرب ، وإلا فلا شىء من هذه المحْدَثات يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

كالبَدْرِ والكافُ إن أنصفتَ زائدةٌ فلا تَظنَّنْهـا كافاً لتَشْبيـهِ

ويرحم الله تعالى القائِل أيضا :

يقولون يَحْكى البـدرَ فى الحُسْن وجْهُه وبَدْرُ الدُّجَى عن ذلك الحسن مُنْحطُّ

كما شبهُّوا غُصْن النَّقَا بقَـوامِـه لقـد بالغوا بالمـدحِ للغُصْن[1] واشتطُّوا

وقد تقدم فى أبيات سيدى على وَفَا إشارة إلى هذا[2]

* * *

الثالث : قال الحافظ أبو الخطاب بن دِحْية رحمه الله تعالى : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مستديرا فأراد البَراء أن يزيل ما توهَّمه القائل من معنى الطُّول الذى فى السيف إلى معنى الاستدارة التى فى القمر ، لأن القمر يُؤْنس كلَّ من شاهده ويَجْمع النور من غير أذى حرّ ويتمكن من النظر إليه بخلاف الشمس التى تُعْشى البصرَ فتمنع من الرؤية .

وقال الحافظ فى الفتح : ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللَّمعان والصقالة فقال البرَاء : لا بل مثل القمر الذى فوق السيف فى ذلك ، لأن القمر يشمل التدوير واللمعان بل التشبيه به أبْلغ وأشهر . وإنما قال جابر بن سَمُرة « كان مستديرا » لينبه على أنه جمع الصفتين لأن قوله مثل السيف يحتمل أن يريد به السائل الطُّولَ واللمعان ، فرده المسئول ردًّا بليغا ، ولما جرى التعارف فى أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالباً الإشراق ، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة دون غيرها أتى بقوله « وكان مستديرا » إشارة إلى أنه أراد التشبيه بالصفتين معاً : الحسن والاستدارة[3] .

---

(١) غير ط : بالغصن .

(٢) سبق ذلك فى ص ١١ من هذا الجزء وانظر ترجمة على وفا فى طبقات الشعرانى ٢١ ٢٠ .

(٣) فتح البارى ٦/٤٤٥ .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق :

المطَهَّم : بميم مضمومة فطاء مهملة فهاء مشددة مفتوحتين : وهو المنتفخ الوجه .

المُكَلْثم : بميم مضمومة فكاف مفتوحة فلام ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة ـ وهى من الوجه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم[1] .

فَخْما : بفاء مفتوحة فخاء معجمة ساكنة : أى عظيما .

مُفَخَّما : بميم مضمومة فخاء معجمة مفتوحة مشددة اسم مفعول : أى معظَّما فى الصدور والعيون .

المتبلِّج والأَبْلَج : الحسَن المشْرق المضىء ، ولم تَرد به بلَج الحواجب لأنها وصفتها بالقَرَن .

دارة القمر : الهالة حَوْله .

سُرَّ : بضم أوله مبنيا للمفعول من السرور .

استنار : أضاء وتنوَّر .

الأَسَارِير : جمع أَسْرار ، وهى جمع السَّرر[2] ، وهى الخطوط التى تكون فى الجبهة وبَرقانها يكون عند الفرح .

المُلاَحكة . شدة الملاءمة[3] ، أى يُرَى شخص الجدُر فى وجهه صلى الله عليه وسلم .

والله تعالى أعلم .

---

(١) غيرط : الحية .

(٢) فى القاموس : السرر والسرار ، ويضمان ، والسرار بالكسر ، واحد أسرار الكف ، لخطوطها ، وجمع الجمع أسارير .

(٣) كذا فى ط موافقا للنهاية ٤/٥٥ وفى بقية النسخ : شدة اللماعة .

الباب الحادى عشر

فى صفة عنقه صلى الله عليه وسلم ، وبُعْد ما بين مَنْكبيه وغِلَظ كتده

قالت أُم معبد رضى الله تعالى عنها : كان فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم سَطع .

رواه الحارث بن أبى أُسامة [1]

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم كجِيد دُمْية فى صفاء الفضة .

رواه الترمذى[2] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فيما رواه ابن عساكر ، وعلى بن أبى طالب فيما رواه ابن سعد وأبو نعيم والبيهقى : كأن عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم إبريق فضة[3] .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن البرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنه : والإمام أحمد والبيهقى عن أبى هريرة ، والترمذى عن هند رضى الله تعالى عنهم قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدَ ما بين المَنْكبين [4] .

وروى الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جَلِيل المشَاش والكتد[5] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/٢٣٠ .
(٢) شرح الشمائل لابن جسوس ١/٣١ .
(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .
(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ ، ٩٢
(٥) شرح الشمائل ١/٢١ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله الناس فأعطاهم الحديث وفيه : فجذَبوا ثوبه حتى بدا مِنْكبه فكأنما أنظر حين بدا منكبه إلى شقة القمر من بياضه صلى الله عليه وسلم

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رداءه عن منكبَيْه فكأنه سَبيكة فضة .

رواه البزّار والبيهقى وابن عساكر [1] .

وقال الحافظ أبو بكر بن أبى خيثمة فى تاريخه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس عُنقا ، ما ظهرَ من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشْرَب ذهباً يتلألأ فى بياض القصة وحُمْرَة الذهب ، وما غيبَت الثيابُ من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر .

[تفسير الغريب]

السَّطَع : بالتحريك طول العنق .

الجيد . بكسر الجيم وسكون المثناة التحتية : العنق .

الدُّمْية – بضم الدال المهملة وإسكان الميم ومثناة تحتية مفتوحة – الصورة المصوَّرة سميت بذلك لأن المصانع يتفوَّق فى صنعها وتحسينها ، شبّه عنقه صلى الله عليه وسلم بالفضة فى صفائها .

المَنْكِب : بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه : مُجْتَمع رأس العضُد والكتف . وبُعْد ما بين المنكبين يدل على سعة الصدر والظهر .

المُشَاش : بضم الميم وشينين معجمتين : رءوس العظام : المرفقين والكعبين والركبتين وقال الجوهرى . رءوس العظام اللَّينة التى يمكن مضغها .

الكَتَد : بكاف فمثناة مفتوحتين فدال مهملة مُجْتمع الكتفين .

والله تعالى أعلم .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

الباب الثانى عشر

فى صفة ظهره صلى الله عليه وسلم وما جاء فى صفة خاتم النبوّة

قال مُحَرِّش - بضم الميم وفتح المهملة وقيل معجمة وكسر الراء بعدها معجمة ، ابن عبدالله الكَعْبى رضى الله تعالى عنه : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعْرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنّه سَبيكة فضة .

رواه الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان[1]

فصل :

اختلف فى صفة خاتم النبوة على أقوال كثيرة متقاربة المعنى .

أحدها : أنه مثل زرّ الحَجَلة .

روى الشيخان عن السائب بن يزيد رضى الله تعالى عنه قال : قمت خلف ظهر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زرّ الحجلة[2] .

الثانى : أنه كالجُمْع :

روى مسلم عن عبد الله بن سَرْجس - بفتح المهملة وسكون الراء وكسر الجيم بعدها مهملة - رضى الله تعالى عنه قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفه عند نُغْض كتفه اليسرى جُمْعاً عليه[3] خِيلاَن كأَمثال الثَّآليل[4] .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٣٨٠ تحت عنوان : حديث رجل من خزاعة رضى الله عنه . فرواه عن سفيان بن عيينة ، عن اسماعيل بن أمية . عن رجل من خزاعة يقال له محرش أو مخرش لم يكن سفيان يقف على اسمه . وهو كذلك فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٥ عن محرش بالحاء المهملة وفى الخصائص الكبرى للسيوطى ١/٧٣ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب خاتم النبوة .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وسنن الترمذى كتاب المناقب باب خاتم النبوة . وهو فى شمائل الرسول لابن كثير ص ٣٩ . والخصائص الكبرى ١/١٤٧ .

(٣) غير ط : على خيلان .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة .

الثالث : أنه كبيضة الحمامة .

روى مسلم والبيهقى عن جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه قال: رأيت خاتم النبوة بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة يشبه جسده[1] .

وروى أبو الحسن ابن الضحاك عن سَلْمان رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة .

الرابع : أنه شَعْرٌ مجتمع .

روى الإمام أحمد والترمذى والحاكم وصحَّحه وأبو يَعْلى والطبرانى من طريق عِلْباء - بكسر المهملة وسكون اللام بعدها موحدة - ابن أَحْمر - بحاء مهملة وآخره راء - عن أبى يزيد عمرو بن أَخْطب ، بالخاء المعجمة ، الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادْنُ فامسح ظهرى . فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم . فقيل له[2] : ما الخاتم ؟ قال : شعر مجتمع عند كتفه[3] .

ورواه أبو سعد النيسابورى بلفظ شعرات سود .

الخامس : أنه كالسِّلْعة .

روى الإمام أحمد وابن سعد والبيهقى من طرق عن أبى رِمْثة - بكسر الراء وسكون الميم فثاء مثلثة - رضى الله تعالى عنه قال : انطلقت مع أبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى مثل السِّلعة بين كتفيه [4] .

السادس : أنه بضعة ناشزة .

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : الخاتم الذى بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضْعة ناشزة[5] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة .
ودلائل النبوة للبيهقى ١/٢١٢ .

(٢) غير ط : فقيل لى .

(٣) الخصائص الكبرى ١/١٤٩ .

(٤) مسند أحمد ٢ ٢٢٦ . ودلائل النبوة للبيهقى ١/٢١٤ والخصائص الكبرى ٢/١٤٨ . وشمائل الرسول لابن كثير ص ٤١ وروايته : عن أبى ربيعة أو رمثة .

(٥) شرح شمائل الترمذى (جمع الوسائل) ١/٧١ .

وفى لفظ عند البخارى فى التاريخ والبيهقى : لحمة ناتئة[1] ولأحمد : لحمٌ ناشز بين كتفيه[2] .

السابع : أنه مثل البندقة .

روى ابن حبّان فى صحيحه من طريق إسحاق بن إبراهيم قاضى سمرقند : حدثنا ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان خاتم النبوة على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم مثل البندقة من لحم مكتوب[3] فيها : محمد رسول الله[4] .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى « مَوْرد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » بعد أن أورد الحديث : اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذى كان يختم به الكتب[5] . انتهى .

ومن خطه نقلت وبخط تلميذه الحافظ على الهامش : البعضُ المذكور هو إسحاق ـ ابن إبراهيم قاضى سمرقند . وهو ضعيف .

وذكر الحافظ ابن كثير نحو ما قال الهيثمى . ولهذا مزيد بيان يأتى فى ثامن التنبيهات .

الثامن : أنه مثل التفاحة .

روى الترمذى عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم النبوة أسفل من غضْروف كتفه صلى الله عليه وسلم مثل التفاحة[6] .

التاسع : أنه كأثر المِحْجَم .

روى الإمام أحمد والبيهقى عن التَّنُوخىّ رسول هرقل رضى الله تعالى عنه فى حديثه الطويل قال : فإذا أنا بخاتم فى موضع غُضْروف الكتف[7] مثل المِحْجَمة الضخمة .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١ ٢١٥ .
(٢) مسند أحمد ٣/٦٩ .
(٣) فى مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمى : عليه مكتوب .
(٤) مورد الظمآن ص ٥١٤ (ط السلفية) .
(٥) سنن الترمذى كتاب المناقب باب ٣ ومسند أحمد ٤/١٦٣ .
(٦) فى مسند أحمد ٣/٤١٢ : فى موضع غضون الكتف ، ٤٤١ مطولا .
(٧) فى مسند أحمد ٣/٤١٢ : فى موضع غضون الكتف ، ٤٤١ مطولا .

العاشر : أنه كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة .

روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان خاتم النبوة كشامة سوداء تضرب إلى الصُّفْرة حولها شعرات متراكباتٍ كأنها عُرْف الفَرس[1] رواه أبوبكر بن أبى خيثمة من طريق صبح بن عبد الله الفَرْغانى حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد . وسيأتى فى ثامن التنبيهات أنه غير ثابت أيضا .

الحادى عشر : أنه كشامة [2] خضراء مُحْتضرة فى اللَّحم ، قليلا .

نقله ابن أبى خيثمة فى تاريخه عن بعضهم . وسيأتى فى ثامن التنبيهات أنه غير ثابت أيضا .

الثانى عشر : أنه كرُكْبة عَنْز :

روى الطبرانى وأبو نعيم فى المعرفة عن عَبّاد بن عمر رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم النبوة على طرف كتف النبى صلى الله عليه وسلم الأيسر كأنه رُكْبة عَنْز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يُرَى الخاتم .

سنده ضعيف .

الثالث عشر : أنه كبيضة حمامة مكتوب فى باطنها : الله وحده لا شريك له . وفى ظاهره : توجَّه حيث شئت فإنك منصور .

رواه الحكيم الترمذى وأبو نعيم ، قال فى المورد : وهو حديث باطل . ولهذا مزيد بيان فى ثامن التنبيهات .

الرابع عشر : أنه كنور يتلألأ .

رواه ابن عائذ ـ بعين مهملة ومثناة تحتية وذال معجمة .

الخامس عشر : أنه ثلاث شعرات مجتمعات .

ذكره أبو عبد الله محمد القُضَاعى ـ بضم القاف وبضاد معجمة وعين مهملة ـ رحمه الله تعالى فى تاريخه .

---

(١) ص : كأنها مثل عرف الفرس . والعبارة ساقطة فى ت م .

(٢) غيرط : أنه شامة .

السادس عشر : أنه عذرة[1] كعذرة الحمامة . قال أبو أيوب : يعنى قرطمة[2] الحمامة .

رواه ابن أبى عاصم فى سيرته .

السابع عشر : أنه كتِينة صغيرة تَضْرب إلى الدُّهْمة[3] .

رُوى ذلك عن عائشة رضى الله عنها .

الثامن عشر : أنه كشىء يُخْتم به .

روى ابن أبى شيبة عن عمرو بن أخطب أبى زيد الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا بظُفره . كأنه يَخْتم .

التاسع عشر : أنه كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كدارة القمر مكتوب فيها سطران : السطر الأول : لا إله إلا الله . وفى السطر الأسفل : محمد رسول الله . رواه أبو الدَّحْدَاح أحمد بن إسماعيل الدمشقى رحمه الله تعالى فى الجزء الأول من سيرته . قال فى « المورِد » و « الغُرَر » وهو باطل بيِّن البطلان .

العشرون : أنه كبيضة نعامة . روى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه قال : رأيت خاتمَ النبوّة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كبيضة النعامة يشبه جسده[4] .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى«مَوْرد الظمآن » روى هذا فى حديث الصحيح[5] فى صفته صلىَ الله عليه وسلم ولفظه : مثل بيضة الحمامة وهو الصواب .

قال الحافظ : تبيَّن من رواية مسلم « كرُكْبة عنز » أن رواية ابن حبان غلط من بعض الرواة .

---

(١) ص : أنه غدة . وما أثبته من ط ، ت ، م .
(٢) ص : يعنى فى طهرة الحمامة . وفى الهامش : قرطمة الحمامة .
(٣) الدهمة : السواد .
(٤) مورد الظمآن ص ٥١٤ .
(٥) مورد الظمآن ص ٥١٤ : فى حديث فى الصحيح .

قلت : ورأيت فى « إتحاف المهَرَة » للحافظ شهاب الدين البوصيرى رحمه الله تعالى بخطه : « كركبة البعير » وبيَّض لاسم الصحابى وعَزاه لمسند أَبى يَعْلى وهو وَهْم من بعض رواته كأنه تصحَّف عليه كركبة عَنْز بركبة بعير .

ثم رأيت ابن عساكر روى الحديث فى تاريخه من طريق أَبى يعلى وسمَّى الصحابى عبَّاد بن عَمْرو .

وقال الحافظ فى الإصابة فى سنده من لا يُعْرف . قلت : وقد تقدّم عنه فى الثانى عشر أنه كركبة عنز . ولم أظفر به فى مجمع الزوائد للهَيْثمى .

الحادى والعشرون : أنه غُدة [1] حمراء .

روى أبو الحسن ابن الضحاك عن جابر بن سمُرة رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم غدةً حمراء مثل بيضة الحمامة

***

تَنْبيهَاتٌ

الأول : اختلف فى موضع الخاتم من جسده صلى الله عليه وسلم : فى صحيح مسلم : أنه عند نُغْض كتفه الأيسر . وفى رواية شاذة عن سلمان أنه عند غُضْروف كتفه اليمنى . عزَى هذه الرواية الشيخُ فى الخصائص الكبرى والسخاوى فى جَمْع طُرق قصة سلمان من رواية أَبى قُرّة الكِنْدى عنه لدلائل البيهقى ولم أَر ذلك فى نسختين منها ، لا فى الكلام على خاتم النبوة ولا فى قصة سَلْمان ، فكأنه فى موضع آخر غيرهما .

الثانى : قال العلماء : هذه الروايات متقاربة فى المعنى وليس ذلك باختلاف بل كل راوٍ شبَّه بما نسخ له ، فواحد قال كِزرّ الحَجَلة [2] وهو بَيْض الطائِر المعروف أو أَزرار البشخاناه . وآخر كبيضة الحمامة . وآخر كالتفاحة وآخر بَضْعة لحم ناشزة . وآخر لحمة ناتئة . وآخر كالمِحْجمة . وآخر كرُكْبة العنز . وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم .

---

(١) غيرط : كغدة .

(٢) غيرط : كزر الحجل .

ومن قال : شَعْر . فلأن الشعر حوله متراكب عليه كما فى الرواية الأخرى .

قال أبو العباس القرطبى فى « المفهم » : دلت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزًا أحمر عند كتفه صلى الله عليه وسلم الأيسر إذا قُلِّل قَدْر بيضة الحمامة ، وإذا كبِّر قدر جُمْع اليد .

وذكر نحوه القاضى وزاد : وأما رواية جمع اليد[1] فظاهرها المخالفَة ، فتُتَأَوَّل على وفْق الروايات الكثيرة ، ويكون معناها : على هيئة جُمْع الكف لكنه أصغر منه فى قدر بيضة الحمامة .

* * *

الثالث : قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : والحكمة فى كون الخاتم عند نغض كتفه الأيسر أنه معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يوسوس لابن آدم .

قلت : روى أبو عُمَر بسند قوى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن رجلا سأل ربَّه[2] أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فأرِى جسدا مُمْهًى[3] يُرى داخله من خارجه ، وأرى الشيطان فى صورة ضفدع عند كتفه حِذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله فى مَنْكبه الأيسر إلى قلبه يُوَسْوس إليه فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خَنس[4]

قال السُّهيلى : والحكمةُ فى وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار[5] أنه صلى الله عليه وسلم لمّا مُلِىء قلبُه إيمانا خُتم عليه كما يُخْتَم على الوعاء المملوء مِسْكاً أودُرًّا ، فجمع الله تعالى أجزاء النبوة لسيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وتمَّمه وختم عليه بختمه فلم تجد نفسُه ولا عدوُّه سبيلا إليه من أجل ذلك الختم ، لأن الشىء المختومَ محروس ، وكذلك تدبير الله تعالى لنا فى هذه الدار إذا وجد أحدنا الشىء بختمه زال الشكُّ وانقطع الخصام فيما

---

(١) ط : جمع الكف .

(٢) فى ط : سأل ربه سنة .. الخ .

(٣) فى اللسان عن الليث : المهى إرخاء الحبل ونحوه . وأنشد لطرفة : .. لكالطول المهى وثنياه فى اليد .

(٤) ذكره فى جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٧٢ وقال إنه خبر مقطوع . وقال : أخرجه عبد البر – يقصد أبا عمر ابن عبد البر – بسند قوى إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز . وذكره أيضا صاحب الفائق .

(٥) غير ط على جهة اليسار . وهو تحريف .

بين الآدميّين ، فلذلك ختَم رب العالمين فى قلبه ختمًا يطمئن له القلبُ وألقى فيه النور ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كالبيضة[1] .

* * *

الرابع : قال الحافظ : مقتضى الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجوداً عند ولادته صلى الله عليه وسلم ، وإنما وضِع لما شُقَّ صدره عند حليمة وفيه تعقُّب على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم ولِد به ، وهو قولٌ نقله أبو الفتح بلفظ : قيل ولد به وقيل حين وضع . ونقله مُغَلْطاى عن ابن عائِذ .

قال الحافظ : وما تقدم أثْبت .

قلت : وصححه فى « الغُرَر » وتقدمت الأحاديث التى فيها ذِكْر الختم فى باب شَقَّ صدره الشريف صلى الله عليه وسلم فراجعها[2] .

ومقتضاها والحديث السابق أول هذا الباب أن الختم تكرر ثلاث مرات : الأول وهو فى بلاد بنى سعد . والثانية : عند المبعث . والثالثة: ليلة الإسراء ، ولم أقفْ فى شىء من أحاديث شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين على ذكر الخاتم . فالله تعالى أعلم .

* * *

الخامس : سئل الحافظ برهان الدين الحلبي رحمه الله تعالى : هل خاتم النبوة من خصائِص النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أو كلّ نبي مختوم بخاتم النبوة ؟ فأجاب : لا أستحضر فى ذلك شيئًا ولكن الذى يظهر أنه صلى الله عليه وسلم خُصَّ بذلك لمعان منها : أنه إشارة إلى أنه خاتم النبيين وليس كذلك غيره . ولأن باب النبوة خُتِم به فلا يُفتح بعده أبدًا .

وروى الحاكم عن وهب بن منبّه رحمه الله تعالى قال : لم يبعث الله نبيا إلا وقد كانت عليه شامة النبوة فى يده اليمنى ، إلا أن يكون نبيُّنا صلى الله عليه وسلم ، فإنَّ شامةَ النبوّة كانت بين كتفيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الروض الأنف ١/١٠٩ .

(٢) سبق ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

فعلى هذا يكون وضع الخاتم بظهر النبي صلى الله عليه وسلم مما اختص به عن الأنبياء وجزم به الشيخ رحمه الله تعالى فى « أنموذج اللبيب» كما فى النسخ الصحيحة خلافاً[1] لما وقع فى غيرها مما يخالف ذلك .

* * *

السادس : قال القاضى رحمه الله تعالى : إن الختم هو أثر شَقّ المَلَكيْن لما بين كتفيه. وتعقبه النووى فقال : هذا باطل لأن الشق إنما كان فى صدره صلى الله عليه وسلم وبطنه ، وقال القرطبي أثره - أى الشق - إنما كان خطًّا واضحًا من صدره إلى مَراقّ بطنه كما فى الصحيح . ولم يثبت قط أنه بلغ الشق حتى نفَذ من وراء ظهره ، ولو ثبت لزم عليه أن يكون مستطيلا من بين كتفيه إلى بطنه أى أسفل بطنه لأنه الذى يحاذى الصدر من مَسْربته إلى مراقّ البطن . قال : فهذه غفلة من القاضى .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : كذا قال . وقد وقفت على مستند القاضى وهو حديث عتبة بن عَبْد السُّلَمىّ وفيه أن الملكين لما شقَّا صدره صلى الله عليه وسلم قال أحدهما للآخر خطْه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة . انتهى . فلما ثبت أن خاتم النبوة بين كتفيه كان ذلك أثر الخَتْم[2]

وفهم النووى وغيره أن قوله : «بين كتفيه » متعلق بالشق ، وليس كذلك بل هو متعلق بالختم ويؤيّده ما فى حديث شدَّاد بن أَوْس عند أبى يعلى وأبى نُعَيْم فى الدلائل أن الملَك لما أخرج قلبه وغسَله ثم أعاده ختم عليه بخاتم فى يده من نور فامتلأ نورًا وذلك نور النبوة . فيحتمل أن يكون ظهَر من وراء ظهره عند كتفه الأيسر لأن القلب فى تلك الجهة .

وفى حديث عائشة عند أبى داود الطيالسى وابن أبى أُسامة وأبى نعيم فى الدلائل أن جبريل وميكائيل لما تراءيا له عند المبعث « هبط جبريل فسَلقنى لِحلاوةِ القفَا ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم غسله فى طَسْت من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم ألقانى

---

(١) ط : خلافا لغيرها .

(٢) غير ط : أثر الخاتم .

وختم فى ظهرى[1] حتى وجدت بَرْد[2] الخاتم فى قلبى وقال: اقرأ » وذكر الحديث[3]. هذا مستند القاضى رحمه الله تعالى وليس بباطل .

قلت : وقد تقدم فى التنبيه الثالث من كلام السُّهَيْلى ما يوضِّح ما ذكره القاضى فراجعه .

السابع : وقع فى حديث شدَّاد بن أوس فى مَغازى ابن عائذ فى قصة شقّ صَدْره صلى الله عليه وسلم وهو فى بلاد بنى سعد بن بكر «وأقبل وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه » وهذا قد يؤخذ منه أن الختم وقع فى موضعين من جسده صلى الله عليه وسلم والعلم عند الله تعالى .

الثامن : قال الحافظ : ما قيل إن الخاتم كان كأثر مِحْجم[4] أو كالشامة السوداء أو الخضراء مكتوب عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله أو سِرْ فإنك المنصور . ونحو ذلك فلم يَثْبت من ذلك شىء ولا يُغيّر بما وقع فى صحيح ابن حبان فإنه غَفَل حيث صحح ذلك .

وقال القطب فى « المَوْرد » والمحب ابن الشهاب بن الهائم فى « الغُرَر»: إنه حديث باطل . ونقل أبو الخطاب بن دِحْية رحمه الله تعالى عن الحكيم الترمذى أنه قال : كان الخاتم الذى بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمامة مكتوب فى باطنها : الله وحده . وفى ظاهرها : تَوجَّه حيث شئت فإنك منصور . قال ابن دحية : وهذا غريب واستنكروه .

وتقدم لهذا مزيد بيان فى فصل : اختُلف فى صفة خاتم النبوة فراجعه .

التاسع : قيل إن الخاتم النبوى الذى كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم رُفع عند وفاته فكان بهذا عُرف موته صلى الله عليه وسلم . فروى أبو نعيم والبيهقى من طريق الواقدى

---

(١) ط : فى صدرى .
(٢) ط : مس الخاتم .
(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٧٥ .
(٤) غيرط : كأثر المحجم .

عن شيوخه قالوا: شكوا فى موت النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : قد مات . وقال بعضهم : لم يمت . فوضعت أسماء بنت عُمَيْس رضى الله تعالى عنها يَدها بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : قد مات ، قد رُفع الخاتم من بين كتفيه . وكان بهذا عرف موتُه صلى الله عليه وسلم .

ورواه ابن سعد عن الواقدى عن أم معاوية أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره [1] .

والواقدى متروك بل كذَّبه جماعة .

وذكر فى « الزهر » أن الحاكم روى فى تاريخه عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها لمست الخاتم حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد رُفع . انتهى .

ووقع لى نِصْف تاريخ الحاكم فطالعته فلم أر فيه ذلك وكأنه فيما لم يقع لى . فلينظر سنده ، وما أخاله صحيحا . وعلى تقدير كونه صحيحا قال فى « الاصطفاء » فإن قيل : النبوة والرسالة باقيتان بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة كما يبقى وصفُ الإيمان للمؤمن بعد موته لأن المتصف بالنبوة والرسالة والإيمان هو [2] الروح وهى باقية لا تتغير بموت البدن كما صرح به النسفى فلم رُفع ما هو علامة على ذلك ؟

قلت : لأنه لما وضع لحكمة وهى تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم الأمن منه بالموت فلم يبق لبقائه فى جسده فائدة . وما ذكره النسفى من بقاء النبوة والرسالة بعد موت الأنبياء حقيقة هو مذهب أبى الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى وعامة أصحابه ، لا لما قال النسفى بل لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم كما وردت به الأخبار وسيأتى تحقيق ذلك فى باب حياته فى قبره صلى الله عليه وسلم .

العاشر : روى الحافظ إبراهيم الحَرْبى فى غريبه وابن عساكر فى تاريخه ، عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : أَرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفه فالتقمت خاتم النبوة بفِيّ فكان ينمّ علىَّ مسْكا .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٧٢ (ط بيروت) .

(٢) ت م : هى الروح .

الحادى عشر : فى بيان غريب ما سبق : زرّ الحَجَلة : اختلف فى ضبط زرّ وفى الحجلة ومعنييهما . فقيل فى « زر » إنه بتقديم الزاى على الراء المشددة والحَجلة بفتح الحاء المهملة والجيم وعلى هذا فقيل المراد بالزِّر الذى يعقد به النساءُ عُرَى حجُولهن كأزرار القميص والحجلة بيتٌ من ثياب كالقُبّة يُجعل بابه من جنبه [1] يُجعل فيه الزِّر والعُرْوة . وقيل : المراد بالزر البَيْض والحجَلة الطائر المعروف . قال الترمذى رحمه الله تعالى : ويساعده فى ذلك رواية كبيضة حمامة . قال النووى : والصحيح المشهور هو الأول . وقيل المراد بالحجلة من حجَل الفرس . نقله البخارى فى الصحيح عن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أبى زيد [2]

قال فى المطالع وقيَّده بعضهم بضم الحاء وفتح الجيم . قال فى المطالع : إن كان سمِّى البياض الذى بين عينى الفرس حُجْلة لكونه بياضا كما سمى بياض القوائم تحجيلا فما معنى الزرّ مع هذا [3] ؟ لا يتجه لى فيه وَجْه .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : واستبعد السُّهيلىّ قولَ ابن عبيد الله بأنها من حجل الفرس الذى بين عينيه بأن التحجيل إنما يكون فى القوائم وأما الذى فى الوجه فهو الغُرَّة وهو كما قال ، إلا أن منهم من يطلق على ذلك مجازًا وكأنه أراد أنها قَدْر الزر وإلا فالغُرة لا زِرّ لها .

وضبطه بعضهم بتقديم الراء على الزاى . حكاه الخطَّابى وفسره بأنه البيض من قولهم أَرَزَّت الجرادةُ بفتح الراء وتشديد الزاى إذا أدخلت ذَنبها فى الأرض لتبيض . فاستعار له الطائر . قال فى « المفهم » : لا يسمى العربُ البيضة « رُزَّة [4] » ولا تؤخذ اللغة بالقياس .

النُغْض ـ بنون تضم وتفتح فغين ساكنة فضاد معجمتين ـ قال الجمهور : النغض والناغض : أعلى الكتف . وقيل هو العَظْم الدقيق الذى على طرفه [5] وقيل : ما يظهر عند التحرُّك .

---

(١) ط : من جنسه .

(٢) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : ابن محمد بن يزيد . والذى فى صحيح البخارى : قال ابن عبيدالله : الحجلة من حجل الفرس الذى بين عينيه . قال ابن حجر هكذا وقع وكأنه سقط منه شىء ، لأنه يبعد عن شيخه – يريد شيخ البخارى ابن عبيد الله – أن يفسر الحجلة ولم يقع لها فى سياقه ذكر ، وكأنه كان فيه : مثل زر الحجلة ثم فسرها .
فتح البارى ٦/٤٣٩ (ط عبد الرحمن محمد) .

(٣) غير ط : فى هذه .

(٤) غير ط : الرزة .

(٥) ص : على كتفه .

السِّلْعَة . بكسر السين وسكون اللام وفتح العين : وهى هنا خُرَّاج كهيئة الغُدّة يتحرك بالتحريك .

البَضْعة : القطعة من اللحم والجمع بَضْع وبَضَعات. وبِضَع وبِضَاع . مثل تَمْرَة وتَمْر وسَجَدات وبِدَر وصِحَاف .

ناشِزة : بنون وشين مكسورة فزاى معجمتين : مرتفعة .

ناتئة – بالهمز وتَرْكه : أى خارجة من موضعها من غير أن تَبِين .

جُمْع – بضم الجيم ، وحكى ابن الجوزى وابن دحية كَسْرها وبه جزم فى « المفْهم » إسكان الميم أى مَجْمَع الكف وهو صورته بعد أن تَجمع الأَصابع وتضمها يقال ضربه بجُمْع كفه .

خِيلان – بخاء معجمة مكسورة فمثناة ساكنة : جمع خال وهو الشامة فى الجسد .

الثَّآليل – بالثاء المثلثة – جمع ثُؤْلول بهمزة ساكنة وزَان عُصْفور ويجوز التخفيف : حَبّ يظهر فى الجسد كالحمصة فما دونها . قال القرطبي فى المفهم :نقط سود كانت على الخاتم شبَّهها بها لسعتها لا أنها كانت ثآليل .

الغُضْروف : رأس لوح الكتف . متراكبات[1] : مجتمعات .

سَلَقنى . ألقانى على ظهرى . قال فى النهاية : ويروى بالصاد أيضا وبالسين أكثر

---

(١) ط : متراكمات .

الباب الثالث عشر

فى صفة صدره وبطنه صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر سواء البطن والصّدر مشيح الصَّدْر .

رواه الترمذى[1] .

وقالت أُم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : لم تَعِبْه ثَجْلة ولا تُزْريه[2] صُعْلة .

رواه الحارث بن أبى أُسامة .

وقالت أُم هانئ رضى الله تعالى عنها ؛ ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلا تذكرت القراطيس المثنىّ بعضها على بعض .

رواه أبو داود الطيالسى وابن سعد[3]

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن أبى خيثمة فى تاريخه : كانت له صلى الله عليه وسلم عُكَن ثلاث يغطى الإزارُ منها واحدةً ويظهر ثنتان ، ومنهم من قال : يغطى الإزارُ منها ثنتين ويظهر واحدة ـ تلك العُكَن أبيض من القباطىّ المطواة وألْيَنَ مسًّا .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفَاض البطن .

رواه الترمذى والبيهقى[4] .

---

(١) شرح الشمائل ١/٣٢ . والرواية فيه : سواء البطن والصدر عريض الصدر .

(٢) كذا والرواية : ولم تزر به صعلة . الوفا لابن الجوزى ص ٢٤٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ١/٤١٩ (ط بيروت) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٨٨ .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنور المتجرَّد دقيق المسْربة مَوْصول ما بين اللبّة والسّرة بشعر يجرى كالخط[1] عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر .

رواه الترمذى[2] .

وقال أبو أمامة رضى الله تعالى عنه كان رسول اللهصلى الله عليهوسلم متفتق الخاصرة[3] .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الكَشْحين .

رواه ابن عساكر[5] .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل المَسْرُبَة

رواه الترمذى وصححه[6] .

وقال أيضا : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعر يجرى من لَبَّته إلى سُرَّته كالقضيب ليس فى صدره ولا بطنه شعر غيره .

رواه ابن سعد وابن عساكر[7] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دَقِيق المَسْرُبة له شعرات من لَبَّته إلى سُرَّته كأنهن قضيب مِسْك أذْفر ، ولم يكن فى جسده ولا صدره شعرات غيرهن .

رواه ابن عساكر[8] .

---

(١) كذا ولعلها : كالخيط ، كما فى شمائل الترمذى .

(٢) شرح الشمائل لابن جسوس ١/٣١ ، ٣٢ .

(٣) غير ص : مفتق . وفى تاريخ ابن عساكر : منفتق .

(٤) تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٢ .

(٥) تاريخ ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٦) شرح الشمائل ١/١٩ .

(٧) طبقات ابن سعد ١/٤١٠ (ط بيروت) .
وتاريخ ابن عساكر ١/٣١٦ .

(٨) تاريخ ابن عساكر ١ ٣١٧ نحو هذا .

[تفسير الغريب]

سَوَاء : بالمد أى مستوى البطن والصدر يعنى أن يظنه غير خارج فهو مساوٍ لصدره وصدره عريض فهو مُسَاوٍ لبطنه .

مُشِيح – بميم مضمومة فشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة . أى بادِيَ الصدر غير قَعَسٍ ، والقَعَسُ : نتوءُ الصّدر خِلْقة .

ويروى : فَسِيح الصدر بالفاء ومهملتين أى واسع الصدر .

الثُّجْلة – بثاءٍ مثلثة وجيم ساكنة فلام مفتوحة : عِظَم البطن ويروى بالنون والحاء المهملة وهو النحول وهو الدقة وضعف التركيب .

ولا تُزْريه . بضم أوّله .

الصُّقْلة . بالصاد المهملة والقاف[1] : الدقة والنحول . وقيل أرادت أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منتفخ الخاصرة جدا ولا ناحلا جدا .

القراطيس : جمع قِرْطاس .

مُفَاض البطن : أى واسعه . وقيل مستوى البطن مع الصدر .

أنْوَر : من النور [2] تريد شدة بياضه وحُسْنه .

المتجرَّد – بضم الميم وفتح التاء والجيم والراء المشددة : ما جرّد[3] عنه الثوب من بدنه وهو المجدَّد أيضا .

المَسْرُبَة – بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء وفتح الباء الموحدة فتاء تأنيث : الشعر المُسْتَدقّ ما بين اللبّة إلى السّرة .

---

(١) كذا والذى فى المراجع : صعلة . بالعين المهملة .
(٢) ت م : من التنوير .
(٣) ت م : ما جمد .

اللَّبَّة ـ بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة : المَنْحَر وهى التَّطامُن الذى فوق الصدر وأسفل الحلق بين الترقوتين وفيها تُنْحر الإبل .

عارى الثَّدْيَيْن إلى آخره : أى أن ثدييه وبطنه ـ ليس عليهما شعر سوى المسْرُبة المتقدم ذكرها الذى جعله جاريًا كالخطّ .

الأَشعر : الذى عليه الشعر من البدن .

الكَشْح : الخصْر .

الباب الرابع عشر

فيما جاء فى شق صدره وقلبه الشريفين صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « أَلم نَشْرح لك صَدْرَك » قال فى الكشاف : استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار مبالغة فى إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل : شرَحْنا لك صدرك . ولذلك عطف عليه « ووضَعْنا » اعتبارا للمعنى[1] .

قال الطيبى : أى أنكر عدم الشرح فإذا أنكر ذلك ثبت الشرح لأن الهمزة للإنكار والإنكار نَفْى ، والنفى إذا دخل على النفى عاد إثباتا ، ولا يجوز جعل الهمز للتقرير .

قال الراغب رحمه الله تعالى : أصل الشرح بَسْط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شَرْحَ الصدر وهو بَسْطه بنور إلهى وسكينة من جهة الله وروح منه[2] .

النقَّاش[3] : الشرح التَّوسعة وكلُّ ما وسَّعته فقد شرحته .

الراغب : الصدر الجارحة وجمعه صدور . قال بعض الحكماء : حيثما ذكر الله تعالى القلبَ فإشارة إلى العقل والعلم نحو : « إنَّ فى ذلك لَذِكْرَى لمن كان له قَلْبٌ »[4] وحيثما ذكر الصَّدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى ونحوهما وقوله : تعالى « ربِّ اشرحْ لى صَدْرى[5] » سؤال لإصلاح قواه وكذا : « ويَشْفِ صدور قوْم مُؤْمنين[6] » فإشارة إلى ذلك .

مكِّى : المراد بالصدر القلب ، لأنه وعاء الفهم والعلم وإنما ذكر الصدر لقربه من القلب وامتزاجه به .

---

(١) تفسير الكشاف ٤/٦١٤ (ط الاستقامة) .
(٢) مفردات الراغب ص ٢٥٨ (ط الحلبى) .
(٣) كذا فى ط وفى بقية النسخ : الشاسى .
(٤) سورة ق ٣٧ .
(٥) سورة طه ٢٥ .
(٦) سورة التوبة ١٤ .

الحكيم الترمذى : ذكر الصدر دون القلب لأن[1] محل الوسوسة فى الصدر ، فأزال الله تلك الوسوسة وأبْدَلها بدواعى الخير وهى الشَّرْح . وقيل القلب محلّ العقل والمعرفة وهو الذى يقصده الشيطان فإن الشيطان يجىء الصدر الذى هو حصن القلب فإذا وجد مَسْلكًا أغار عليه فيضيق القلب ولا يجدُ للطاعة لذةً ولا للإسلام حلاوة فإذا طرد العدوّ فى الابتداء حصل الأمن وزال الضِّيق وانشرح الصدر وتيسّر له القيام بأداء العبوديّة .

الأُستاذ أبو على الدَّقاق رحمه الله تعالى : كان موسى صلى الله عليه وسلم مريدًا إذ قال : « ربِّ اشرحْ لى صَدْرى » وكان نبينا صلى الله عليه وسلم مُرَادًا إذ قيل له : «ألم نَشْرحْ لك صدرك » .

الإمام الرازى رحمه الله تعالى : وإنمّا لم يقل : ألم نشرح صدرك دون « لك » لوجهين : أحدهما : أراد شرحتُه لأجلك كما تفعل أنت الطاعة لأجْلى . الثانى : أن فيه تنبيهًا على أن منافع الرسالة عائدة إليه عليه الصلاة والسلام ، كأنه قيل إنمّا شرحنا [لك] صدرك لأجلك لا لأجلى .

وإنما قال « نَشْرح » بنون العظمة لأن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يضيق صدره من مُنَازعة الجن والإنس فآتاه الله تعالى من آياته ما اتسع لكل ما حمله صلى الله عليه وسلم .

واختلف المفسرون فى معنى الآية على أقوال : فقال الإمام البيضاوى رحمه الله تعالى : ألم نُفْسحه حتى وَسِع مناجاةَ الحق ودعوة الخَلْق وكان غائبا حاضرا أو : ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحِكَم وأزَلْنا عنه ضيق الجهل . أو : بما يسَّرناه لك من تلقّى الوحى بعد ما كان يشق عليك[2] .

وقيل : إنه إشارة إلى ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صِبَاه أو يوم أخْذ الميثاق فاستخرج قلبه فغسله فملأه إيمانا وعِلما[3] ولعله إشارة إلى نحو ما سبق انتهى .

---

(١) ص : لأنه محل الوسوسة فى الصدر .

(٢) تفسير البيضاوى ٢/٣٧٥ (ط الميمنية) .

(٣) غير ط : وحلما .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى حواشيه : إن أراد بقوله « يوم الميثاق » يوم أخذه فى عالم الذَّرّ فلا أصل له . وإن أراد به يوم بُعث ونُبِّئ . وبيّض الشيخ هنا . قلت : وكأنه أراد : فله أصل . كما سيأتى فى المرة الثالثة .

ولا منافاة بين هذه الأقوال السابقة وبين شق صدره صلى الله عليه وسلم فإن من جملة شَرْح صدره شقه وإخراج ما فيه من أذى كما أشار إلى ذلك الحافظان أبو جعفر محمد ابن جَرِير الطَّبَرى وابن كَثِير رحمهما الله تعالى .

* * *

وقد تكرَّر شقُّ صدره الشريف صلى الله عليه وسلم أربع مرّات : الأُولى : وهو صلى الله عليه وسلم صغير فى بنى سعد .

روى البيهقى عن إبراهيم بن طَهْمان – بفتح الطاء المهملة رحمه الله تعالى : قال سألت سعدًا عن قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » فحدثنى عن قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : شُقَّ بطنه صلى الله عليه وسلم من عند صدره إلى أسفل بطنه فاستخرج قلبه إلخ .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشَقَّ عن قلبه واستخرج القلبَ ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله فى طَسْت من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده مكانه . وجعل الغلمان يَسْعون إلى أُمّه – يعنى ظِئره – فقالوا : إن محمدًا قد قُتل فجاءوه وهو مُنْتقع اللون . قال أنس : فلقد كنت أرى أثر المِخْيط فى صدره صلى الله عليه وسلم

وروى الإمام أحمد والدارمى والحاكم وصححه والطبرانى والبيهقى وأبو نُعَيْم ، عن عُتْبة ابن عَبْد – بغير إضافة – السُّلَمى رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقتُ أنا وابن لها فى بَهْم لنا ولم نأخذ معنا زادًا فقلت : يا أخى اذهب فائتنا بزادٍ من عند أمنا . فانطلق أخى ومكثتُ عند البَهْم فأقبل إلىّ طائران كأنهما نَسْران فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم فأقبلا . يبتدرانى فأخذانى فبطَحانى للقفا فشقَّا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقَّاه فأخرجا منه علقتين سَوْداوَيْن

فقال أحدهما لصاحبه : إيتنى بماء ثَلْج فغسلا به جَوْفى - ثم قال : إيتنى بماء بَرَد فغسلا به قلبى . ثم قال : ايتنى بالسَّكينة فذرَّاها فى قلبى . ثم قال أحدهما لصاحبه حُصْه . فحاصه وختم عليه[1] بخاتم النبوّة . وذكر الحديث .

[تفسير الغريب]

الظِّئْر ومُنْتقع اللَّون . تقدما فى شرح غريب قصة الرضاع . المِخْيط بكسر الميم : ما يخاط به . البَهْم وَزْن فَلْس - جمع بهْمة وهى الصغير من أولاد الغنم .

نَسْران : تثنية نَسر - طائر معروف والجمع أَنْسُر ونُسور مثل فَلْس وأَفْلس وفُلوس .

ذَرَّاها بذال معجمة : حَشياهَا[2]

حُصْه بحاء مهملة مضمومة : أى خِطْه يقال حاص الثوبَ يَحُوصه حوصًا إذا خاطه

***

المرة الثانية : وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين .

روى عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المُسْند بسندٍ رجَاله ثقات ، وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء ، فى « المُخْتارة » عن أُبَىّ بن كعب رضى الله تعالى عنه أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال يارسول الله ما أولُ ما ابتُدئتَ به من أمر النبوة ؟ قال : إنى لفى صحراء أَمْشِى ابن عشر حِجَج إذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال نعم . فأخذانى فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخَلْق قط وأرواح لم أرها من خَلْق قط ، وثياب لم أرَها على أحد قط ، فأقبلاَ إلىّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعَضُدى لا أجد لأخذهما مَسًّا . فقال أحدهما لصاحبه : أَضْجعه فأضجعانى بلا قَصْر ولا هَصْر وفى لفظ : فقلبانى[3] لِحَلاوة القفا ثم شقَّا بطنى . وفى لفظ فقال أحدهما

---

(١) ط : وختمه .

(٢) مجمع الزوائد : ٢٢٢/٨ وهو فى دلائل النبوة للبيهقى ٣٥٢/١ .
وقال : رواه أحمد والطبرانى وإسناد أحمد حسن .

(٣) ط : فصلقانى وفوقها : فلصقانى . وما أثبته من ص ، ت ، م .

لصاحبه : افلق صدره . فخَوَى أحدهما إلى صدْرى ففلقه[1] فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء فى طَسْت من ذهب والآخر يغسل جَوفى فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره فإذا صدرى فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعًا ثم قال : شق قلبه فشق قلبى فقال : أخرج الغِلَّ والحسد منه . فأخرج شبه العَلَقة فنبَذ به . ثم قال : أدخل الرأفةَ والرحمةَ فى قلبه . فأدخل شيئا كهيئة الفضَّة . ثم أخرج ذَرُورا كان معه فذَرَّه عليه ثم نقَر إبْهَامى ثم قال : اغْدُ واسْلَم . فرجعت بما لم أغد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير[2] .

[تفسير الغريب]

الحِجَج : بكسر الحاء وفتح الجيم الأُولى السِّنُون .

الأَرواح : جمع رِيح بمعنى الرائحة وهى عَرَض يدرك بحاسة الشم وهى مؤنثة يقال ريح[3] ذكية .

بلا قَصْر : قصرتُ الثوبَ أى أرخيته بلا استرخاء . ولا هَصْر : قال فى النهاية : هصَر ظَهْرَه أى ثناه إلى الأرض . وأصل الهَصْر أن تأخذ برأس العود فتَثْنيه إليك وتَعْطفه .

حلاوة القفا : يأتى بيانه فى بيان غريب المرة الثالثة .

خَوى أحدُهما إلى صدرى : أى مال إليه .

ذَرُورًا : بفتح الذال المعجمة

---

(١) ط : ففلقاه .

(٢) ط : ورقى على الكبير . والحديث فى مجمع الزوائد ٢٢٣/٨ . وقال : رواه عبد الله – أى ابن الإمام أحمد – ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان .

(٣) غير ط : رائحة .

المرة الثالثة : عند المبعث

روى أبو داود الطيالسى والحارث ابن أبى أسامة فى مسنديهما ، والبيهقى وأبو نعيم كلاهما فى الدلائل ، عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم نذَر أن يعتكف شهرًا هو وخديجة . فوافق ذلك شهرَ رمضان فخرج ذات ليلة فسمع : السلام عليك . قال : فظننت أنها فُجَاءة الجن ، فجئت مسرعًا حتى دخلت على خديجة فقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها فقالت : أبْشر فإنَّ السلام خير . ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس له جناحٌ - بالمشرق وجناح بالمغرب فهِلْت منه فجئت مسرعا فإذا هو بينى وبين الباب فكلَّمنى حتى أنِسْت منه ثم وعَدنى مَوْعدا فجئت له فأبطأ علىّ فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سدَّ الأُفق فهبط جبريلُ وبقى ميكائيل بَيْن السماء والأرض ، فأخذنى جبريل فألقانى لحلاوة القفا ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله فى طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم أكفأنى كما يُكْفَأ الإناء ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مَسَّ الخاتم فى قلبى . وذكر الحديث[1] .

فُجَاءة الجن بالضم والمدّ ، وفى لغة بوزن تَمْرة : بَغْتة .

هِلْت منه : خِفْت وزنًا ومعنىً .

الأُفق . بضم الهمزة والفاء : الناحية والجمع آفاق .

حَلَاوة القفا : بتثليث الحاء المهملة وحُلَاواه . فإن ضممْت قَصرْت وهى وسط القفَا .

أكفأنى : قَلَبنى .

***

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٧١ .

المرة الرابعة : ليلة الإسراء

روى مسلم والبَرْقانى بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبالقاف والنون ، وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُتيت وأنا فى أهلى فانطُلق بى إلى زمزم فشُرح صدرى ، ثم أُتيت بطَسْت من ذهب ممتلئا حكمة وإيمانا فحشِى بهما صدرى . قال أنس والنبى صلى الله عليه وسلم يُرِينا صدره . فعرج بى الملَك إلى سماء الدنيا . وذكر حديث المعراج[1] .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن مالك بن صَعْصعة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم حدَّثهم عن ليلة أُسْرِى به قال : بينما أنا فى الحطِيم وربما قال قتادة : فى الحِجْر . مُضْطجعًا إذ أتانى[2] آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط من الثلاثة . فأتانى فشقَّ ما بين هذه إلى هذه . يعنى من ثغرة نحره إلى شِعْرته . فاستخرج قلبى . فأُتيت بطَسْت من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبى ثم حُشِى ثم أُعيد . ثم أُتيت بدابة دُون البغل وفوق الحمار .

ورواه البخارى من طريق شُرَيْك عن أنس رضى الله تعالى عنه[3] . والله أعلم .

ذكر احاديث فيها شق صدره صلى الله عليه وسلم من غير تعيين زمان

عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله كيف عَلمت أنك نبىّ حتى علمت ذلك واستيقنت أنك نبىّ ؟ قال : يا أبا ذر أتانى ملَكان وأنا فى بعض بطحاء مكة فوقع أحدُهما بالأرض[4] وكان الآخر بَيْن السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : هو هو ؟ فقال : هو هو . فقال : زِنْه برجل فوزِنْتُ برجُل فرجَحْت . فقال[5] : زنه بعشرة فوزنتهم . فقال : زنه بمائة فوزَنتنى بمائةٍ فرجحتهم . ثم قال : زنه

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى شرح النووى على مسلم ٢/٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) ط : إذأتاه .

(٣) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب رقم ٦ وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٩ ، ٢٦٤ . ومسند أحمد ٤/٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٤) ط : على الأرض :

(٥) ط : ثم قال .

بألف . فوزنني بألف فرجحتهم فجعلوا يَنْتَثرون علىَّ من كِفة الميزان . فقال أحدهما للآخر : لو وزنتَه بأُمته رَجَحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شُقَّ بطنَه فشقَّ بطنى ثم قال أحدهما لصاحبه اغسل قلبَه[1] فشَقَّ قلبى[2] فأخرج منه مَغْمز الشيطان وعَلَق الدم فطرحهما ثم قال أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غَسْلَ الإناء واغسل قلبه غسل المُلَاءة ، ثم دعا بسكِّينةً كأنها برهرة بيضاء فأُدخلتْ قلبى ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه . فخاط بطنى فجعلا الخاتم بين كتفىّ فما هو إلا أن ولَّيا عنِّى فكأنما أُعَاين الأمر معاينة .

رواه الدارمى والبزَّار والرّويانى وابن عساكر والضِّيَاء فى المختارة .

وروى البيهقى عن يحيى بن جَعْدة [3] رحمه الله تعالى مُرْسَلا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ملَكين جاءانى فى صورة كُرْكيَّيْنِ معهما ثلج وبَرَد وماء بارد فشقَّ [4] أحدهما صدرى ومجّ الآخر بمنقاره فيه فغسله[5] .

وروى أبو نعيم عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس بمهملتين فى طرفيه وموحدة وزن جَعْفر رحمه الله تعالى ـ مرسلا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى مَلك بطَسْت من ذهب فشق بطنى فاستخرج حُشوة جوفى فغسلها ثم ذرَّ عليه ذَرُورا ثم قال : قلبٌ وَكِيع يعى ما وضع[6] فيه عينان[7] بصيرتان وأذنان تسمعان وأنت محمد رسول الله المقفِّى الحاشِر ، قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخُلقك قيِّم وأنت قُثَم [8] .

وروى الدارمىّ وابن عساكر ، عن ابن غَنْم ـ بغين معجمة مفتوحة فنون ساكنة ـ وهو مختلف فى صحبته رضى الله تعالى عنه قال : نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ط : أخرج قلبه .

(٢) غير ط : فشق بطنى .

(٣) تابعى ثقة روى عن جدته لأبيه أم هانئ بنت أبى طالب ترجمته فى تهذيب التهذيب ١١/١٩٢ .

(٤) دلائل النبوة للبيهقى : فشرح أحدهما صدرى .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ١/٨٦ وقال : هذا مرسل ، وقد روى حديث الشق بإسناد صحيح موصول . وهو فى الخصائص الكبرى للسيوطى ١/١٦٠ (ط الهراس) .

(٦) كذا فى ط وفى ص ، ت ، م : ما وقع فيه . وهو كذلك فى الخصائص الكبرى .

(٧) ص ، ت ، م : عيناك بصيرتان وأذناك سميعتان .
وفى الخصائص : عيناك بصيرتان وأذناك تسمعان . وما أثبته من ط .

(٨) الخصائص الكبرى ١/١٦٢ .

وسلم فشقّ قلبه[1] ثم قال جبريل : قلبك[2] وكِيع فيه أُذنان سميعتان وعينان بصيرتان محمد رسول الله المقفّى الحاشر خُلقك قيِّم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة .

ذكر غريب ما تقدم

ثُغْرة النَّحْر : بالضم : وهى النقرة التى بين الترقوتين .

شِعْرته بكسر الشين المعجمة : العانَة .

كَفَّة الميزان : بتثليث الكاف والكسر أشهر .

مَغْمِز الشيطان : بفتح الميم الأولى وإسكان الغين المعجمة وكسر الميم الثانية وآخره زاى ، وهو الذى يَغْمزه الشيطان من كل مولود ، إلا عيسى بن مريم وأُمه لقول أمّها حَنَّة : « وإنى أُعيذُها بك وذُريَّتها من الشيطانِ الرجيم[3] » قال السُّهيلى : ولا يدل هذا على أفضلية عيسى على نبينا صلى الله عليه وسلم فقد نُزع ذلك منه ومُلئ حكمةً وإيماناً بعد أن غسله روحُ القُدس بالثلج والبَرَد .

المُلاءة بالضم والمد : الإزار .

سكينة وبرهرة . سيأتى الكلام عليها .

حُشْوة بضم الحاء وكسرها : الأمعاء .

وكيع قال فى النهاية : قلبٌ وكيع : واع : أى متين مُحْكَم ومنه قولهم : سِقَاء وكيع إذا كان مُحْكَم الخَرْز .

قيِّم بمثناة تحتية . وقثم : بمثلثة . وتقدم الكلام عليهما فى الأسماء[4] .

---

(١) ط : بطنه .

(٢) ط : قلب وكيع .

(٣) سورة آل عمران ٣٦ .

(٤) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٦١٦ ، ٦١٨ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ أبو الفضل العراقى رحمه الله تعالى فى أوّل شرحه لتقريبه :قد أنكر صحّة وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ابنُ حَزْم وعِيَاض وادَّعَيا أنه تخليط من شُرَيْك . وليس كذلك فقد[1] ثبت فى الصحيحين من غير طريق شريك .

وقال الإمام أبو العباس القرطبي فى المفْهم : لا يُلْتفت لإنكار شق الصدر ليلة الإسراء لأن رواته ثِقَات مشاهير .

وقال الحافظ : قد أنكر شقّ الصدر ليلة الإسراء بعضُهم ولا إنكار فى ذلك ، فقد تواترت به الروايات .

الثانى : قال القرطبي فى المُفهم والتُّورَبِشْتى - بضم المثناة الفوقية وفتح الراء وكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة بعدها مثناة فوقية - فى شرح المصابيح والطِّيبيّ فى شرح المشكاة والحافظ والشيخ وغيرهم رحمهم الله تعالى أن جميع ما وَرَدَ فى شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مما يجب التسليم له دون تعرّض لصَرْفه عن حقيقته لصَلاحية القدرة فلا يستحيل شىء من ذلك . ويؤيّده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر الْمَخِيط فى صدره صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحَمْله على الأمر المعنوى وإلزام قائله القولَ بقَلْب الحقائق ، فهو جهل صريح وخطأ قبيح نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبُعْدهم عن دقائِق السُّنة . عافانا الله تعالى من ذلك .

الثالث : قال العلامة ابن المنيِّر - بضم الميم وفتح النون وكسر التحتية المشددة رحمة الله تعالى : وشَقُّ الصدر له صلى الله عليه وسلم وصَبْره عليه من جنس ما ابتلى به الله الذَّبيحَ وصبَر

---

(١) ص ، ت ، م : بل ثبت .

(٢) غير ط : من شق الصدر .

عليه ، بل هذا أَشَقُّ وأَجَلُّ لأَن تلك مَعاريض وهذه حقيقة ، وأيضا فقد تكرَّرَ ووقع له صلى الله عليه وسلم وهو صغير يتيم بعيدٌ [1] من أهله صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وفضلا .

الرابع : سُئل شيخ الإسلام أبو الحسن السُّبكى رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التى أُخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شُقَّ فؤاده وقول الملَك : هذا حَظّ الشيطان منك .

فأَجاب رحمه الله تعالى : بأَن تلك العلقة خَلَقها الله تعالى فى قلوب البَشر قابلةً لما يُلْقيه الشيطان فيها فأُزيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لأَن يُلْقى الشيطان فيه شيئا . هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ . وأما الذى نَفاه الملَك هو أَمْرٌ فى الجِبلَّات[2] البشرية فأُزيل القابلُ الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القَذْف فى القلب .

قيل له : فلمَ خلق الله تعالى هذا القابل فى هذه الذات الشريفة ، وكان يمكن أَن لا يخلقه الله تعالى فيها ؟ فقال : إنه من جملة الأَجزاء الإنسانية فخَلْقه تكملة للخَلْق الإنسانى ولابد منه ونَزْعه كرامةٌ ربّانية طرأَت .

وقال غيره : لو خلق الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم سليما فيها لم يكن للآدميين اطِّلاع على حقيقته ، فأَظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا[3] كمالَ باطنه كما برز لهم مُكَمَّل الظاهر .

الخامس : قال الشيخ أبو محمد بن أَبى جَمْرة – وهو بجيم مفتوحة فراء مهملة رحمه الله تعالى : الحكمة فى شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم مع القدرة على أَن يمتلئ قلبُه إيمانا وحكمة من غير شق : الزيادة فى قوة اليقين لأَنه[4] أُعطى برؤية شق بطنه وعدم تأَثره بذلك ما أَمِن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم أَشجَع الناس حالاً ومقالاً ولذلك وصف بقوله تعالى : « ما زاغ البَصرُ وما طَغَى[5] »

---

(١) غير ط : بعيدا .
(٢) غير ط : فى الجبليات .
(٣) غير ط : ليتحقق .
(٤) ت ، م : كأنه .
(٥) سورة النجم ١٧ .

السادس : اختُلف: هل كان شق الصّدر وغسله مختصًّا به صلى الله عليه وسلم أو وقع لغيره ؟ صحح الشيخ رحمه الله تعالى عدمَ المشاركة . وسيأتى فى الخصائص أن الصحيح المشاركة .

السابع : فى الحكمة فى تكرّره . قال الحافظ رحمه الله تعالى ، بعد أن ذكر الأُولى والثالثة والرابعة : ولكل من الثلاث حكمة ، فالأُولى كان فى زمن الطفوليّة لينشأَ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند المبعث زيادة فى الكرامة ليتلقّى ما يُلْقَى إليه بقلب قوىّ فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرادة العروج إلى السماء ليتأَهّب للمناجاة .

قلت : وسكت عن حكمة المرّة الثانية مع ذكره للمرة [1] الثانية فى كتاب التوحيد جازمًا بها ويحتمل أن يقال لمّا كان العَشْر قريبا من سِنّ التكليف شُقَّ صدرُه صلى الله عليه وسلم وقُدِّس حتى لا يلتبس[2] بشئ مما يعاب على الرجال . والله تعالى أعلم .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما هى فى شَرْعه صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أبى جَمْرة رحمه الله تعالى : وإنما غُسل قلبه [3] صلى الله عليه وسلم وقد كان مقدَّسًا وقابلا لما يُلْقَى فيه من الخير . وقد غسل أولا وهو صغير السّن وأُخرجت منه العلَقة [4] إعظامًا وتأهبًا لما يُلْقَى هناك . يعنى فى المعراج . وقد جرت الحكمة بذلك فى غير ما مَوْضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متوضئًا لأَن الوضوء فى حقه إنما هو إعظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته . وكذلك أيضًا الزيادة على الواحدة والثِّنتين إذا أَسْبغ بالأُولى لأَن الإجزاء قد حصَل وبقى ما بعدَ الإسباغ إلى الثلاث عظامًا لما يُقْدِم عليه . وكذلك

---

(١) غير ط : فى المرة الثانية .

(٢) ط : لا يتلبس .

(٣) ط : بطنه .

(٤) ط : من قلبه العلقة .

غسل الباطن[1] هنا وقد قال تعالى : « ومن يعظِّم شعائر الله فإنها من تَقْوى القُلوب[2] » فكان الغسل له صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل وإشارة لأُمته بالفعل بتعظيم الشعائر كما نصَّ عليه بالقول

وقال البرهان النعمانى رحمه الله تعالى فى سراجه : قد سُنَّ لداخل الحرم الشريف الغُسْل ، فما ظنك بداخل الحضرة المقدَّسَة ؟ ! فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أُنيط الغسل له بظاهر البدن فى عالَم المعاملات ، ولما كانت الحضرة القدسيّة[3] من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أُنيط الغسل بباطن البدن فى التحقيقات ، وقد عُرِج به صلى الله عليه وسلم لتُفْرض عليه الصلاة وليصلِّى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطَّهُور فقدِّس ظاهرا وباطنا .

فإن قلت : إن الله تعالى خلقه نورًا متنقِّلا من الأَنبياء وفى صفاء النور ما يُغنى عن التطهير الحسِّى ، ثم إن المرة الأُولى لم تكن كافية فى تطهير الباطن ويلزم عليه أنه بعد النبوة كان فيه شىء يحتاج إلى ذلك ، وهو منزَّه عن أدران البشرية .

قلت : الغسلة الأُولى لعَيْن اليقين والثانية لعِلْم اليقين ، والثالثة لحَقّ اليقين.

* * *

الثامن : اختُلف هل وقع له صلى الله عليه وسلم مع ذلك مشقة أَم لا ؟

قال الحافظ : من غير مشقة وبه جزَم ابنُ الجَوْزى فقال : شَقَّه وما شَقَّ عليه . وقال ابن دِحْية : بمشقة عظيمة ولهذا انتُقِع لونُه صلى الله عليه وسلم أى صار كلون النقع وهو الغبار ، وهذه صفة ألوان الموتى .

---

(١) ط : غسل البطن .

(٢) سوره الحج ٣٢ .

(٣) ط : الحضرة الشريفة .

قلت : رواية « انتقع لونُه » حكاية » وقع فى المرة الأُولى وهو صغير فى بنى سعد . وأمَّا ما وقع بعدها فلم يُنْقَل أنه صلى الله عليه وسلم تأثَّر لذلك . وقد تقدم فى حديث أبى هريرة فى المرة الثانية ما يؤيد ذلك فراجعه .

التاسع : وقع السؤال هل كان شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم بآلة أم لا : ولم يجب عنه أحد ولم أر من تعرَّض له بعد التتبع . وظاهر قوله : « فشقّ » أنه كان بآلة ، ويدل لذلكَ قول الملَك فى حديث أبى ذر . « خِطْ بطنَه فخاطَه » وفى لفظ عن عتبة ابن عبد : « حُصه فحَاصه » ؛ وفى حديث أنس « كانوا يرون أثر الْمَخِيط فى صدره صلى الله عليه وسلم » .

العاشر : فى حديث أبى ذرّ « وأُتيت بالسِّكِّينة كأنها بَرهرَهة فوضعْت فى صدرى » قال ابن الأنبارى : « بَرَهْرهة » وهى السِّكينة المعوجّه الرأس التى تسميها العامة « المِنْجل » بالجيم .

وقال الخطابى : عثرت على رواية وفيها : أنه شُقَّ عن قلبه قال : فدُعى بسِكِّينة [1] كأنها درهمة بيضاء ، فوقع لى أنه أراد بالبَرهْرهة سِكِّينة بيضاء صافية الحديد تشبيهًا بالبَرهْرهة من النساء فى بياضها وصفائها .

ثم قال ابن دِحْية والصواب فى هذه اللفظة السَّكِينة - أى بالتخفيف لأنه قال بعد شق البطن ، ثم أُتيت بالسّكينة كأنها بَرهْرهة فوضعت فى صدرى ، فإنما عنَى بها السَّكينة التى هى فى أصل اللغة فَعِيلة من السكون وهى أكثر ما تأتى فى القرآن العظيم بمعنى السكون والطمأنينة .

الحادى عشر : خص الطست مما ذكر لكونه أشهر [2] آلات الغَسل عُرْفًا .

قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : وفى [3] ذِكْر الطست أيضا وحروف اسمه حِكَم تنظر إلى قوله تعالى « طسم تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مُبين [4] »

---

(١) غير ط : فأتى بالسكينة .
(٢) غير ط : أشرف .
(٣) الروض الأنف ٢/١١١ .
(٤) سورة النمل : ١ .

الثانى عشر : قال السهيلى : خصّ الذهب لكونه مناسبًا للمعنى الذى أُريد به فإن نظرت إلى لفظ الذَّهب فمطابِق للذَّهاب ، فإن الله تعالى أراد أن يُذْهب عنه الرجسَ ويطهِّره تطهيرًا وإن نظرت إلى معنى الذَّهب وأوصافه وجدته أَنْقى شىء وأَصْفَاه يقال فى المثَل : « أَنْقَى من الذهب » وقالت بَرِيرةُ فى عائشة رضى الله تعالى عنها : ما أَعْلَم عليها إلا ما يَعْلم الصّائِغُ على الذهب الأَحمر . وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه فى صِلَة - بكسر الصّاد المهملة - ابن أَشْيَم - بالشين المعجمة - وَزْن أَعَلَم : إنما قَلْبُه ذَهب . وقال جَرير بن حازم رحمه الله تعالى ، وهو بالحاء المهملة والزاى ، فى الخليل بن أَحمد : إنه لرَجلٌ مِن ذهب . يريد النقاء من العُيوب .

فقد طابق طَسْت الذهب ما أُريدَ بالنبى صلى الله عليه وسلم من نقاء قلبه .

ومن أَوصاف الذهب أَيضا المطابِقة لهذا المقام : ثِقله ورسوبُه فإنه يُجعل فى الزئبق الذى هو أَثقل الأَشياء فيَرْسب . والله سبحانه وتعالى يقول : « إِنَّا سنُلْقِى عليك قَوْلا ثَقِيلا »[1] وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إنما ثَقُلت موازين المحِقِّين يوم القيامة لاتباعهم الحق وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أَن يكون ثقيلا . وقال فى أَهل الباطل بعكس ذلك .

وقد روى أَنه صلى الله عليه وسلم أُنزل عليه الوحى وهو على ناقته فثَقُل عليها حتى ساخَتْ قوائمها فى الأَرض . فقد طابقت الصفةُ المعقولة الصفةَ المحسوسة .

ومن أَوصاف الذهب أَيضا : أَنه لا تأْكله النَّار ، وكذلك القرآن لا تأْكل النارُ يوم القيامة قلبًا وعَاهُ ولا بَدَنًا عمِل به . قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان القرآن فى إهَاب ثم طُرح فى النار ما احترق[2] »

ومِن أَوصاف الذهب المناسبة لأَوصاف القرآن والوحى : أَن الأَرض لا تُبْليه وأَن الهواء لا يُذْريه وكذلك القرآن لا يَخْلَق على كثرة الردّ ولا يستطاع تغييره ولا تَبْديله .

---

(١) سورة المزمل ٥ . وهذا النص كله عن الروض الأنف ١/١١١ .

(٢) الحديث فى تذكرة الموضوعات للحافظ المقدسى ص ٩٨ بها مش الموضوعات الكبير لعلى القارى (ط الهند) بلفظ : « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار » . وقال فيه عبد الوهاب بن الضحاك ، قال البخارى : عنده عجائب .

ومن أوصافه أيضًا : نفَاستُه وعزته عند الناس . وكذلك القرآن والحق عزيزان . قال تعالى : « وإنَّه لَكتَابٌ عَزِيزٌ[1] » .

فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه[2] فإن نظرت إلى ذاته وظاهره فإنه زخرف الدنيا وزنتها ، وقد فُتح بالقرآن والوحى على النبى صلى الله عليه وسلم وأُمته خزائن الملوك وتصيير ذلك إلى أيديهم ذهبها وفضتها وجميع زخرفها وزينتها . ثم وعد[3] باتباع الوحى والقرآن قصورَ الذهب فى الجنة قال صلى الله عليه وسلم : جَنَّتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما[4] » وفى التنزيل : « يُطافُ عليهم بِصِحَاف مِن ذَهب[5] » فكأن ذلك الذهب يُشْعر بالذهب الذى يصير إليه من اتبع الحق والقرآن ، وأوصافُه تُشْعر بأوصاف . الحق[6] والقرآن ، ولفظُه يُشْعر بإذهاب الرِّجْس . كما تقدم .

فهذه حِكَم بالغة لمن تأمَّل ، واعتبار صحيح لمن تدبَّر .

وزاد غيره أن الذهب مِن جَوَالب السرور . وقال الشاعر :

صَفْراء لا تَنْزل الأَحزانُ ساحتَها لو مسَّها حَجَرٌ مسَّته سرَّاءُ[7]

* * *

الثالث عشر : قال النووى رحمه الله تعالى : ليس فى هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال إناء الذهب والفضة لأن هذا فعل الملائكة واستعمالهم ، وليس بلازم أن يكون حُكْمُهم حُكْمَنا ولأنه كان قَبْل تحريم النبى صلى الله عليه وسلم أوانىَ الذهب والفضة . انتهى .

---

(١) سورة فصلت ٤١ .

(٢) غير ط : إلى أوصاف لفظه . والضمير عائد إلى الذهب .

(٣) ت ، م : ثم أتبع باتباع .

(٤) صحيح البخارى كتاب التوحيد وكتاب التفسير وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٩٦ ، وسنن الترمذى كتاب الجنة ، وسنن ابن ماجة فى المقدمة ومسند أحمد ٤/٤١١ ، ٤١٦ .

(٥) سورة الزخرف ٧١ .

(٦) غير ط : بأوصاف من اتبع الحق والقرآن .

(٧) البيت لأبى نواس من قصيدته التى مطلعها :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

وفى هذا الاستشهاد نظر فإن المؤلف يستشهد بهذ البيت على أن الذهب من جوالب السرور ، مع أن المقصود بالصفراء هنا الخمر وأنها تبعث النشوة فى شاربها وتنسيه أحزانه ، وليس فى البيت تعرض للذهب .

أى لأن التحريم إنما وقع بالمدينة كما نبّه عليه الحافظ

الرابع عشر : يؤخذ من غَسْل قلبه صلى الله عليه وسلم بماء زمزم أنه أفضل المياه وبه جَزَم الإمام البُلْقينى قال ابن أبى جَمْرة : إنما لم يُغْسل بماء الجنة لِمَا اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأُريد بذلك بقاء بركته صلى الله عليه وسلم فى الأرض .

وقال غيره : لمّا كان ماء زمزم أصل حياة أبيه إسماعيل صلى الله عليهما وسلم وقد ربِّى عليه ونما عليه قلبُه وجَسدُه وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ، ناسَب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك . ولِمَا فيه من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده فإنه قد صارت الولاية إليه فى الفَتْح فجعل السقاية للعباس وولده وحجابةَ البيت لعثمان بن شيبة وعَقِبه إلى يوم القيامة .

الخامس عشر : الحكمة فى غسل صدره صلى الله عليه وسلم بماء الثلج والبَرد هى مع ما فيهما من الصفاء وعدم التكدّر بالأجزاء الترابيّة التى هى محلّ الأرجاس وعنصر الأكدار ، الإيماء إلى أن الوقت يَصْفُو له صلى الله عليه وسلم ولأُمته ويَرُوق بشريعته الغرّاء وسُنّته ، والإشارة إلى ثلوج صدره أى انشراحه بالنصر على أعدائه والظفَر بهم والإيذان ببرودة قلبه ، أى طمأنينته على أُمته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيآتهم .

وقال ابن دِحْية : إنما غُسل قلبُه صلى الله عليه وسلم بالثلج لِمَا يُشْعر به الثلجُ من ثلج اليقين إلى قلبه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بين التكبير والقراءة : اللهم اغسلنى من خطاياىَ بالثّلْج والبَرد[1] » وأراد تعالى أن يغسل قلبه فيما حُمل من الجنة فى طست ملئ حكمة وإيماناً ليعْرف قلبُه طِيبَ الجنّة ويجد حلاوتها فيكون فى الدنيا أزْهدَ وعلى دعوة الخَلْق إلى الجنة أحْرَص ، ولأنه صلى الله عليه وسلم كان له أعداء يتقوّلون عليه فأراد

---

(١) الحديث بنحوه فى صحيح البخارى كتاب الدعوات والأذان وفى صحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ٤٨ وسنن ابن ماجه كتاب الدعاء ومسند أحمد ٦/٥٧ .

الله تعالى أن يَنْفى عنه طبعَ البشرية من ضِيق الصدر وسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدرَه سعةً ويفارقه الضيق . كما قال تعالى : « ولَقد نَعْلم أنَّك يَضيق صَدْرُك بما يَقُولون[1] » . فغُسل قلبه غير مرّةٍ فصار بحيث إذا ضُرب أو شُجَّ رأسه أو كُسِرت رَباعيته كما فى يوم أحد يقول : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يَعْلمون .

* *

السادس عشر : جاء فى رواية : أن المغسول البطن . فقيل : المراد بالبطن هنا ما بَطن وهو القلب ، واستظهره بعضهم لأنه جاء فى روايةٍ ذكرُ القلب ولم يذكر البطن . ويحتمل أن تُحمل كل رواية على ظاهرها ، ويقع الجمع بينهما بأن يقال : أخْبر صلى الله عليه وسلم مرة بغسل البطن ولم يتعرض لذكر القلب ، وأخبر مرة بذِكر القلب ولم يتعرض لذكر البطن ، فيكون قد حصل فيهما معاً مبالغة فى تنظيف المحلّ .

قلت : تقدم التصريح بذلك فى الأحاديث السابقة .

السابع عشر : قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : فإن قيل كيف يكون الإيمان والحكمة فى طست من ذهب ، والإيمانُ عرَض من الأعراض لا يوصف بها إلا محلُّها والذى يقوم به ، ولا يجوز فيها الانتقال لأن الانتقال من صفة الأجسام لامن صفة الأعراض ؟ قلنا : إنما عُبِّر عما فى الطست ـ بالحكمة والإيمان كما عبّر عن اللَّبَن الذى شربه وأعطى فَضْلَه عمرَ ابن الخطاب بالعلم ، فكان تأويل ما أُفْرغ فى قلبه صلى الله عليه وسلم إيماناً[2] وحكمة ولعل الذى كان فى الطست كان ثلجا وبَرَدا كما ذكر فى الحديث الأول ، فعبّر فى المرة الثانية بما يَؤول إليه وعبِّر عنه فى المرة[3] الأولى بصورته التى رُآها ، لأنه فى المرة الأولى كان طفلا فلما رأى الثلج فى طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عَرف تأويله بعدُ . وفى المرة

---

(١) سورة الحجر ٩٧ .
(٢) ط : إيمـــان .
(٣) غير ط : فى الصورة الأولى .

الأُخرى كان نبيًّا فلما رأى طست الذهب مملوءًا ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده فى ذلك المقام حكمةً وإيمانا ، فكان لفظه فى الحديثين[1] على حسب اعتقاده فى المقامين[2] . انتهى

وقال النووى والحافظ : المعنى جُعل فى الطست شيء يحصل به الزيادة فى كمال الإيمان وكمال الحكمة ، وهذا المملوء يحتمل أن يكون على الحقيقة ، وتجسد المعانى جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يومَ القيامة كانها الظُّلَّة والموت فى صورة كَبْش وكذلك وَزْن الأعمال ، وغير ذلك من أحوال الغَيْب .

وقال البَيْضاوى رحمه الله فى شرح المصابيح : لعل ذلك من باب التمثيل ، إذ تمثيل المعانى وقع كثيرا كما مُثِّلت له الجنة والنار فى عُرْض الحائط - بضم العين المهملة ، وفائدته كشف المعنوى بالمحسوس .

وأشار النووى بقوله : جُعل فيه شيء يحصل به زيادة فى كمال الإيمان إلى آخره : أنه صلى الله عليه وسلم كان متصفاً بأقوى الإيمان .

* * *

الثامن عشر : المملوء الصدر أو البطن ففى رواية ذكر البطن وفى غيرها القلب . والظاهر أنهما مُلئا معاً وأخبر صلى الله عليه وسلم فى رواية بالبطن وأخبر فى أُخرى بالقلب ، ويحتمل أن يكون أراد القلبَ وذكَر البطن توسعة لأن العرب تسمى الشيء بما قارَبه وبما كان فيه . وقد قال تعالى : « فمن يُرِد اللهُ أن يَهْديه يَشْرَحْ صَدْرَه للإسلام[3] » والمراد بالصّدر فى الآية القلب فسمَّاه باسم ما هو فيه وهو الصدر .

التاسع عشر : اختلف فى تفسير الحكمة فقيل : إنها العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفَاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكفّ عن ضده ، والحكيمُ

---

(١) غير ط : فى الحديث .
(٢) الروض الأنف ١ /١١٠ (ط الجمالية) .
(٣) سورة الأنعام ١٢٥ .

من حاز ذلك . قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : هذا ما صفَا لنا من أقوال كثيرة . انتهى .

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذكر ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك . وقد تُطْلق على العِلم فقط وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك .

وقال الحافظ : أصحُّ ما قِيل فيها : أنها وَضْع الشيء فى محله والفهم فى كتاب الله تعالى . وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان ، وقد لاتوجد . وعلى الأول فقد يتلازمان لأن الإيمان يدلُّ على الحِكْمة[1] .

العشرون: قال بعض العلماء : المراد بالوزن فى قوله «زِنْه بعشرة من أُمته» الوزنُ الاعتبارى ، فيكون المراد الرجحانَ فى الفضل وهو كذلك . وفائدة فِعْل الملكين ذلك ليعْلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى يُخْبِر به غيره ويعتقده ، إذ هو من الأُمور الاعتقادية .

وسألتُ شيخَ الإسلام برهانَ الدين ابن أبى شريف رحمه الله تعالى عن هذا الحديث قبل وقوفى على الكلام السّابق فكتب لى بخطّه : هذا الحديث يقتضى أن المعانى جعلها الله تعالى ذواتاً فعند ذلك قال المَلَك لصاحبه : اجعله فى كِفَّة واجعل ألفاً من أُمته فى كفة . ففعل فَرَجَح مالَه صلى الله عليه وسَلَّم رجحانا طاش معه ما لِلألْف بحيث يخيَّل إليه أنه يَسْقط بعضُهم عليه ، ولمّا عرف المَلَكان منه الرجحان وأنه معنًى لو اجتمعت المعانى كلها للأُمة ووضعت فى كفة ووضع ماله صلى الله عليه وسلم لَرجح على الأُمة ، قالا : لو أن أُمته وزنت به مالَ بهم ، لأن مآثر خَيْر الخلق صلى الله عليه وسلم وما وهبه الله تعالى له من الفضائِل يستحيل أن يساويها غيرها . والله أعلم .

---

(١) ط : تدل عليه الحكمة .

الباب الخامس عشر

فى صفة يديه وإبطيه صلى الله عليه وسلم

قال علىٌّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفّين سائل الأطراف سَبْط القَصب

رواه الترمذى[1] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الكفين .

رواه أبو يعلى وابن عساكر .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَسْطَ[2] الكفين .

رواه البخارى[3] .

وقال الحافظ أبو بكر ابن أبى خَيْثمة رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْل العَضُدين والذراعين طويلَ الزَّنْدين ، وكان معمر الأوصال سَبْط القصَب كأن أصابعه قُضْبان الفَضة .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْل الذراعين

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

---

(١) شرح الشمائل لابن جسوس ١/١٩ بنحوه . ونحوه أيضا عن هند بن أبي هالة ص ٣٣ من شرح الشمائل .

(٢) غير ط : سبط الكفين . ورواية ط موافقة لرواية البخارى فى الصحيح .

(٣) صحيح البخاري كتاب اللباس باب رقم ٦٨ .

وقال هند بن أبي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعر الذراعين طويل الزَّنْدين رَحْب الراحة .

رواه الترمذى[1] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَبْح الذراعين .

رواه ابن سعد[2] وابن عساكر .

وقال أنس رضىَ الله تعالى عنه : ما مسَسْت حريرا ولا ديباجاً قط أَلْيَن من كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه الإمام أحمد والشيخان[3] .

وقال المستورد بن شدَّاد عن أبيه رضى الله تعالى عنه : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فإذا هى أَلْيَن من الحرير وأبْرَد من الثلج .

رواه الطبرانى[4] .

وقال وائِل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : لقد كنت أصافح النبىَّ صلى الله عليه وسلم أو يمسُّ جلدى جلده فأتعرَّفه بعدُ فى يدى فإنه لَأَطْيَب رائحةً من المسك .

رواه الطبرانى والبيهقى .

وقال يزيد بن الأسود رضى الله تعالى عنه : ناوَلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَه فإذا هى أبْرَد[5] من الثلج وأطيبُ ريحاً من المِسك .

رواه الشيخان[6] .

---

(١) شرح الشمائل ١/٣٢ – ٣٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/٤١٤ (ط بيروت) .

والذى فى تهذيب ابن عساكر ١/١٣٩ عن أبى هريرة : كان أشعر الذراعين . ولعله تحريف .

(٣) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨١ .

ومسند أحمد ٣/٢٢٢ .

(٤) الخصائص الكبرى ١ ١٨٤ .

(٥) ط : أبيض من الثلج .

(٦) لم أجـده فى الصحيحين وهو فى مسند أحمد ٤/٤٢٤ والخصائص الكبرى للسيوطى ١/١٨٤ (ط الهراس) .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : مسح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَدَّى فوجدتُ لِيده بَرْداً وريحاً كأنما أُخرجت من جُؤْنَة عطَّار .

رواه مسلم[1] .

وقال المثنىَّ بن صالح عن جدته رضى الله تعالى عنها قالت: صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أَرَ والله كفًّا أَلْيَن من كفه صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال سعد بن أَبى وقَّاص رضى الله تعالى عنه : اشتكيت بمكة فدخل علَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُودنى فوضع يده على جبهتى فمسح وجهى وصدرى وبطنى فمازلت يخيَّل إلى أنى أجد بَرْدَ يده على كبدى حتى السَّاعة .

رواه الإمام أحمد[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الدّعاء حتى يرى[3] بياض إبطيه .

رواه البخارى وغيره[4] .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجد يُرَى بياضُ إبطيه .

رواه ابن سعد[5] .

وقال رجل من بنى حريش رضى الله تعالى عنه : ضمَّنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسال علَّى من عرق إبطيه مثلُ ريح المسك .

رواه البزار[6] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٠ . (٢) مسند أحمد ٤/١٦١ وهو فى الخصائص الكبرى ١/١٨٥ .

(٣) ط : حتى رأيت .

(٤) صحيح البخارى كتاب الاستسقاء وكتاب الأحكام وكتاب المغازى . وصحيح مسلم كتاب الاستسقاء حديث رقم ٥ ، ٧ . (٥) الخصائص الكبرى ١/١٥٧ .

(٦) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ وذكر فى روايته أن ذلك كان حين رجم النبى صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك وكان ذلك الرجل حينئذ صغيرا مع أبيه ، فلما رأى الحجارة أخذت ما عزاً أرعب ، فضمه النبى صلى الله عليه وسلم إليه تعلمينا له . وهو أيضا فى الخصائص الكبرى ١/١٦٨ .

قال الحافظ محب الدين الطبرى رحمه الله تعالى : من خصائِص النبى صلى الله عليه وسلم أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره صلى الله عليه وسلم .

وذكر القرطبي مثله وزاد: أنه لاشَعْر عليه. وجرى على ذلك الإمام الإسْنَوى رحمه الله تعالى . وسيأْتى الكلام على ذلك فى الخصائِص إن شاء الله تعالى .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : وَصَف أَنسٌ وغيره كفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليونة ، وهو مخالف لوصف هند له بالشَّثَن وهو الغِلَظ مع الخشونة كما قال الأَصمعى .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : والجمع بينهما : أَن المراد باللِّين فى الجلد والغِلَظ فى العظام ، فيجتمع له نُعومة البدَن وقوَّته .

قال ابن بطَّال رحمه الله تعالى : كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئةً لحما غير أَنها مع ضخامتها كانت ليِّنة كما فى حديث المستوردِ . وأَما قول الأَصمعى : الشَّثَن غلظ الكف مع خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة ، والذى فسّر به الخليل أَوْلى . وعلى تسليم ما فسَّر به الأَصمعى يحتمل أَن يكون وَصف كف النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا عمل فى الجهاد أَو مهنة أَهله صار[1] كفُّه خشنا للعارض المذكور ، وإذا ترك ذلك رجع إلى أَصل جِبلَّته من النعومة .

وقال القاضى : فَسَّر أَبو عُبَيْد الشَّثَن بالغِلْظ مع القِصَر وتُعقِّب بأَنه ثبت فى وصفه صلى الله عليه وسلم أَنه كان سائل الأَطراف . انتهى .

وقال الحافظ : ويؤيد كونَ كفه صلى الله عليه وسلم ليِّنا قولُه فى رواية النعمان : كان سَبْط الكفين بتقديم المهملة على الموحّدة فإنه موافق لوصفها باللين .

والتحقيق فى الشَّثن أَنه غلظ من غير قِصَر ولا خشونة .

---

(١) ط : كان .

الثانى : زعم الحكيم الترمذى وتبعه أبو عبد الله القرطبي والدَّمِيرى فى شرح المنهاج أن سَبّابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت أطْول من الوسطى . قال ابن دحية : وهذا باطل بيقين ولم ينقله أحدمن ثقات المسلمين مع إشارته صلى الله عليه وسلم بإصبعه فى كل وقت وحين ، ولم يَحْك ذلك عنه أحدٌ من الناظرين .

وفى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بُعثت أنا والساعة كهاتين[1] » وفى رواية : فقرَن شُعْبة بين إصبعيه المسبِّحة والوسطى كليهما [2].

وروى الترمذى وحَسَّنه عن المستورد بن شدّاد يرفعه : «بُعثت فى نَفَس الساعة فسبقتُها كما سبقَتْ هذه هذه » . لإصبعه السبَّابة والوسطى[3] .

وقال الحافظ فى فتاويه : ما قاله الترمذى الحكيم خطأٌ نَشأَ عن اعتماد رواية مُطْلقة ، ولكن الحديث فى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود عن ميمونة بنتَ كَرْدَم رضى الله تعالى عنهما قالت : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقة له وأنا مع أبى . فذكرت الحديث إلى قولَها : فدنا منه أبى فأخذ بقدمه فأقرَّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : فما نسيت فيما نسيت طولَ إصبع قدمه السَّبابة على سائر أصابعه . الحديث[4] . انتهى .

وقد جزم الإمام العلامة فتح الدين ابن الشهيد رحمه الله تعالى بأن ذلك كان فى سبابة قدمه صلى الله عليه وسلم فقال فى سيرته المنظومة التى لا نظير لها فى بابها :

ووصْف زينب بنت كَرْدَمٍ فيما رأَتْه عينُها فى القَدم

فإنها[5] سميت فى الرواية ميمونة . وكذا فى الباب بعده :

سبَّابــة النبي كانت أَطْــولْ أصابع النبي فاحفظ واســأَلْ

كَرْدَم بوزن جعفر .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجمعة حديث رقم ٤٣ وكتاب الفتن ١٣٢ – ١٣٥ .

(٢) ط : يحكيه .

(٣) سنن الترمذى كتاب الفتن باب رقم ٣٩ .

(٤) مسند أحمد ٦ ٣٦٦ .

(٥) كذا بالأصول .

الثالث : فى بيان غريب ما سَبَقَ :

شَثْن الكَفين : بشين معجمة فثاء مثلثة ساكنة فنون : هو الذى فى أنامله غلظ بلاقِصَر، ويُحْمد ذلك فى الرجال لأنه أشد لقبضتهم ويُذَم فى النساء .

سائل الأَطراف : بسين مهملة وآخره لام ، من السَّيَلان أى ممتدها ، يعنى أنها طِوَال ليست بمتعقدة ولا منقبضة . ورواه بعضهم بالنون بدل اللام فقال سائن . قال ابن الأَنبارى : وهما بمعنًى تُبْدل اللام من النون ، أى طويل الأَصابع .

سَبْط بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وكسرها ، وحكى الفتح أيضا وبالطاء المهملة : الممتد الذى ليس فيه تعقد ولا نُتوء .

والقصب بقاف فصاد مهملة فباء موحدة جمع قصبة وهى كل عظم أجوف فيه مخ وأما العريض فيسمى لَوْحا ، يريد بهما ساعديه وساقيه . وفى لفظٍ : العَصَب بالعين المهملة بدل القاف .

الزَّنْدان : بفتح الزاى : عَظْما الذراعين .

رَحْب الراحة : أى واسع الكف . وقال فى النهاية : يكنون بذلك عن السخاء والكرم .

فسيح ـ بفاء فسين وحاء مهملتين بينهما مثناة تحتية : أى بعيدُ ما بينهما لسعة صدره .

شَبْح الذراعين : بشين معجمة فباء موحّدة فحاء مهملة أى عريض الذراعين .

مَسِيْت : بسينين الأُولى مكسورة وتفتح والثانية ساكنة .

ولا دِيباجاً : من عطف الخاص على العام لأَن الديباج نوع من الحرير .

أَلْين : أَنْعَم .

الجُؤْنة : يأْتى الكلام عليها فى طيب عرقه وريحِه صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

الباب السادس عشر

فى صفة ساقيه وفخذيه وقدميه صلى الله عليه وسلم

قال جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه : كان فى ساقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حُموشة .

رواه مسلم[1] .

وقال سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم - بضم الجيم والمعجمة بينهما عين مهملة - رضى الله تعالى عنه : دنوتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرأيت ساقه كأنها جُمَّارة نَخْلٍ .

رواه يعقوب ابن سفيان وإبراهيم الحربى[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : انحسر الإزارُ عن فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فى غزوة خيبر فإنى لأرى بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن أبى خَيْثمة .

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخْم القدمين .

رواه الشيخان والبيهقى[3] .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْهوس العَقب .

رواه مسلم[4] .

---

(١) لم أجده فى صحيح مسلم وهو فى سنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ١٢ ومسند أحمد ٥/٩٧ ، ١٠٥ ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٦ .

(٢) الوفـا لابن الجوزى ص ٤٠٠ .

(٣) الذى فى صحيح البخارى كتاب اللباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين والقدمين . وفى مسند أحمد ٣ ١٢٥ : « كان صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين ضخم الكفين » . وهو أيضا فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩١ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٧ .

وقال أَبُو جُحَيْفة رضى الله تعالى عنه : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنى أنظر إلى وَبيص ساقيه .

رواه البخارى[1] .

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفين والقدمين سائل الأَطراف[2] سَبْط القصب[3] خمصان الإخمصَيْن فَسِيح القدمين يَنْبو عنهما الماء .

رواه الترمذى[4] .

وتقدم تفسير غريبه إلا قوله « خَمْصَان » فسيق .

وقال عبد الله بن بُرَيْدة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن البشَر قَدما .

رواه ابن عساكر[5] .

وقالت ميمونة بنت كَرْدَمَ بوزن جَعْفر – رضى الله تعالى عنها : إنها رأت سبَّابة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أَطولَ من سائِر أَصابعه .

رواه الإمام أحمد وغيره[6] .

ورحم الله تعالى القائل .

يارَبِّ بالقدم التى أَوْطَأْتها ... من قاب قوسين المحلَّ الأَعظَمَا

وبُحرْمة القدم التى جُعلت لها ... كَتِف البريّة فى الرسالة سُلَّمَا

ثبِّت على مَتْن الصراط تَكَرُّماً ... قدمى وكُنْ لى مُنْقذا ومُسَلِّماً

واجعلهما ذُخْرى ومن كانَا له ... أَمِن العذابَ ولا يخاف جَهنَّمَا[7]

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

(٢) زاد فى شمائل الترمذى : أو قال شائل الأطراف . بالشين المعجمة .

(٣) لم ترد هذه الجملة فى رواية هند بن أبى هالة فى شمائل الترمذى :

(٤) شرح الشمائل ١/٣٣ .

(٥) لم يرد فى تهذيب ابن عساكر صفة خلقه صلى الله عليه وسلم .

(٦) سبق تخريجه فى مسند أحمد وهو أيضا فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٤ ومجمع الزوائد ٨/٢٨٠ عن الطبرانى . قال الهيثمى : وفيه من لم أعرفهم .

(٧) الأبيات ذكرها ابن الجوزى فى الوفا ص ٤٠٠ . ونسبها لبعض البلغاء .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذكرَ كثير من المُدَّاح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى على الصَّخْر غاصَت قدماه فيـه .

ولا وجود لذلك فى كتب الحديث البتة . وقد أنكره الإمام برهان الدين النَّاجِى بالنون[1] ـ الدمشقى رحمه الله تعالى وجزم بَعدَم وروده ، والشيخُ رحمه الله تعالى فى فتاويه وقال إنه لم يقف له على أصل ولا سنَد ولا رأى من خرَّجه فى شىء من كتب الحديث وناهيك باطلاع الشيخ رحمه الله تعالى . وقد راجعت الكتب اللاَّتى ذكرها فى آخر الكتاب فلم أر مَن ذكَر ذلك ، فشىء لايوجد فى كتب الحديث والتواريخ كيف تسوغ نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ !

الثانى : فى حديث جابر بن سَمُرة قال : كانت خِنْصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة[2] . رواه البيهقى[3] . وفى سنده سلمة بن حَفْص السَّعْدى . قال ابن حِبَّان كان يضع الحديث لا يحل الاحتجاج به ولا الرِّواية عنه ، وحديثه هذا باطل لا أصل له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتدل الخَلْق .

* * *

الثالث : فى بيان غريب ما تقدَّم .

الحُموشة : بضم الحاء المهملة وشين معجمة : الدقَّة

الجُمَّار ـ كُرمَّانٍ : قَلْب النخل حين يقطع يكون رطبة بَيضَاء .

---

(١) انظر هذه النسبة فى اللباب لابن الأثير ٣/٢٠٥ .

(٢) غير ط : متظافرة . وما فى ط هو الموافق لرواية البيهقى فى الدلائل .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٦ . وروايته فيه : « كانت إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم خنصرة من رجليه متظاهرة » .

وهو أيضا فى شمائل الرسول لابن كثير ص ٣١ (ط الحلبى) وروايته فيه :

« كانت إصبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم خنصر من رجله متظاهرة » . ثم قال : وهذا حديث غريب .

مَنْهوس : بإعجام السين وإهمالها أى قليل لحم العَقِب .

الوبيص : البريق واللمعَان .

خُمصَان . بضم الخاء المعجمة كما وجدته مضبوطاً بالقلم فى نسخة صحيحة من الصِّحاح والنهاية ، لكن فى بعض نسخ الشفاء المعتمدة بالفتح . قال فى النهاية : الإخمص من القدم الموضع الذى لايلصق بالأرض منها عند الوطء والخَمْصَان المبالغ فيه . أى ذلك الموضع من أسفَل قدميه كان شديد التجافى عن الأرض جدا .

وسئل ابن الأعرابى رحمه الله تعالى عنه فقال : إذا كان خَمَص الإخمص بقَدْر لم يرتفع عن الأرض جدًّا ولم يَسْتو أسفل القدم جدًّا ، فهو أحسن الخَمص بخلاف الأوّل[1] .

مَسِيح القدمين : بميم مفتوحة فسين مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة أى مَلْساوان ليِّنتان ليس فيهما تكسُّر ولاشقاق فإذا أصابهما الماء نَبا عنهما سريعاً للاستهما فينبو عنهما ولا يقف ، يقال نبا الشيء يَنْبو إذا تباعد . وأمّا رواية عبد الرزاق والبزار عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَطأُ بقدمه جميعاً . وفى لفظ كلها ليس له إخمص فيحتمل[2] .

---

(١) لعله يريد بالأول ما ذكره من قبل من أن المقصود بالخمصان المبالغ فى الخمص . وهذا من كلام المؤلف وليس من كلام ابن الأعرابى .

(٢) فى هامش ط : « هكذا بيض له المؤلف رحمه الله تعالى . قال أقل تلامذته محمد القيسى لطف الله تعالى به : لعله أراد : فيحتمل أنه فى هذه الحالة وطئ وطئا شديداً فظهر موضع قدمه جميعا بخلاف الأول فإنه عند خفة الوطء لا يرى أثر خمصانه . وبه يحصل الجمع . فليتأمل » .

الباب السابع عشر

فى ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم

روى الترمذى عن هند بن أبى هالة ، والبيهقى وابن عساكر وابن الجوزى عن على ، وأبو الحسن ابن الضحاك عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنهم قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخْم الكراديس[1] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جَليل المُشَاش . رواه الترمذى والبيهقى[2] .

الكَراديس : رءوس العظام واحدها كُرْدُوس قيل هو ملتقى كل عظَمَيْن كالرُّكبتين والمرفقين والمنكبين ، أراد أنه صلى الله عليه وسلم ضخم الأعضاء .

المُشَاش بضم الميم وبشينين معجمتين : رءوس العظام كالمِرْفقين والكفين والركبتين . وقال الجوهرى : رءوس العظَام اللَّيِّنة التى يمكن مَضْغها .

جليلهما : عظيمهما .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٢ وشرح شمائل الترمذى ١/١٩ .
والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٩ ، ٤٠٢ .
(٢) شرح الشمائل ١ ٢١ .

الباب الثامن عشر

فى طوله واعتدال خلقه ورقّة بَشَرته صلى الله عليه وسلم

قال البَراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير .

رواه الشيخان (١)

وقال أيضاً : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْبوعاً .

رواه الخمسة (٢) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبعة وهو إلى الطول أقْرَب(٣) .

رواه محمّد بن يحيى الذُّهْلى فى الزُّهْريات وأبو الحسن بن الضحاك بسند حسن .

وقال هند ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعْتدل الخلق بادِنَ متماسك أطولَ من المرْبوع وأقصر من المشذَّب .

رواه الترمذى(٤) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس قَواماً وأحسن الناس وجهاً وأحسن الناس لوناً وأطيب الناس ريحاً وألين الناس كفًّا .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر(٥) .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٣ .
وسنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اللباس .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ . ومسند أحمد ٤/٢٨١ .

(٣) شمائل الرسول لابن كثير (ط الحلبى) ص ٣٢ .

(٤) شرح الشمائل ١/٣١ .

(٥) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٠ .

وقال أيضاً : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبْعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير .

متفق عليه[1] .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبْعة لا بائن من طوله ولا تقتحمه عينٌ من قِصَر غُصْنا بين غصنين فهو أنْضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قَدْراً .

رواه البيهقى[2] .

وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : أَرْدَفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى سفرٍ فما مسَسْت شيئا قط ألْين من جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه البزار والطبرانى .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل المُمَّغِط ولا بالقصير المتردِّد كان ربعة من القوم .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : ما مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أحد إلا طَاله .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال أبو الطفيل عامر بن وائِلة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقَصَّداً .

رواه مسلم[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ .

(٢) سبق تخريج حديث أم معبد فى أول هذا الجزء .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ . والرواية فيه محرفة : لم يكن بالطويل القطط .

(٤) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث ٩٩ ومسند أحمد ٥/٤٥٤ .

وقال البرَاء رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وجهاً وأحْسَنهم خَلْقاً ، ليس بالطويل ولا بالقصير .

رواه الشيخان[1] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردّد ، وكان يُنْسب إلى الرَّبْعة إذا مشى وحده ، ولم يكن يُمَاشِيه أحدٌ من الناس يُنْسب إلى الطُّول إلاَّ طالَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفَه الرَّجُلان الطويلان فيَطُولُهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فإذا فارَقاه نُسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرَّبْعة .

رواه ابن أبي خيثمة فى تاريخه والبيهقى وابن عساكر[2] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طُولاً وفوق الربعة إذا جامع القوم غَمَرهم .

رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المسندُ والبيهقى ولفظه : إذا جامع القوْم

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشَرة .

رواه ابن الجوزى[3] .

وقال ابن سبع رحمه الله تعالى : إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس يكون كتفه أعْلَى من جميع المجالسين صلى الله عليه وسلم[4] .

تنبيه فى بيان غريب ما سبق :

اعتدال الخَلْق : يناسب الأعضاءُ والأطراف ، أى لاتكون مُتَباينة فى الدِّقة والغِلَظ والصغر والكبر والطول والقصر .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٣ .
(٢) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٣ والخصائص الكبرى ١/١٦٩ (ط الهراس) .
(٣) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٤ .
(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

البادِن : بكسر الدال المهملة : الضخم الكثير اللحم . ولمّا قال ذلك أردَفه بقوله مُتَماسك و هو الذى يمسك بعضه بعضًا فليس هو بمُسْترخ ولا متهدِّل ، كأن لحمه لاكتنازه واصطحابه يُمْسك بعضه بعضًا لأن الغالب على السِّمَن الاسترخاء .

المربوع : الذى بَيْن الطويل والقصير .

المشذَّب : بميم مضمومة فشين فذال مشددة معجمتين مفتوحتين فباء موحّدة : البائن طُولاً مع نقصٍ فى لحمه ، أى ليس بنحيف طويل ، بل طولُه صلى الله عليه وسلم وعرْضه[1] متناسبان على أتمّ صفة .

رَبْعة : براء مفتوحة فموحّدة ساكنة أى مربوع الخَلْق لا طويل ولا قصير ، والتأنيث باعتبار النفس ، يقال رجل رَبْعَة وامرأة ربْعَة وقد فسره فى الحديث بقوله : ليس بالطُّويل البائن المفْرط فى الطول مع اضطراب القامة ..

البائن : الطويل فى نحافة اسم فاعل من بان أى ظَهر على غيره . قاله الحافظ وفى النهاية : أى المفْرط طولاً الذى بَعُد عن قَدْر الرجال الطِّوَال[2] .

الغُصْن والأغصان : أطراف الشجر ما دامت فيها نابتة .

النَّضَارة : حُسْن الوجه والبريق .

الثلاثة : النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعامر بن فُهَيْرة .

المُمَّغِط : بميمين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة مشددة فغين معجمة مكسورة المتناهى فى الطول ، وامتغط النهارُ امتدّ ومغطتُ الحَبْلَ إذا مددته وأصله مُنْمَغِط والنون للمطاوعة فقلبت ميماً وأُدغمت فى الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه .

القصير المتردِّد : وهو الذى تردّد بعضُ خَلْقه على بعض فهو المجتمع الخَلْق الذى يَضْرب إلى القصر جدا .

---

(١) ت ، م : وقصره .
(٢) غير ط : طوله .

مُقَصَّداً : بميم مضمومة فقاف فصاد مشدّدة مفتوحتين أى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم ، كأنَّ خَلْقه صلى الله عليه وسلم يجيء به القَصْد من الأُمور .

اكتنفَه الرَّجُلان : أحاطَا به من جانبيه .

غمَرهم : أى كان فوق كلّ من معه .

سَهمهم : طالَهم .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب التاسع عشر

فى عَرقه صلى الله عليه وسلم وطِيبه

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير العَرق .
رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أيضًا : ما شَمَمْت ريحاً قط أو عَرقا قط أَطْيَبَ من ريح أو عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه الإمام أحمد والشيخان والترمذى . وزاد : ولا شَمَمْت مِسْكاً ـ ولا عطراً أَطْيبَ مِن ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كأَن ريحَ عرقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحُ المسك بأَبى وأُمّى ! لم أَر قَبْله ولا بَعْده مثلَه .
رواه ابن عساكر[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى أُمَّ سُلَيْم فيَقِيلُ عندها فتبسط له نِطْعاً فيقيل عليه وكان كثير العَرق وكانت تجمع عَرقه صلى الله عليه وسلم فتجعله فى الطِّيب والقوارير ، فيستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : ما هذا الذى تضعين يا أُم سليم ؟ فتقول : هذا عَرقك نجعله لِطيبنا وهو أَطْيب الطِّيب . وفى رواية قالت : هذا عَرقك أَدُوف به طيبى .
رواه مسلم وغيره[3] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨١ ، ٨٢ .
ومسند أحمد ١٠٧/٣ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ .
(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٥ ومسند أحمد ١٤٦/٣

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه مثل اللؤلؤ أطيب ريحاً من المسك الأذفر وكأن كفه كف عطّار مسّها طِيبٌ أو لم يمسّها به ، يصافحه[1] المصافح فيظل يومَها يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبىِّ فيُعرف من بَيْن الصبيانَ من ريحها على رأسه .

رواه أبو بكر بن أبى خيثمة وأبو نعيم مختصرا .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزْهَر اللون كأنَّ عَرقه اللؤلؤ .

رواه أبو بكر ابن أبى خيثمة[2] .

وقالت أم عاصم امرأة عُتْبة بن فَرْقَد السُّلَمى له : إنا لنَجْهد[3] فى الطِّيب ولأنت أطْيب ريحاً منا فِممّ ذلك ؟ فقال : أخذنى السَّرَى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فشكوت ذلك إليه فأمرنى أن أتجرَّد فتجردْتُ وقعدت بين يديه صلى الله عليه وسلم وألقيت ثوبى على فَرْجى فنَفث فى يده ومسح ظهرى وبطنى بيده فعَبق بى هذا الطِّيب[4] من يومئذ .

رواه الطبرانى .

ورُوى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجلٌ إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى زوَّجت ابنتى وأحبّ أن تعيننى بشىء فقال : ما عندى شىء ولكن ايتنى بقارورة واسعة الرأس وعُود شجرة . فأتاه بهما فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يَسْلت له فيها من عَرَقه حتى امتلأت القارورة ، فقال خذها وأمر بنتك أن تغمس هذا العُود فى القارورة وتطيَّب به . فكانت إذا تطيبت به يشمّ أهلُ المدينة رائحة ذلك الطيب .

رواه الطبرانى وأبو يعلى وابن عدى[5] .

---

(١) ط : يصافح .

(٢) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ .

(٣) ت ، م : لنجتهد .

(٤) غير ط : فعقب بى ذلك الطيب .

(٥) هذا الحديث موضوع كما ذكر السيوطى فى كتابه اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ١/٢٧٤ (طالمنيرية) وقال : آفته جليس بن غالب الكلبى . قال فى الميزان : هذا منكر جدا . وجليس : قال ابن عدى : منكر الحديث . وقال الدار قطنى متروك .

وقال وائِل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : كنت أصافح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فأتعرَّفه بعدُ فى يدى وإنه لأطيب من ريح المسك .

رواه الطبرانى .

وقال يزيد بن الأسود رضى الله تعالى عنه : ناوَلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فإذا هى أبْرَد من الثلج وأطْيَب ريحًا من المسك .

رواه البيهقى[1] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كلَّ ريح طيِّب قد شمَمْت ، فما شممت قط أطْيَب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلَّ شىء لَيِّن قد مسَسْت فما مسست شيئا قط ألْيَن من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر[2] .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : مسَح رسول الله صلى الله عليه وسلم خدَّى فوجدت ليده بَرْدًا وريحا كأنما أخرج يده من جُؤْنة عطَّار .

رواه مسلم[3] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كأن عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه اللؤلؤ ، ولَريح عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أطْيَب من ريح المسك الأذْفر .

رواه ابن سعد وابن عساكر[4] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزْهَر اللَّون كأنَّ عَرقه اللُّؤلؤ .

رواه مسلم[5] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢٠٥١ . والخصائص الكبرى ١٨٤/١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣٢٠/١ ، ٣٢١ بمعناه .

(٣) سبق تخريج هذا الحديث قريبا

(٤) الخصائص الكبرى ١٨٥/١ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٢ .

وقال رجل من قريش[1] كنت مع أبي حين رَجم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماعزَ بن مالك ، فلما أخذته الحجارة أُرْعِبْت ، فضمَّنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسال من عرق إبطه مثلُ ريح المسْك .

رواه الدارمىّ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كنا نَعْرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل بطيب ريحه .

رواه ابن سعد وأبو نعيم[2] .

وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : كنت أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أَدْنُ منى فدنوت منه فما شممت مِسْكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه البزار[3] .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال : لم يكن يمرّ فى طريق فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عَرْقه أو عَرْفه .

رواه البخارى فى تاريخه والدارمى[4] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطِّيب فيقال مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الطريق.

رواه أبو يعلى والبزار[5] .

ويرحم الله تعالى القائِل حيث قال :

ولو أن رَكْبًا يمَّمُوك لقَادهم نَسِيمُك حتى يستدِلَّ بـه الركْبُ

---

(١) كذا وقد سبق أنه من بنى حريش ، وكذلك جاء فى الخصائص الكبرى ١/١٦٨ والوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ .
(٢) الخصائص الكبرى ١/١٦٧ .
(٣) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .
(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٦ .
(٥) الخصائص الكبرى ١/١٦٧ .

والقائل :

يرُوح على تلك الطريق التى غـدَا[1] عليها فلا يَنْهى عُلَاه نُهَـاتُـه

تنَفُّسُـه فى الوقتِ[2] أنفاسُ عِطْره فمِنْ طِيبـه طابَتْ لـه طُرقاتُـه

تَروح لـه الأَرواحُ حيث تنسَّمتْ لهـا سَحرا من حُبِّـه نَسماتُـه

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير العَرق . رواه مسلم[3] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فيما رواه ابن عساكر وأبو نعيم : كنت قاعدة أَغْزل والنبىُّ صلى الله عليه وسلم يَخْصف نعلَه فجعل جبينه يَعْرق وجعل عَرقه يتولَّد نورًا فبهتُّ ، فقال : مالكِ بُهت ؟ قلت : جعل جبينُك يعرق وجعل عرقك يتولَّد نورًا ولو رآك أبو كَبِير الهُذَلى لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول فى شعره :

ومُبَرَّأ عن كل غُبَّـر حَيْضـة وفَساد مُرْضعـة وداءٍ مُعْضِل[4]

وإذا نظرتَ إلى أَسِرة وجهـه برقَتْ بروقَ العارِض المُتَهَلِّلِ[5]

تَنْبيهَاتٌ

الأول : قال إسحق بن راهويه رحمه الله تعالى : إن هذه الرائحة الطيبة كانت رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير طيب .

---

(١) ط : على غير الطريق الذى غدا .

(٢) غير ط : ينفس فى ذا الوقت .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٢ .

(٤) كذا والرواية فى ابن عساكر والخصائص الكبرى : وداء مغيل ، يقال : غالت المرأة ولدها إذا أرضعته وهى حامل .

(٥) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٤ والخصائص الكبرى ١/١٦٧ .

وقال السيوطى فى الخصائص بعد أن ذكره : قال أبو على صالح بن محمد البغدادى : لا أعلم أن أبا عبيدة – يقصد معمر ابن المثنى راوى الحديث عن هشام بن عروة – حدث عن هشام بن عروة شيئا . قال : لكن الحديث حسن عندى . حين صار مخرجه محمد بن إسماعيل البخارى .

وقال النووى رحمه الله تعالى : وهذا مما أكرمه الله تعالى به .

قالوا : وكانت الريح الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وإن لم يمسّ طيبًا ، ومع هـذا كان يستعمل الطيب فى أكثر أوقاته مبالغة فى طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحى ومجالسة المسلمين .

الثانى : مبدأ هذه الرائحة الطيبة بجسده صلى الله عليه وسلم من ليلة الإسراء . روى ابن مَرْدَوَيْه عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أُسْرِى به ريحُه ريح عروس وأطيب من ريح عروس .

الثالث : ما اشتهر على ألسنة بعض العوام أن الورد خُلق من عَرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أبو زكريا يحيي النووى والحافظ والشيخ وغيرهم : إنه باطل لا أصل له . والحديث رواه الدَّيْلمى فى مسند الفردوس من طريق مكى بن بنْدار وقد اتهمه الدارقطنى بوضع الحديث . وله طرق بيَّنْت بُطْلانها فى كتابى « إتحاف اللبيب فى بيان ما وضع فى معراج الحبيب » .

الرابع : فى بيان غريب ما تقدم :

شَمِمْت : بكسر الميم فى الماضى وفتحها فى المضارع ويجوز فتحها فى الماضى وضمها فى المضارع

أو عَرْفًا : شكّ من الراوى لأن العَرْف ـ بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها فاء ـ هو الريح الطيب .

ومن ريح : بكسر الحاء بلا تنوين لأنه فى حكم المضافُ تقديره من ريح النبى صلى الله عليه وسلم أو عرقه . ووقع فى بعض الرّوايات بفتح الراء وبالقاف فأو على هذا للتنويع .

قال الحافظ : والأول هو المعروف . وفى رواية ما شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ رحمه الله تعالى : ضبط هذا اللفظ[1] بوجهين أحدهما بسكون

---

(١) يريد قوله : ولا عنبرة .

النون بعدها موحدة . والآخر بكسر الموحدة بعدها مثناة تحتية[1]. والأول هو المعروف ، والثانى طِيب معمول من أخلاط يجمعها الزعفران . وقيل هو الزعفران . ووقع عند البيهقى ولا شممت مِسْكا ولا عنبرًا ولا عَبيرا ذكرهما جميعًا .

يقيل : ينام فى القائلة وهى شدة الحرّ .

القوارير : آنية من زجاج . أَدُوف بالدال المهملة أى أخلط. يقال : داف الشىء يَدُوفه دوفا وأدافه : خلطه . الأَذْفر بذال معجمة أى طيب الرائحة والذَّفَر بالتحريك يقع على الطيِّب والكريه ويفرّق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به .

السَّرَى : بفتحتين ـ خُرَاج[2] صِغَار لها لَذْع شديد .

عَبق به الطِّيب عَبقًا من باب تَعِب ـ ظهرت ريحُه بثوبه أو بدنه فهو عَبِق . قلت[3]: ولا يكون العَبق إلا للرائِحة الطيبة الزكية .

جُؤْنة ـ بضم الجيم وهمزة ساكنة ، ويجوز تسهيلها : سَفَطٌ[4] مُغَشًّى بجلْد يَجْعل فيه العطار طيبَه .

---

(١) أى عبيرة .
(٢) الخراج كغراب : القروح .
(٣) ط : قـالوا .
(٤) السفط : وعاء كالجوالق .

الباب العشرون

فى مشيه صلى الله عليه وسلم وأنه لم يكن يُرى له ظِلّ

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فكنت إذا مشيت سبقنى، فالتفت إلىّ رجل إلى جنبي فقلت : تُطْوى له الأرض وخليل إبراهيم .

رواه الإمام أحمد وابن سعد [1].

وقال يزيد بن مَرْثَد - بميم مفتوحة فراء ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة فدال مهملة - وهو من التابعين رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه .

رواه ابن سعد [2] .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحدًا أسْرع فى مِشْيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الأرض تُطْوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه غير مُكْترث .

رواه الإمام أحمد والترمذى فى الشمائل والبيهقى وابن عساكر من طرق [3] .

وقال ذَكْوان رحمه الله تعالى : لم يُرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظلّ فى شمس ولا قمر.

رواه الحكيم الترمذى [4] . وقال : معناه لئلا يطأ عليه كافرٌ فيكون مذلةً لهُ .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٣٧٩ (ط بيروت) . ومسند أحمد ٢/٢٥٨ ، ٢٩٥ ،

(٢) سقط من الأصل وأثبته من طبقات ابن سعد ١/٣٧٩ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٣) مسند أحمد ٢/٣٥٠ ، ٣٨٠ وسنن الترمذى كتاب المناقب باب ١٢ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

وقال ابن سبع رحمه الله تعالى : فى خصائصه : إن ظلَّه صلى الله عليه وسلم كان لا يقع على الأرض وإنه كان نورًا وكان إذا مشى فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل[1] .

قال بعض العلماء : ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه : «واجعلنى نورًا[2]» وستأتى صفة مشيه صلى الله عليه وسلم فى باب آدابه .

نَجْهد - بفتح النون وضمّها ، يقال : جَهد دابتَه وأجْهدها إذا حمل عليها فوق طاقتها .

مُكْترث : أى غير مبالٍ ، ولا يستعمل إلا فى النفى وأما استعماله فى الإثبات فشاذ .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٧٠ .

الباب الحادى والعشرون

فى الآية فى صوته صلى الله عليه وسلم وبلوغه حيث لا يبلغه صوتُ غيره

روى ابن سعد عن قتادة وابن عساكر عنه ، عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما بعَثَ الله نبيًّا إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيَّكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسَن الوجه حسَن الصوت[1] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : ما بَعث الله تعالى نبيًّا قط إلا بعثه صَبيح الوجه كريم الحسَب حسن الصوت ، إن نبيكم كان صبيح الوجه كريم الحسَب حسن الصوت .

رواه ابن عساكر .

وقال جبير بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن النَّغمة .

رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وقال البَرَاء رضى الله تعالى عنه : خطَبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أَسْمع العَواتق فى خدورهن .

رواه أبو نعيم والبيهقى[2] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال للناس : اجلسوا ، فسمعه عبد الله بن روَاحة وهو فى بنى غَنْم[3] فجلَس مكانه

رواه أبو نعيم والبيهقى[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٣٧٦ (ط بيروت) .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٦٤ .

(٣) كذا فى ط موافقا لما فى الخصائص ، وفى بقية النسخ : فى بنى تميم .

(٤) الخصائص ١/١٦٥ .

وقال عبد الرحمن بن معاذ التميمى رضى الله تعالى عنه : خطَبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنًى ففُتحت أسماعنا . وفى لفظ : ففتح الله أسماعنا حتى أنا كنا لَنسمع ما يقول ونحن فى منازلنا .

رواه ابن سعد وأبو نعيم[1] .

وقالت أُم هانئ رضى الله تعالى عنها : كنا نسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل وأنا على عريشى .

رواه ابن ماجه[2] .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العِشاء « والتين والزيتون » فلم أسمع صوتا أحسَن منه .

متفق عليه[3] .

وقالت أُم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان فى صوته صلى الله عليه وسلم صَحَلٌ .

رواه ابن عساكر وغيره[4] .

[تفسير الغريب]

العواتق : جمع عاتق يقال : عَتَقت الجاريةُ عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوجٌ فهى عاتق .

وفى البارع : العَاتق التى لم تَبِنْ عن أهلها والتى لم تتزوج .

---

(١) الخصائص ١/١٦٥ .

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الإقامة باب رقم ١٧٩ . ومسند أحمد ٦/٣٤٢ ، ٣٤٣ والخصائص ١/١٦٥ .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير باب سورة « والتين » .
وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٧٧ .

(٤) تهذيب ابن عساكر ١/٤٢٦ . وقد سبق تخريج حديث أم معبد فى مواضع متفرقة من هذا الجزء .

وقال أبو زيد رحمه الله تعالى : هى التى أدركت مالم تَعْنَس[1]. وقال الأصمعى : هى فوق المُعْصر[2].

صَحَل - بفتح الصاد والحاء المهملتين وباللام- شبه البُحَّة وهى غِلَظ الصوت . وفى رواية : صَهَل بالهاء بدل الحاء وهو قريب منه لأن الصهل صوت الفرس ، وهو يَصْهل بشدة وقوة .

وستأتى صفة كلامه صلى الله عليه وسلم فى أبواب آدابه .

---

(١) عنست الجارية - كسمع ونصر وضرب - عنوسا وعناسا : طال مكثها فى أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ولم تتزوج قط . (القاموس المحيط) .

(٢) المعصر : التى ادركت وبلغت شبابها .

الباب الثانى والعشرون

فى فصاحته صلى الله عليه وسلم

الفصاحة لغةً : البيانُ .

واصطلاحاً : خلوصُ الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد .

هذا باعتبار المعنى . وأمّا باعتبار اللفظ فهى كونه على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدْوَر[1] واستعمالهم له أكْثر .

والفرق بينها وبين البلاغة : أن الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم ، والبلاغة يوصف بها الأخيران فقط .

ففصاحة المفرد : خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس .

وفصاحة الكلام : خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد .

وبلاغته : مطابقته لمقتضَى الحال مع فصاحته .

وفصاحة المتكلم : ملَكة يقْتدر بها على التعبير عن المقصود . وبلاغته : ملكة يقتدرُ بها على وجوه تأليف الكلام البليغ . فالبلاغة أخصُّ مطلقًا ، فكلُّ بليغ فصيح ولا عكس ، والبليغ الذى يَبْلغ بعبارته كُنْه ضميره .

وقال الإمام العلامة أبو سليمان أحمد الخطابى رحمه الله تعالى: اعلم أن الله تعالى لمَّا وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعَ البلاغ[2] من وَحْيه ونصَبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعْذَبها[3] ومن الألسن أفصحها وأبْينها ، ثم أمدَّه بجَوامع الكَلِم التى جعلها رِدْءا

---

(١) غير ط : إذا ورد استعمالهم له .

(٢) ط ، ص : موضع البلاغة . وما أثبته من ت ، م .

(٣) ط : أعربها .

لنبوّته وعلَما لرسالته ، لينتظم فى القليل منها عِلْمٌ كثير يسهل على السامعين حفظه ولا يَئُودهم حَمْله ، ومن تتبع الجوامع من كلامه صلى الله عليه وسلم لم يَعْدَم بيانها .

وقال الإمام أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير رحمهم الله تعالى فى أول النهاية : قد عرفت أيَّدك الله تعالى وإيانا بلطفه وتوفيقه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصحَ العرب لسانا وأوضحَهم بيانا وأعذبهم نطْقًا وأسَدَّهم لفظًا وأبْينَهم لَهْجة وأقومَهم حُجة ، وأعْرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طريق[1] الصواب ، تأييدًا إلهيًّا ولفظا سَمائِيًّا وعناية ربانية ورعاية رُوحانية ، حتى لقد قال له علىٌّ رضى الله تعالى عنه وسَمِعه يخاطب وفد بنى نَهْد : يا رسول الله نحن بنو أبٍ واحدٍ ، ونراك تكلم وفودَ العرب بما لا نَفْهم أكثره فقال : «أدَّبنى ربى فأحسن تأديبى وربِّيت فى بنى سعد» .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب العربَ[2] على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم يخاطب كلاًّ منهم بما يفهمون ويحادثهم بما يَعْلمون ، ولذلك قال صدَّق الله تعالى قوله : «أُمرت أن أخاطب الناسَ على قَدْر عقولهم» فكأن الله تعالى قد أعْلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بنى أبيه وجمع فيه ما تفرَّق[3] ولم يوجد فى قاصى العرب ودانِيه ، وكان أصحابه رضى الله تعالى عنهم ومن يفد إليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله وما جهلوه يسألونه عنه فيوضحه لهم .

قلت : قوله : «ولذلك قال : أُمِرتُ أن أُخاطِب الناسَ على قَدْر عقولهم» .

رواه الحسن بن سفيان فى مسنده بسند ضعيف وله طرق تقوِّيه .

وقال القاضى أبو الفضل عِيَاض رحمه الله تعالى : وأمّا فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحلّ الأفضل والموضع الذى لا يُجْهَل ، سَلاسة[4] طَبْع وبراعة مَنْزع وإيجاز مَقْطع ونَصاعة[5] لفظ وجَزالة[6] قولٍ وصحة معانٍ وقِلة تكلُّف ، أوتى

---

(١) ط : طرق .

(٢) ص ، ت ، م : يخاطب ألوفا . وما أثبته من ط .

(٣) ص : ما لا يعرف . وفى ت م : ما يعرف . وأظنه محرفا . وما أثبته.

(٤) ت ، م : سلامة طبع .

(٥) كذا فى ط موافقا للشفاء . وفى غيرها : وفصاحة لفظ .

(٦) ص : وحلاوة قول .

صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكلم وخُصّ ببدائع الحكم وعَلِم ألسنة العرب ، يخاطب كلَّ أمة بلسانها ويُحَاوِرها بلغتها[1] ويُبَارِيها فى مَنْزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه صلى الله عليه وسلم يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، من تأمَّلَ حديثَه وسِيرَه[2] عَلِم ذلك وتحقَّقه[3] .

ففصاحة[4] لسانه صلى الله عليه وسلم غاية لا يدرك مدَاها ومنزلَة لا يدانى منتهاها وكيف يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانَه سيفًا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو إليه عبادَه ، فهو ينطق بحكمة عن أمره ، ويبين عن مراده بحقيقة[5] ذكره ، أفصح خَلْق الله إذا لفظ وأنصحهم إذا وعظ ، لا يقول هُجْرا ولا ينطق هَذَرًا ، كلامه كله يُثْمر عِلْما ويُمْتَثل شرعا وحُكْما لا يتفوّه بشَرٌ بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجْزَل منه فى عذوبته ، وخليقٌ بمن عبَّر عن مراد الله بلسانه وأقام[6] الحجة على عباده ببيانه ، وبيَّن مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ، أن يكون أحْكَم الخلق تِبْيانا وأفصحهم لسانا وأوضحهم بيَانًا ، وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد ولا ينكرها موافقٌ ولا معاند .

* * *

قال القاضى رحمه الله تعالى : أمّا كلامه المعتاد وفصاحته المعلُومة وجوامع حِكَمه المأثورة فقد ألّف الناس فيها الدواوين وجُمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب . ومنها ما لا يُوازَى فصاحةً ولا يبارى بلاغةً . كقوله صلى الله عليه وسلم : «المسلمون تتكافأُ دماؤهم ويَسْعى بذمتهم أدْناهم وهم يدٌ على من سواهم» .

رواه أبو داود والنسائى عن على رضى الله تعالى عنه[7] .

---

(١) ص : بلغاتها .

(٢) فى نسخة من الشفاء : وسيره .

(٣) إلى هنا انتهى كلام القاضى عياض فى الشفاء ص ٥٨ (الطبعة العثمانية) وبعده فى ت م فقط :

ينظم ذا الشعر نثر بقـــوله ... فأحسنه فى نثره ونظامه

يناجى منجى من يناجى فى الجوى ... وكل علم يزود فى كلامه

ولم ترد فى ط ، ص . ولعلها مقحمة محرفة .

(٤) ت م ص : فقد أوتى لسانه صلى الله عليه وسلم . وما أثبته من ط .

(٥) كذا فى ط وفى بقية النسخ : تحقيق ذكره .

(٦) ط : وأقام به الحجة .

(٧) سنن أبى داود كتاب الديات باب ١١ وكتاب الجهاد باب ١٤٧ .
وسنن ابن ماجة كتاب الديات باب ٣١ . ومسند أحمد ٢/١٨٠ ، ١٩٢ .

«المسلمون[1] كأسنان المشط» .

ابن لآل فى مكارم الأخلاق عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه .

«المرءُ مع من أحبَّ» .

الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه[2] .

«لا خَيْرَ فى صُحْبة من لا يرى لك مثلَ ما ترى له» .

ابن عَدِىّ عن أنس رضى الله تعالى عنه .

«الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضة ، خِيَارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فَقهوا» .

الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه[3]

« ما هلك امرؤٌ عَرف قَدْر نفسه» .

ابن السمعانى فى تاريخه عن على رضى الله تعالى عنه .

« المستشار مُؤْتمن ، وهو بالخيار إن شاء تكلم وإن شاء سكت» .

أحمد عن أبى[4] مسعود عُقْبة بن عمرو [5] وصَدره عند الأربعة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

« رحم الله عبدًا قال خيرًا فغَنِم أو سكَت عن شر فسَلِم» .

أبو الشيخ فى الثواب عن أبى أمامة والدَّيْلمىّ عن أنس رضى الله تعالى عنهما .

«أَسْلِم تَسْلم يُؤْتك الله أجرَك مرتين» .

الشيخان فى قصة هرقل[6] .

---

(١) ط : الناس كأسنان المشط .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب باب ٩٦ . وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٦٥ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الأنبياء وكتاب المناقب وكتاب التفسير وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٦٨ .

(٤) كذا فى ط وفى بقية النسخ : عن ابن مسعود .

(٥) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة ، أبو مسعود الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج ، وهو مشهور بكنيته ويعرف بأبى مسعود البدرى لأنه رضى الله عنه كان يسكن بدرا . الاستيعاب ٣/٧٤ ١ .

(٦) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٧٤ . وكتاب الجهاد ، وكتاب التفسير .

«إن أحبكم[1] إلىّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطأون أكنافاالذين يَألفون ويُؤْلفون» .

الترمذى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه[2] .

«لعله كان يتكلم بمالا[3] يَعْنيه ويبخل بما لا يُغنيه» .

البيهقى فى الشُّعَب عن أنس رضى الله تعالى عنه والترمذى نحوه[4] .

«ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا» .

أبو داود بلفظ : ذو الوجهين فى الدنيا ذو لسانين فى النار[5]

نَهْيه عن قِيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنَع وهات ، وعقوق الأُمّهات ووأدِ البنات» .

رواه الشيخان[6] » .

اتَّقِ الله حيثما كنت[7] وأتبع السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخالِق النَّاسَ بخُلق حسن» .

رواه الإمام أحمد وغيره عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه[8] .

«خير الأُمور أوساطها» .

ابن السمعانى فى الذيل عن على .

«أَحْببْ حبيبَك هَوْنًا ما فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما» .

البخارى فى الأدب المفرد والترمذى[9] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

---

(١) ت م : إن أدناكم .

(٢) صحيح الترمذى كتاب البر ، باب رقم ٧١ .

(٣) ص ، ت ، م : فيما .

(٤) سنن الترمذى كتاب الزهد باب ١١ ولفظه : أو بخل بما لا ينقصه .

(٥) سنن أبى داود كتاب الأدب باب ٣٤ .

(٦) صحيح البخارى كتاب الرقاق باب ٢٢ وكتاب الزكاة باب ٥٣ وصحيح مسلم كتاب الأقضية حديث رقم ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ .

(٧) ص : حيث كنت .

(٨) مسند الإمام أحمد ٣ /٥ . وسنن الترمذى كتاب البر باب ٥٥ ، وسنن الدارمى كتاب الرقاق .

(٩) صحيح الترمذى كتاب البر باب ٦٠ .

« الظُّلَم ظلمات يومَ القيامة .

البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما[1] .

« اللهم إنى أسألك رحمةً تَهْدى بها قلبى وتجمع بها شَمْلى وتَلُمُّ بها شعثى وتُصْلح بها غائبى وترفع بها شاهِدى وتزكِّى بها عملى وتُلْهمنى بها رُشْدى وتردّ بها أُلْفَتى وتعصمنى بها من كل سوءٍ ، اللهم إنى أسألك الفَوْز فى القضاءِ ومنازل[2] الشهداءِ وعيش السّعداء والنَّصْر على الأعداءِ » .

الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما[3] .

إلى غير ذلك ممّا روته الكافةُ عن الكافة من مقاماته صلى الله عليه وسلم ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبةً لا يقاس بها غيره وحاز منها سبقًا لا يُقْدَر قَدْره .

* * *

وقد جَمعْتُ من كلماته صلى الله عليه وسلم التى لم يُسْبق إليها ولا يَقْدر أحد أن يُفْرغ فى قالبه عليها كقوله صلى الله عليه وسلم « حَمىَ الوطيس » قاله صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

مُسْلم عن جابر رضى الله تعالى عنه[4] .

« مات حَتْف أنفه » .

البيهقى عن عبد الله بن عتيك رضى الله تعالى عنه . وقال : والله إنها كلمة ما سمعتها من أحدٍ من العرب قبلَه صلى الله عليه وسلم .

« لا يُلْدَغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين » .

البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المظالم باب ٨ .

(٢) ط : ونزل .

(٣) صحيح الترمذى كتاب الدعاء باب ٣٠ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٧٦ . هذا وتخريج هذه الأحاديث ليس من كلام القاضى عياض فى الشفاء ، وإنما هو من المصنف .

(٥) صحيح البخارى كتاب الأدب باب ٨٣ وصحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ٦٣ .

«السعيدُ مَنْ وعِظ بغيره» .

الدَّيْلمى عن عُقْبة بن عامر القضاعى عن ابن مسعود مرفوعًا . ومُسْلم عن ابن مسعود موقوفًا وزاد : والشقىُّ من شَقِى فى بطن أُمه[1] » .

هذا ماذكره القاضى[2] .

وزاد الثعالبىّ : كلُّ الصَّيْد فى جَوْف الفِرا» الرامهُرْمُزى فى الأمثال عن[3] وهو مُرْسَل سنده جيد .

«لا يَنْتطح فيها عَنْزان» .

«هُدْنة على دَخن» .

«جَماعة على قَذى» .

«إنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قَطَع ولا ظهرًا أَبْقَى» .

«نُصِرتُ بالرُّعب» .

«أُوتيت جوامعَ الكَلِم» .

«إنَّ مِمّا أَنْبَتَ الربيعُ [4]يَقْتل حَبطا أو يُلمّ» .

رواه البخارى[5] .

قال ابن دُرَيْد : إنه من الكلام الفَرْد الوجيز الذى لم يُسْبق إلى مثله[6] .

«الإيمانُ قَيَّد الفَتْكَ»[7] .

«يا خَيْل الله اركبى» .

«اشتدِّى أَزْمةُ تَنْفرجى» انتهى .

---

(١) صحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ٣ .

(٢) الشفا للقاضى عياض ص ٦٠ – ٦١ .

(٣) بياض بالأصول .

(٤) ط : البقل :

(٥) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب ٣٧ وكتاب الرقاق باب ٧ وصحيح مسلم كتاب الزكاة ، حديث ١٢١ .

(٦) ط : إلى معناه .

(٧) سنن أبى داود كتاب الجهاد باب ١٥٧ ومسند أحمد ٩٢/٤ .

قال القاضي : إلى غير ذلك مما يدرك الناظر العجب فى مُضَمَّنها ويذهب به الفكر فى أدْنَى[1] حِكَمها .

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم «أنا النبيُّ لا كَذِب أنا ابن عبد المطلب أنا أعْرَب العرب ولدتنى قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر ، فأنَّى يأتينى اللحن» .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك[2] .

وقد قال له أصحابه فيما رواه ابن أبى حاتم والبيهقى عن محمد بن إبراهيم التَّيْمى والعسكرى والرامهُرْمزى معا فى الأمثال عنه عن أبيه عن جده قال : ما رأينا الذى هو أفصح منك . فقال : « ومايمنعنى وإنما أُنزل القرآن بلسانى لسان[3] عربى مبين وإنى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر[4] » .

قال : فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وفصاحة[5] ألفاظ الحاضرة ورَوْنق كلامها .

وقال عمر بن الخطاب رضىَ الله تعالى عنه : يا رسول الله ما لَك أفْصَحنا ولم تَخْرج من بين أظْهُرنا ؟ قال : « كانت لغة إسماعيل قد درست فجاءَ بها جبريل فحفظتها[6] » .

رواه أبو نعيم والبيهقى[7] .

وقالت برَّة [8] بنت عامر الثقفية سيِّدة نساء قوْمها لإخوتها : يا بنى عامر أفيكم من أبصر محمدًا صلىَّ الله عليه وسلم ؟ فقالوا : كلُّنا قد رأيناه أيام الموْسِم . فقالت : أفيكم من سمعه

---

(١) الشفا : فى أدانى حكمها .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٥٨ وذكر أن الطبرانى أخرجه .

(٣) ص ، ت ، م : بلسان عربى .

(٤) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان وابن أبى الدنيا فى كتاب المطر وابن أبى حاتم والخطيب فى كتاب النجوم وابن عساكر . الخصائص الكبرى ١/١٥٨ .

(٥) ط : وفصاحة ألفاظ .

(٦) ط : فحفظتنيها .

(٧) الخصائص الكبرى ١/١٥٧ .

(٨) ط : مرة .

يتكلم ؟ قالوا : نعم . فقالت : كيف هو فى فصاحته ؟ قالوا يا أُختاه إن أَقْبح مَثالب العرب الكذِب ، أمّا فصاحته فما ولدت العربُ فيما مضى ولا تلد فيما بَقَى أفصح منه ولا أَذْرَب منه إذا تكلم يُعْجز اللبيبَ كلامَه ويخرس الخطيبَ خطَابه .

رواه أبو الحسن أحمد بن عبد الله محمد البكرى فى كتابه« أُنْس الواحش وريّ العاطش » .

وقال محمد بن عبد الرحمن الزُّهْرى عن أبيه عن جدّه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيُدَالك الرجلُ امرأته ؟ قال : نعم . إذا كان مُلْقِحًا . فقال له أبو بكر : يا رسول الله لقد طُفْت فى العرب وسمعت فِصَاحهم[1] فما سمعت أفصح منك .فقال : أَدَّبنى ربى ونشأْت فى بنى سعد بن بكر .

رواه ابن عساكر[2] » .

دالكه : ماطَله .

مُلْقحًا ـ بضم الميم وفتح القاف اسم فاعل من أَلْقَح الرجلُ فهو مُلْقِح إذا كان فقيراً . وهو غير مَقِيس . قاله فى القاموس . وقال غيره : معناه أَيداعب الرجل امرأته يعنى قبل الجماع وسمّاه مَطْلا لكون غرضها الجماع ـ قال : إذا كان عاجزا فيكون ذلك محركاً لشهوته ولعجزه يسمىّ مُفْلسًا .

وقال زكريا بن يحيي بن يزيد السَّعْدى رحمه الله تعالى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أَعْرَبُ العربِ ولِدْتُ فى قريش ونشأْت فى بنى سَعْد فأَنَّى يأْتينى اللحن »

رواه ابن سعد[3] .

---

(١) فصاحتهم .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٥٨ .

(٣) لم أجده فى طبقات ابن سعد فى باب نسبه ولا فى باب رضاعه ولا فى باب صفة كلامه . ويبدو أن المؤلف لم ينقله عن ابن سعد مباشرة وإنما نقله عن السيوطى فى الخصائص ، إذ أن السيوطى كان شيخه وهو ينقل عنه أكثر ما فى كتابه . والذى فى الخصائص : وأخرج ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعربكم أنا من قريش ولسانى لسان بنى سعد بن بكر » .

ثم قال : « وأخرج الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعرب العرب ولدت فى قريش » إلخ . فلعل هنا سقطا فى الأصل .

وقال بُرَيْدة رضى الله تعالى عنه: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وكان يتكلم بالكلام لا يَدْرون ما هو حتى يخبرهم » رواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن الجوْزى[1]

[معرفته صلى الله عليه وسلم بلهجات العرب]

وليس كلامه صلى الله عليه وسلم مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع غيرهم ، فانظر دعاؤه صلى الله عليه وسلم لبنى [2] نَهْد وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم فى جملة الوفود فقام طهفة ابن رهْم النَّهْدى يشكو الجدْب فقال : أتيناك يا رسول الله من غَوْر تهامة بأكوار المِيس ترتمى بها العِيس ، نَسْتحْلب الصَّبِير ، ونَسْتَجْلِب الخَبِير ونَسْتعضِد البَرير ، ونَسْتخيل الرِّهَام ، ونَسْتجيل الجهَامِ ، من أرض غائِلة [3] النِّطَاء ، غليظة الوِطَاء ، قد نَشف المُدْهُن ويَبِسَ الجِعْثِن ، وسقط الأملوج ، ومات العُسْلُوج ، وهلك الهَدِىّ ، ومات الوَدِىّ ، برِئْنا إليك يا رسول الله من الوثن ، والعَنَن ، وما يحدث به الزمن ، لنا دعوة السلام . وشريعة الإسلام ، ماطمَا البحر ، وقام يَعار ، وكنا نَعَم هَمل أغْفال . ما تبل بَبلَال .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم باركْ لهم فى مَحْضها ومَخْضها ومَذْقها . وابعث رعاتها [4] فى الدّثْر بيانع الثَّمر وافْجُر لهم الثَّمد ، وبارك لهم فى المال والولد ، من أقام الصلاة ، كان مسلما ، ومن آتى الزكاة كان مُحْسنا ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مُخْلصا ، لكم يا بنى نَهْد ودائع الشِّرْك ووضائع الملك لا تُلْطِطْ فى الزكاة ولا تُلْحِد فى الحياة ولا تَثَاقل عن الصَّلاة » .

ثم كتب معهم كتابا إلى بنى نهد : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بنى نهدبن زيد : السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله . لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارِض والفَرِيش . وذو العِنان الرَّكُوب والفلق الضَّبِيس ، لا يُمْنع سَرْحكم ، ولا يُعْضَد طَلْحكم ، ولا يُحْبس دَرّكم ، ما لم تُضْمِروا الرِّمَاق . وفى لفظ : الأرماق .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ص ٤٥٦ .
(٢) ص ، ت ، م : بنى نهد .
(٣) ط : عسالية .
(٤) ط : راعيها .

وتأكلوا الرِّبَاق ، من أقرَّ بما فى هذا الكتاب ، فله من الله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبَى فعليه الرِّبْوة

رواه أبو نعيم فى المعرفة والدَّيْلمى فى مسند الفردوس عن عمران بن حصين ، وأبو نعيم عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهم مختصراً[1]

وكتابه صلى الله عليه وسلم لدى الْمِشْفَار[2] مالك بن نمط[3] لما لقيه وفد هَمْدان مَقْدمَه من تبوك فقال مالك بن نمط : يا رسول الله نَصِيَّةٌ من هَمْدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قُلُص نَوَاج ، متصلة بحبَائل الإسلام ، لا تأْخذهم فى الله لومةُ لائم ، من مِخْلاف خارِف ويام ، لا يُنْقَض عَهْدُهم عن سُنَّة ماحِل ، ولا سوداء عَنْقَفير ، ما أقام[4] لَعْلَع ، وما جَرى يَعْفورٌ بصَلْع

فكتب إليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « هذا كتابٌ من محمد رسول الله لمِخْلاف خارف وأهل جِنَاب الهَضْب وجِنَاف الرَّمْل ، مع وافدهَا ذى المعشار مالك بن نمط ومن أسلَم من قومه ، على أن لهم فِرَاعها ووِهَاطَها وعِزَازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون عِلاَفها ويرعون عَفَاءهَا لنا من دِفْئِهم وصِرَامهم ما سلَّموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصَّدقة الثَّلْبُ والناب والفَصِيل والفارِض والداجن[5] والكبش الحَوَرىّ ، وعليهم فيه الصالغ [6] والقارح .

رواه أبو القاسم الزجَّاجى فى أماليه عن[7] . . . مُعْضَلا .

* * *

---

(١) الشفا للقاضى عياض ٥٨ .
(٢) ط ، لذى المعشار . وانظر ضبط المؤلف للكلمة ص ١٤٧ .
(٣) ط : ابن نبط .
(٤) ط : ما قام .
(٥) ص : الغسيل الداجن . ولم يرد فى تفسير الغريب ذكر لكلمة الغسيل .
(٦) ط : الضارع . وص ، ت ، م : الصايغ وما أثبته من تنبيهات المصنف الآتية بعد .
(٧) بياض بالأصول .

وكتابه صلى الله عليه وسلم لقُطن بن حارثة ويقال حارثة بن قطن قال الشيخ فى « مناهل الصَّفَا » وهو المعروف : العليمى بن كلب : « هذا كتابٌ من محمد لعمائر كَلْبٍ وأَحْلافها ومن ظأره الإسلامُ من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمى بإقام الصلاة لوقتها وأداء الزكاة بحقها فى شدة عَقْدها ووفاء عهدها بمَحْضر[1] من شهود المسلمين وسمّى جماعةً منهم دِحْية بن خليفة الكَلْبى . عليهم من الهَمُولة الراعية البساط الظِّئار ، فى كل خمسين ناقةٌ غير ذات عَوار ، والحُمُولةُ المائِرةُ لهم لاغية ، وفى الشَّوِىّ الوَرِىّ مُسِنَّة حامل أو حائل[2] وفيما سِوى الجدُول من العين المعِين العُشْر ، وفى العترى شطره بقيمة الأَوسط[3] ، لايُزَاد عليهم وَظِيفةٌ ولا يُفرَّق . شهد على ذلك الله ورسولُه وكتب ثابتُ بن قيس بن شَمَّاس .

رواه ابن سَعْد عن ربيعة بن إبراهيم الدمشقى رحمه الله تعالى[4] .

* * *

وكتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حُجْر : « إلى الأَقْيَال العَبَاهِلَة والأَرْوَاع المَشَابيب من أهل حضرموت بإقام الصلاة المفروضة وأداء الزكاة المعلُومَة عندمَحلِّها، فى التِّيعة شاة لا مُقَوَّرَة الأَلْيَاط ولا ضِنَاك وأَنْطُوا الثَّبَجة ، وفى السُّيُوب الخُمْس ، ومن زنَى مِمْ بِكْرٍ فاصْقَعُوه مائةً واستَوْفِضُوه عامًا ، ومن زنى مِمْ ثيِّب فضَرِّجُوه بالأَضَامِيم ولا تَوْصِيم فى الدِّين ولا غُمَّة فى فرائض الله ، وكل مُسْكر حرام ، ووائِل بن حُجْر يترفَّل على الأَقْيَال أميرًا أَمَّره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » .

رواه الطبرانى فى الصغير والخطابى فى غريبه .

قال القاضى رحمه الله تعالى : وأين هذه الألفاظ من كتابه صلى الله عليه وسلم فى الصَّدَقة لأَنس المشهور ، فإنه بمَحلٍّ من جَزالة ألفاظ مألوفة وسلاَسة تراكيب مأنوسة ،

---

(١) ت م : لنفر من شهود المسلمين .

(٢) ط : خامل أو حامل .

(٣) ط : بقيمة الأمين .

(٤) الذى فى طبقات ابن سعد ١/٣٣٤ (ط بيروت) عن ربيعة ابن إبراهيم الدمشقى قال : وفد حارثة بن قطن بن زائر بن حصن بن كعب بن عليم الكعبى وحمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل بن كعب بن عليم إلى رسول الله (ص) إلخ ثم ذكر نصا للكتاب الذى كتبه رسول الله (ص) لحارثة بن قطن يختالف ما ذكره المؤلف هنا .

وذلك بمحل من غلاقة ألفاظ غريبة وقلالة أساليب فى النطق عَسِرة ، لأنه لمّا كان كلامُ هؤلاء على هذا الحد أى غريبًا غير مألُوف وكانت بلاغتهم على هذا النمط وحشيا غير مأنوس ، وكان أكثر استعمالهم هذه الألفاظ التى ليست بمألوفة ولا مأنوسة ، استعملها معهم ليبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم وليحدِّث الناس بما يعلمون ليفهموه .

وقد كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يكلِّم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كَلِمها ، وكان أحدهم لا يجاوز لغته وإن سمع لغةَ غيرِه فكالعجمية يَسْمعها العربىُّ وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم إلا بقوة إلهية ومَوْهِبة ربّانية ، لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الكافّة طُرًّا وإلى الخليقة سُودًا وحُمْرا ، ولا يوجد متكلِّم بغير لغته إلا قاصرًا فى تلك الترجمة نازلا عن صاحب الأصالة فى تلك ، إلا هو صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان إذا تكلم فى كل لغة من لغة العرب أفصح وأنْصَع بلغاتها مِنها بلغة نفسها وجدير به ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد أُوتِى جميع القوى البشرية المحمودة ومزيّةً على الناس بأشياء كثيرة ، كقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عطية السَّعْدى رضى الله تعالى عنه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال : « ما أغْناك [1] الله فلا تسأَل الناسَ فإن اليد العليا خير هى [2] المنْطِية واليد السفلى هى المُنْطَاة وإن مال الله مسئول [3] ومُنْطَى » . قال : فكلَّمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا .

رواه الحاكم وصححه البيهقى .

وقوله صلى الله عليه وسلم لكعب ابن عاصم الأشعرى رضى الله تعالى عنه : « ليس من اَمْ برٍّ اَمْ صيامٌ فى ام سَفَر »

رواه عبد الرزاق والحميدى ، وابن القاسم البغوى . أى ليس من البر الصيام فى السفر ، وهذه لغة صحيحة وأكثر ما يتكلم بها الأشعريون وهى فى الغالب يمنية والأشعريون من اليمن ، وإنما تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبةً فى البيان وحسن التعلم والإفْهام لهم بلغتهم .

---

(١) غير ص : ما أعتاك الله .

(٢) ط : فإن اليد العليا هى المنطية .

(٣) ط : ميسول .

وقوله فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « سَلْ عنك » رواه أبو نعيم عن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه .

أى اسأل[1] عما شئت . وهى لغة بنى عامر .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ما اشتهر على ألسنة كثير من الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أنا أفْصَح من نطَق بالضاد » فقال الحافظ عماد الدين ابن كثير – وتابعه تلميذه الزركشى – وابن الجوزى والشيخُ والسخاوىُّ : إنه لا أصل له ومعناه صحيح ، والمعنى أنه[2] صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بها ولا توجد فى لغةِ غيرهم .

الثانى : فى شرح غريب ما سبق .

قول القاضى رحمه الله تعالى « سَلَاسَة طَبْع » : قال العلامة شمس الدين الدّلجى فى شرحه على « الشِّفا » – وهو فرد فى بابه – نُصب سلاسة بنزع الخافض أى مع أو بسهولة جِبلَّة وانقياد طبيعة .

بَرَاعة مَنْزَع : أى ومَنْزَعا بارعًا ، من برَع الرجلُ بفتح رائه وضمها ، أى فاق أقرانه ، والمنْزَع – بفتح أوله وثالثه : المأْخذ .

وإيجاز مَقْطَع : أى ومَقْطَعًا موجَزا ، من أوْجَز : أتى بكلام قَلَّ لفظُه وكثرت معانيه . والمقْطَع – بفتح ميمه وطائه : تمامُ الكلام .

ونصَاعة لفظ : أى ولفظًا ناصعًا – أى خالصًا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس .

وجَزَالة قول : أى قولاً جَزْلا[3] سالمًا من شوائب الرّكَّة وضعف التأْليف قد نُسجت حِبَره على مِنْوال تراكيب العربية .

---

(١) ط : أى سل .

(٢) ط : والمعنى أنا أفصح العرب .

(٣) ط : جازلا .

وصحة معان : أى ومعان صحيحة لا يتطرق إلى ألفاظها احتمال غير لائق .

وقِلَّة تكلُّف : لو قال : وعدم تكلف كان أَلْيَقَ وأحسن .

أُوتى جوامع الكِلِم : كالمؤكِّد لما قبلَهُ أو البدل منه .ومن ثم فصَله عنه ، لأَن من جُبلت طبيعته على ما ذكر من الملَكات فجدير أن يَحُوز الكلم الجوامع ، جَمْع جامعة للمعانى الكثيرة .

وخُصّ ببدائِع الحِكَم : جمع حكمة وهى هنا كمال العلم وإتقان العمل . أى وبالحكمة البديعة ، من أَبْدَع إذا أتى بشىء بديع مُخْتَرع غير مسبوق بمادة وزمان ، ويقابله التكوين لكونه مسبوقا بمادَّة ، والإحداث لكونه مسبوقا بزمان .

يحاورها : يجاوبها .

ويُباريها : يعارضها . يقال هو يباريه أى يعارضه ويفعل مثل فعله ، وهما يتباريان .

ومن تأَمَّل حديثه وسيره صلى الله عليه وسلم : جمع سِيرة وفى رواية : وسَبَره : بباء موحدة أى نظر فى نصاعة أساليبه وصياغة تراكيبه .

تتكافأ : تتساوى . دماؤهم : أى فى العصمة والحرمة فكل مسلم شريفا أو وضيعا أو ضعيفا كبيراً أو صغيراً حُرًّا أو عبدًا فى ذلك سواء . أو فى القصاص والدية لا فضل فيهما لمُسْلِم على مسلم : فيقاد الدَّيِّن[1] بالوضيع ، والكبير بالرضيع ، والعالِم بالجاهل ، والذكر بالأُنثى ، وكذا حكم الدية فيُخَصُّ منه العبد إذ لا يكافئ حُرًّا .

بذمتهم : بعهدهم وأمانهم : أدْناهم : كعبيد وامرأة فإذا أعطى أحدهم أماناً فليس لأحدهم نَقْض أمانِه .

وهم يدٌ على من سِوَاهم : أى هم مع كثرتهم قد جمعتهم أخوة الإسلام وجعلتهم فى وجوب الإتفاق بينهم تعاونًا وتناصرًا على من ناوأهم وعاداهم كَيَدٍ واحدة لا يسعهم أن يَخْذل

---

(١) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : الدنئ بالوضيع . ولا معنى لهـا .

بعضهم بعضا [بل يجب أن ينصر كلٌّ أخاه . قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » كأسنان المشط تماثلا وتساويا][1] أى فهم مستوون فى إجراء الأحكام[2] عليهم .

مَعْدن كل شيء : أصله أى أن أصول بيوتهم الشريفة تُعْقب أمثالها ويَسْرى كَرَم أعراقها إلى فروعها لا يكون فيها خيار لمجرّد ذلك، ومن ثَمَّ قُيِّد بقوله إذا فَقُهُوا - بضم القاف - أى مارسوا الفقه وتعاطوه ، فأرشد أنه لا خيار فيه إلا بالفضل والتقوى فمن اتفق له مع ذلك أصلٌ حميد[3] شريف الأعراق كَمُلت فضيلته وربَا فضلُه [4] عن غيره .

وهو بالخيار : أى بين أن يشير بالإصلاح[5] وأن لا يشير به ، بشهادة رواية أحمد : إن شاء تكلم وإن شاء سكت فإن تكلم فيجتهد رأيه .

ما لم يتكلم : أى ما لم يعزم المستشار على الإشارة له ، فإذا عزم وجب أن يجتهد رأيه فإن أخطأ فلا غرم عليه .

الموطأون : من التوطئة بمعنى لين الجانب : أكنافا : جمع كَنَف أى جانب .

عن قيل وقال : أى عما يتحدث به فى المجالس كقيل كذا وقال كذا . ويجوز بناؤهما على أنهما فعلان ماضيان فى كل منهما ضمير ويجوز إعرابهما إجراء لهما مجرى الأسماء ولا ضمير فيهما .

ووأد البنات - بهمزة ساكنة بعد واو مفتوحة : أى دفنهن حيّات . هَوْنًا مّا : بتشديد ما ، والهَوْن فى الأصل : السَّكينة ، نصب على المصدر لأن المعنى : أَحِبْ حبيبك حبًّا قليلاً . فقليلاً صفة لما اشتق منه أحبب . وما مزيدة لتأكيد معنى القِلَّة أو على الظرف لأنه من صفات الأحيان أى أحبب فى حين قليل ولا تُسْرف فى حبه .

---

(١) سقط من ت م وهى مثبتة فى هامش ص .
(٢) ص ت م : فى إجراء الكلام محرفة .
(٣) ص . ط م : جميل .
(٤) ت . م : وربما فضل عن غيره .
(٥) ط : بالصلاح .

شَعَثى : ماتفرَّق من أمرى . غائبى : باطنى . أُلفتى - بضم الهمزة وكسرها : مصدر بمعنى المفعول أى أليفى أو مألوفى أى ما كنت آلفه .

الكافة : الجماعة . وعن سيبويه منع استعمال الكافة معرفة ، وهى نكرة منصوبة على الحال .

مرقبة - بقاف بعد راء - بمعنى مرتبة - بتاء بعدها هاء ، كما فى بعض النسخ .

حَمى الوطيس : وهو فى الأصل التنور شبه به الحرب لاستعار نارها وشدة وقدها فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية لتحقق معناها وقرنها بالحموّ ترشيحًا للمجاز .

مات حَتْف أنفه : أى بلا مباشرة قتال

قوة عارضة : أى جَلَدٍ وصرامة .

الجزالة : ضدّ الركاكة .

النصاعة : الخلوص . الرونق : الحسن .

كل الصَّيد - بضم الكاف واللام - مبتدأ . الفَرا - بفتح الفاء : حمار الوحش .

لا ينتطح فيها عنزان : قال فى النهاية : أى لا يلتقى فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن التيوس والكباش لا العنوز ، وهى إشارة إلى قضيَّة مخصوصة لايجرى فيها حلف ولا نزاع .

الهدنة - بضم الهاء وسكون الدال المهملة : السّكون . والهدنة الصلح والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحاربَيْن .

على دَخن - بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة : أى على فساد واختلاف تشبيهًا بدخان الحطَب الرطب ، لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر .

المُنْبَتّ قال فى النهاية : يقال للرجل إذا انقطع به فى سفره وعَطبت راحلته : قد انبتّ من البتّ وهو القَطْع ، يريد أنه بقى فى طريقه عاجزًا عن مقصده لم يقضِ وطَره وقد أعْطَب ظهره .

حَبطا - بفتح الحاء المهملة والموحده والطاء المهملة : وهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل حتى ينتفخ فيموت

يُلمّ : بضم المثناة التحتية أى يَقْرب من الهلاك ، وهو مثَل للمُنهمك فى جَمْع الدنيا المانع من إخراجها فى[1] وجهها .

الفَتْك - بفتح الفاء وسكون المثناة الفوقية- قال فى النهاية : هو أن يأْتى الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافل فيَشُدُّ عليه فيقتله . والغِيلة أن يخدعه ثم يقتله فى موضع خفىّ .

شرح غريب الحديث الاول

طهْفة - بطاء مهملة فهاء ساكنة ففاء أخت القاف مفتوحة .

المَيْس - بفتح الميم وسكون المثناة التحتية : شجر صُلْب يعمل منه أكوار الإبل ورِحَالها .

نَهْد - بفتح النون وإسكان الهاء ودال مهملة : قبيلة من اليمن .

نَسْتحلب : بحاء مهملة . الصَّبير : بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة وهو سحاب أبيض متراكب متكاثف أى نستدرّ السحابَ . نَستخلب : بالخاء المعجمة .

الخِبَير - بخاء معجمة فموحدة: النبات والعشب ، شبَّه بخَبير الإبل وهو وبَرها ، واستخلابُه احتشاشه[2] بالمِخْلب وهو المنجل . والخبير يقع على الوبر والزرع والأكّار[3] .

نسْتَعضد البَرير - بفتح الموحدة والراء بينهما مثناة تحتية : ثمر الأراك إذا اسود وبلغَ ، وقيل هو اسم له فى كل حال . أى نجنيه ونقطعه من شجره للأكل وكانوا يأْكلونه فى الجَدْب .

نَسْتخيل : بالخاء المعجمة من أخال إذا ظن .

الرِّهَام - بكسر الراء : الأمطار الضعيفة ، واحدتها رِهْمة ، أى نتخيَّل الماء فى السحاب القليل، وقيل : الرِّهمة أشد دَمْعًا من الدِّيمة .

---

(١) غير ط : إلى وجهها .

(٢) غير ط : استحشاشه .

(٣) كذا فى ت ، وفى ط : الأكال . وفى ص : الإكاف .

قال فى القاموس : والخبير : الأكار - أى الحراث - والعالم بالله تعالى ، والوبر والنبات والعشب .

نسْتجيل : بالجيم أى نراه جائلا تذهب به الريح هاهنا وهاهنا .

الجَهام – بفتح الجيم : السحاب الذى فرغ ماؤه . ومن رواه : نستخيل بالخاء المعجمة فهو نستفعل من خلْت أَخال إذا ظننت ، أَراد لا نتخيَّل فى السحاب خيالا إلا المطر وإن كان جهاما لشدة احتياجنا .

ومن رواه بالحاء المهملة وهو الأشهر : أَراد أَنه لا ننظر من السحاب فى حال إلا إلى جَهام من قلة المطر .

أَرض غائلة : بالغين المعجمة .

النَّطاَ – بكسر النون أَى مُهْلكة للبعيد ، يقال بلدٌ نطىٌّ أَى بعيد . ويروى المَنْطَى وهو مَفْعَل منه .

المُدْهُن – بضم الميم وسكون المهملة وضم الهاء : نُقرة فى الجبل .

الجِعْثِن – بجيم مكسورة فعين مهملة ساكنة فمثلثة مكسورة : أَصل النبات ويقال : أَصل الصُّلَّيان خاصّة ، وهو نبت معروف .

العُسْلوج – بعين مضمومة فسين ساكنة مهملتين آخره جيم : الغصن إذا يبس فذهبت طراوته ، وقيل هو القضيب الحديث الطلوع ، يريد أَن الأغصان يَبست وهلكت من الجدب ، والجمع عَسَاليج .

الأُمْلوج – بضم الهمزة فميم ساكنة فلام مضمومة : ورق شجر يشبه الطَّرفاء والسَّرْو وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان . وقيل هو نَوَى المقْل . وفى رواية : ونط[1] الأُمْلوج .

هَلك الهَدىّ – بفتح الهاء وكسر الدال وبالتشديد كالهَدْى مخففا ، وهو ما يُهْدَى إلى البيت الحرام ليُنْحر ، فأُطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هَدْيا تسمية للشىء باسم بعضه . يقال : كم هَدْى بنى فلان ؟ أَى كم إبلهم .

---

(١) ط : وسط .

ماك الوَدِىّ : بفتح الواو وكسر المهملة مشدَّدا : فَسيل النخل[1] . يريد هلكت الإبل ويبست النخيل .

الوثن : الصنم

العَنن : بفتح العين المهملة والنون الأُولى : الاعتراض ، يقال عَنَّ إلى الشيء : اعترض كأنه قال : برئنا إليك من الشِّرك والظُّلْم وقيل أراد به الخلاف والباطل .

طَمَا البحرُ : ارتفع بأمواجه .

تِعَار : بكسر المثناة الفوقية وبالعين المهملة : اسم جبل يُصْرف ولا يصرف .

نَعمَ هَمل : أى مهملة لا رعاء لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهى كالضالة .

إبل أغفال : لا لبن فيها .

مَحْضها ـ بالحاء المهملة والضاد المعجمة : أى خالص لبنها .

مَخْضها بالمعجمتين : ما تمخَّض من اللبن ويؤخذ زبده .

مَذْقها ـ بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف : الممزوج بالماء .

الدَّثْر بدال مهملة فثاء مثلثة ساكنة فراء : المال الكثير . وقيل الخصب والنبات الكثير

افْجُرلهم الثَّمَد : بمثلثة مفتوحة : الماء القليل ، أى صيره كثيرا .

ودائع الشِّرك : قيل المراد بها العهود والمواثيق ، يقال توادَع الفريقان إذا أعطى كلٌّ واحد منهم عهدَه للآخر لا يَغْزوه . وقيل : ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا فى الإسلام ، أراد إحلالها لهم لأنها مال كافر قد قَدر عليه من غير عهد ولا شرك .

وضائع الملك : جمع وضيعة وهى الوظيفة التى تكون على الملك ، وهى ما يلزم الناسَ فى أموالهم من الزكاة والصدقة ، أى لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لا تتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم شيئا .

لا تُلْططْ : بمثناة فوقية مضمومة فلام ساكنة فطائين مهملتين الأُولى مكسورة والثانية مجزومة على النهى أى لا تمنعها .

---

(١) غير ط : قليل النخل .

لا تُلْحِد : بمثناة فوقية مضمومة فلام ساكنة فحاء مهملة مكسورة فدال مهملة ساكنة : أى لا تحِدْ[1] عن الحق ما دمت حيًّا .

لاتثاقل عن الصلاة : أى لاتتخلف . قال الحافظ أبو موسى المدينى رحمه الله تعالى : هكذا رواه القُتَبِىّ على النهى للواحد أى لاتُلْطِطْ ولا تلحد[2] . والذى رواه غيره : « ما لم يكن عَهْد ولا مَوْعد ولا تثاقلٌ عن الصلاة ولا تلطُّطٌ فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة » وهو الوَجْه ، لأنه خطاب للجماعة واقع على ما قَبْله .

الوظيفة : الحق الواجب .

الفريضة : الهرِمة المسنّة ، أى لا تأخذ فى الصدقات هذا الصنف كما لا تأخذ خيار الأموال .

الفارض : بفاء فراء فضاد معجمة : المريضة .

الفَريش : بفاء مفتوحة فراء فمثناة تَحتية فشين معجمة ، وهى من الإبل كالنُّفساء من بنات آدم ، أى لكم خيار المال وشراره ، ولنا وَسَطه .

ذو العِنان : بكسر العين المهملة : سَيْر اللجام .

الركوب : بفتح الراء : الفَرس الذَّلُول .

الضَّيس : بضاد معجمة فباء موحدة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة : المهْر العسِر الصعب .

امتنَّ عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها ورديئها .

لا يُمْنَع : بضم المثناة التحتية وفتح النون .

سَرْحُكم : بسين مهملة مفتوحة فراء ساكنة فحاء مهملة مضمومة : ما سَرَّحتم من المواشى ، أى لا يدخل عليكم أحدٌ فى مَراعيكم .

ولا يُعْضَد : لا يقطع .

---

(١) ط : لا تلحد .

(٢) ط : وتلحد .

طَلْحكم : جمع طلحةَ وهى شجر عِظَام من شجر العِضاه .

لا يُحْبس دَرّكم : أى لا تُحبَس ذوات الدّر عن المرعى إلى أن تجْتمع الماشية ثُم تُعَد وإنما منعناه[1] أن يأخذها لما فى ذلك من الإضرار .

الإملاق : بالميم أى مالم تُضْمِروا الغيْظ والبكاء بما يلزمكم من الصدقة . قاله فى القاموس . وقال الزمخشرى : المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار[2] فى دين الله . وفى رواية الرِّماق ، والمراد النفاق يقال رامَقْته رِماقا وهو أن تنظر إليه شَزرا نظر العداوة ، يعنى ما لم تَضِقْ قلوبكم عن الحق ، يقال عيشٌ رِماق أى ضيِّق[3] وعيش رَمِق ومرمق[3] أى يمسك الرُّوح ، والرَّمق بقية الروح وآخر النفس .

تأكلوا الرِّبَاق : براء مكسورة وموحدة مخففة أى لا تنقضوا العهد ، واستعار الأكلَ لنقض العهد لأن البهيمة إذا أكلت الرِّبْق ، وهو الحبل الذى تُجعل فيه عُرًى وتُشَدّ ، خلصت من الرِّباط .

الرِّبوة : بتثليث الراء : الزيادة يعنى من تقاعد عن إعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له .

شرح غريب الحديث الثانى

المِشْر : بميم مكسورة فشين معجمة ساكنة فراء مهملة . الهَمْدانى : بهاء مفتوحة فميم ساكنة فدال مهملة اسم قبيلة .

النَّصِيّة بنون مفتوحة ومشددة ، فصادمهملة مكسورة فمثناة تحتية مفتوحة من يُنْتَصى من القوم أى يختار من نواصيهم وهم الرءوس والأشراف ، ويقال للرؤساء نواصٍ كما يقال للأتباع أذناب . وقد انتصيت من القوم رجلا أى اخترته .

---

(١) غير ط : وإنما معناه .

(٢) غير ط : الاستبصار .

(٣) كذا فى ط . وفى بقية النسخ ورميق . وما أثبته يتفق مع قوله : يمسك الروح .

القُلُص : بقاف ولام مضمومتين جمع قَلُوص بفتح القاف وهى الناقة الشابة .

النَّواجى : جمع ناجية ، السريعة المشى .

حَبَائل الإسلام : عهوده وأسبابه .

المخْلاف : بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وآخره فاء وهو فى لغة اليمن الرُّسْتاق[1] .

خارف ـ بخاء معجمة فألف فراء مكسورة ففاء ـ ويام ـ بمثناة تحتية : قبيلتان من اليمن .

عن سُنّة ما حل : أى لا ينْقض بسعى ساع بالنميمة والإفساد ، كما يقال : لا أفسد ما بينى وبينك بمذاهب الشرار وطرقهم فى الفساد . والسنة : الطريقة أيضا .

عَنْقَفير : بعين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فقاف مفتوحة ففاء مكسورة فمثناة تحتية : الداهية أى لا يُنْقض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل .

لَعْلع : بلامين مفتوحتين بينهما عين مهملة وآخره أخرى : جبل .

اليَعْفور بمثناة تحتية مفتوحة : الخشن[2] من ولد البقر الوحشية وقيل هو تيس الظباء والجمع اليعافير .

بصَلّع : بباء موحدة هى حرف جر فصاد مهملة مفتوحة فلام مشددة فعين مهملة : الأرض التى لا نبات فيها .

جِناب : بكسر الجيم وبالنون : اسم موضع .

الهَضْب : بفتح الهاء وسكون الصاد المعجمة جمع هضبة . وهى هنا اسم موضع . حِفَاف الرّمل : بحاء مهملة مكسورة ففائين بينهما ألف أسماء بلادهم .

فِرَاعها : بفاء مكسورة فراء فعين مهملتين : ما علا من الجبال والأرض[3] .

وهَاطها : بكسر الواو وبطاء مهملة : المواضع المطمئنة .

عزازها بعين مهملة فزايين معجمتين مخففتين : ما صلب من الأرض واشتد وخشن وإنما يكون فى أطرافها .

---

(١) الرستاق : السواد والقرى ، كالرزداق والرسداق ، وهو فارسى معرب (القاموس) .

(٢) غير ط : الخشف .

(٣) ط : أو الأرض .

عِلاَّفها بعين مهملة مكسورة فلام مخففة ففاء جمع عَلَّف وهو ما تأكله الماشية .

عَفَاها : بعين مهملة مفتوحة ففاء مخففة وبالمد : المباح ما ليس لأحد فيه مِلْك ولا أثره من عَفا الشيء إذا خَلَص وصفا .

لنا من دِفْئهم : بدال مهملة مكسورة ففاء ساكنة وبالهمز : نتاج الإبل وما ينتفع به منها ، سمّاها دِفئا لأنها يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يستدفأ به ، وفصَله عَمَّا قبله ملتفتا من الخطاب إلى التكلم لِشبه انقطاع بينهما ، إذ ذاك ممَّا خصّهم به من أراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خصَّ به نفسه أو من معه من مواشيهم .

صِرامهم : بصاد مهملة مكسورة : نَخِيلهم ، سميت صِرَاماً لأنها تُصرم أى تُقْطع ، واحدتها صِرْمة بكسر أوله وراء ساكنة : أو من ثمرهم .

قال شيخنا الإمام العلامة شمس الدين الدلجى : وعليهما[1] يجوز فتح الصاد وأيضاً لأن الاسم عليهما مصدر ، تقول صرمت النخل أو الثمر صراما بالكسر والفتح .

الثَّلْب : بثاء مثلثة فلام ساكنة فباء موحدة : ما هرم من ذكور الإبل .

النَّاب : بالنون الموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها .

الفَصِيل : أكثر ما يطلق على أولاد الإبل وقد يطلق على أولاد البقر إذ هو ما فصل عن اللبن .

الفارِض بالفاء : المسنُّ من الإبل وقيل من البقر بشهادة « لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ[2] »

الداجِن : بدال مهملة وجيم : الدابة التى تألف البيوت ولا تُرْسَل إلى المراعى .

الحَوَرِىّ : بحاء مهملة فواو مفتوحتين فراء مكسورة منسوب إلى الحَور وهو جلود الضَّأن وقيل ما دُبِغ من الجلود بغير القَرظ .

الصَّالِغ : بصاد مهملة فلام فغين معجمة هو من البقر والغنم ما أكْمل ستَّ سنين ويقال بالسين[3] .

القارِح بالقاف والراء المكسورة : ما دخل من الخيل فى خامس سنة . وفى القاموس : هو من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل .

---

(١) عليهما : أى على الوجهين السابقين : أن المراد نخيلهم أو ثمراتهم .

(٢) سورة البقرة ٦٨ .

(٣) فى القاموس : صلغت الشاة : لغة فى سلغت ، وهى صالغ ، أو الصالغ منها كالقارح من الخيل ، و دخلت فى الخامسة أو السادسة .

شرح غريب الحديث الثالث

العَمائر : جمع عَمارة بالفتح والكسر وهو فوق البطن من القبائل ، أوَّلها الشَّعْب ، ثم القبيلة ، ثم العِمَارة ، ثم البطن، ثم الفخذ . وقيل: العمارة الحى العظيم يمكنه الانفراد بنفسه . فمن فتح[1] فلالتفاف بعضهم على بعض كالعمارة وهى العمامة . ومَن كسَر فلأنهم عِمارة الأرض .

الأحلاف : جمع حِلْف وهو فى الأصل المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد .

ظأره الإسلامُ : بالظاء المعجمة والهمز آخره راء أى عطفه عليه .

الهَمُولة : بفتح الهاء : هى التى ترعى بأنفسها .

البساط : قال الهَروى يروى بالفتح والكسر والضم[2] وقال الجوهرى والقُتَبى هو بالضم جمع بِسْط بكسر الباء كظئر وهى المُرْضِع وجمعها ظئار . وقال الأزهرى : هو بالكسر جمع بِسْط وهى التى تُركت[3] وولدها لا يُمنع منها ولا تعطف على غيره .

وبسط بمعنى مبسوطة أى بسطت على أولادها التى معها أولادها .

الظِّئار بكسر الظاء المعجمة وبالهمز آخره راء : أن تعطف الناقة على غير ولدها .

الحَمُولة المائرة : بفتح الحاء الإبل التى تُحمل عليها الميرة وهى الطعام ونحوه مما يُجْلب للبيع .

لهم لاغية : أى لا يؤخذ منها زكاة لأنها عوامل .

الشَّوِىّ بشين معجمة مفتوحة فواو مكسورة فمثناة تحتية مكسورة مشددة اسم جمع للشاة .

الوَرِىّ : بفتح الواو وكسر الراء وتشديد الباء : السمينة .

---

(١) يريد : فتح العين فى عمـــارة .

(٢) انظر تفسير الهروى لهذه الكلمة فى الغريبين ١/١٦٦ ولم يرد فيه هذا الضبط بالحروف .

(٣) الأصل : تركب وما أثبته عن الغريبين للهروى ١/١٦٦ .

شرح غريب الحديث الرابع

وائل بن حُجْر : بضم المهملة وسكون الجيم .

الأَقيال : بقاف فمثناة تحتية ولام جمع قَيْل وهم رؤساء المِلك الأعظم ووزراؤه .

العَباهلة : بعين مهملة مفتوحة فباء موحدة جمع عَبْهل هم الملوك الذين أُجْروا على مُلكهم فلم يزالوا عنه وكذا كلُّ شيء لا يُمْنع مما يريد ولا يؤخذ على يده فيما قصده : عَبْهل .

الأَرْواع : بفتح الهمزة وسكون الراء وآخره عَيْن مهملة جمع رائع وهم الحِسَان الوجوه أو الذين يَرُوّعون الناسَ أى يفزعونهم بجمالهم ومنظرهم هَيْبَةً لهم .

المَشَابيب : بفتح الميم والشين المعجمة وموحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة : الرءوس السادة الحِسَان المناظر الزُّهْر الألوان كأنما وجوهم تتلألأ نورًا .

التَّبيعة : بمثناة فوقية مكسورة فتحتية ساكنة فعين مهملة : الأربعون من الغنم أو أدنى ما تجب فيه الزكاة كالأربعين منها والخمس من الإبل .

مُقَوَّرة : بميم مضمومة فقاف مفتوحة فواو مشددة .

الألْياط : بهمزة مفتوحة فلام ساكنة آخره طاء مهملة جمع لَيْط وهو فى الأصل القِشْر اللاصق بعودٍ أى اللازق به شبّه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال ، أى لا مُسْترخية الجلد لهزالها .

ضِنَاك : بضاد معجمة مكسورة فنون مخففة : المكتنِز اللحم يستوى فيه المذكر والمؤنث .

أَنْطُوا : بقطع الهمزة أى أعطوا .

الثَّبَجة : بمثلثة فباء موحدة فجيم مفتوحات . وقد تكسر الموحدة . ثبجَ كل شيء : وسطه ، أى أعطوا فى الزكاة الشاة الوسطى التى ليست رديئة ولاخيارا . وألحق بها التاء لانتقالها من الاسمية إلى الوصفية .

السُّيوب : بسين مهملة مضمومة وآخره موحدة جمع سَيْب وهو الرِّكَاز . قال أبوعبيد : ولا أراه إلا أخذ من معنى العطيّة ، إذ السَّيْب لغةً العطاء ، والرِّكاز عطَاء من الله تعالى .

وقيل هى عروق الذهب والفضة تسيب فى الأرض أى تكون فيها وتظهر . وقال الزمخشرى هى المعدن والمال المدفون فى الجاهلية لأنه من فضل الله وعطائه لمن أصابه .

ومن زنى مم بِكْر : قال شيخنا الشمس الدلجى : بِكْر نكرة عامة لوقوعها فى سياق الشرط فراؤها منونة وأبدلت فيه نون « من » ميما لكثرة استعمالهم ذلك لفظا نحو « مما أنزلنا » « مما أخرجنا » « مما كانا فيه » سيما إذا كان بعدها باء كما هنا ولو كان مَعْرفة لقال بِلغتهم : ومن زنى من مبكر كما قال : « ليس من امبر امصيام فى امسفر » .

و« من » الجارّة تبعيضية أو بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطى وترجمة عنه ، أى ومن زنى من الابكار .

فاصْقَعُوه : بهمزة وصل فصاد مهملة ساكنة فقاف مفتوحة فعين مهملة وأصله الضرب على الرأس وقيل ببطن الكف . أى اضربوه .

استَوْفِضُوه : بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ، من استوفضت الإبلُ إذا تفرّقت فى رعيها أى اطردوه وانفوه أو غرِّبوه .

فضرِّجوه : بضاد معجمة فراء مشددة مكسورة فجيم أى أدْموه بالضرب بالأضاميم بفتح الضاد المعجمة جمع إضمامة لأن بعضها يُضم إلى بعض كالجماعات من الناس ، أى ارجموه بالحجارة حتى تُدْموه بالضرب بجماميز الحجارة .

لا تَوْصِم فى الدِّين : بمثناة فوقية فصاد مهملة مكسورة أى لا كسل ولا توانى ولا محاباة فى إقامة الحدود .

ولا غُمَّة : بغين معجمة مضمومة فميم مشددة . وفى لفظ ولا عَمَّة بعين مهملة فميم مفتوحتين فهاء . وفى لفظ ولاغِمْدَ بمعجمة مكسورة فميم ساكنة فدال مهملة أى لاستر ولا خفاء ولا إلباس .

يترفَّل على الأقيال : بفاء مفتوحة مشددة تشبيها لإمْرته بالثوب فهى فى تَلبُّسه بها كهو ، استعير لها ترفيله وهو إطالته وإسباله فكانه يرفل فيها أى يجر ذيلها عليهم زَهْوًا .

الباب الثالث والعشرون

فى معرفة الذين كانت صفات أجسادهم تَقْرب من صفات جسده صلى الله عليه وسلم

وهم : آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم . ذكره صاحب « استجلاب ارتقاء[1] الغُرَف بحب أقرباء الرسول وذَوِى الشَّرفُ » .

وإبراهيم نبىّ الله ورسوله وخليله صلى الله عليه وسلم : جاء فى غير ما حديث صحيح أنه كان يُشْبهه صلى الله عليه وسلم[2] .

ومن أُمّته : أبو محمد الحسن ، وأبو عبد الله الحسين ابنا علىّ رضى الله تعالى عنهم . روى البخارى عن ابن سيرين[3] عن أنس قال : كان الحسن بن على أَشْبَههم برسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

وروى البخارى أيضا عن الزُّهْرى عن أنس قال : لم يكن أحد أَشْبه بالنبى صلى الله عليه وسلم من الحسين[5] بن على . وفى لفظ لغيره : كان أشبههم وجها بالنبى صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ : قوله أشبههم أى أشبه أهل البيت . وقول أنس فى رواية ابن سيرين يعارض قوله فى رواية الزهرى . ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما قال فى رواية الزهرى فى حياة الحسن لأنه كان يومئذ أشدّ شبها بالنبى صلى الله عليه وسلم من أخيه الحسين . وأما ما وقع فى رواية ابن سيرين فكان بَعْد ذلك كما هو ظاهر من سياقه والمراد : مَنْ

---

(١) ص : إرتفاع .

(٢) انظر كتاب الأنبيـــاء فى صحيح البخارى باب ٢٤ ، ٤٨ . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٧٢ .

(٣) ط : عن ابن مسعود عن أنس .

(٤) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحـــاب النبى صلى الله عليه وسلم باب ٢٢ .

(٥) ط : من الحسن .

فُضِّل عليه الحسين فى الشَّبَه كان من عدا الحسن . ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبها به فى بعض أعضائه فقد روى الترمذى وابن حِبَّان من طريق هانئ بن هانئ عن علىّ قال : الحسن أَشْبَه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس إلى الصدر ، والحسين أشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك[1] .

وفى رواية عن أنس : كان الحسن أشبههم وجهًا . وهو يؤيّد حديث على انتهى .

● وأُمُّ الحسن ، السيدة فاطمة الزهراء أمهما رضى الله تعالى عنهم .

● وأخوها إبراهيم ابن سيد الخلائق صلى الله عليه وسلم .

روى الخرائطى فى « اعتلال القلوب » عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على مارية وهى حامل منه بإبراهيم فذكر حديثا فيه أن جبريل صلى الله عليه وسلم بشَّره أنه أَشْبَه الخَلْق به .

● وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال له : أَشْبهت خَلقى وخُلقى[2] .

● وابناه عَوْن وعبد الله .

روى النسائى عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه عَوْن : إنه أَشْبه خَلْقى وخُلقى[3]

● وقُثَم ابن سيدنا العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصَفَه ابن السكن بذلك .

● وأبو سفيان بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب رضى الله عنه .

● وابن ابنه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب الملقب فيما ذكر فى « المحبَّر » و « الاستيعاب » بذلك أمير البصرة .

وعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال الزبير بن بكّار : كان يُشْبه النبى[3] صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سنن الترمذى كتاب المناقب باب ٣٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب ١٠ .

(٣) ط : كان يشبه بالنبى .

● ومحمد ومُسْلم . ذكرهما ابن حبان فى الثقات بذلك ، ابنا عقيل بن أبى طالب .

● والسائِب بن يزيد ، الجد الأعلى للإمام الشافعى رضى الله تعالى عنهما ، وصفَه الزبير ابن بكّار بذلك .

روى الحاكم فى مناقب الشافعى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فى فسطاط إذ جاء السائب بن عبيد الله ومعه ابنه فقال : « من سعادة المرء أن يُشْبه أباه » وهذا الابن هو شافع بن السائب ـ ويمكن أن يعدّ هذا الولد فى الأشْباه أيضا لهذا .

● وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز العَبْشمى .

● وكابس بن ربيعة بن عدى .

● وعلى بن نِجَاد بنون مكسورة فجيم خفيفة ـ ابن رفاعة الرفاعى اليَشْكرى ـ بمثناة تحتية مفتوحة ومعجمة ساكنة .

● والقاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل .

وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب ذكره المزّى فى ترجمة والده بذلك .

● والقاسم بن محمد . قال عبيد الله بن إسحاق فيما نقله العسكرى كان أشْبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وسلم .

● وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم .

● ويحيى بن القاسم بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم .

● وعبيد الله بن أبى طلحة الخَوْلانى .

● ومسلم بن مُعَتّب بن أبى لهب .

● قيل وعثمان بن عفان رضى الله عنه لكن قال الحافظ[1]: إن الأثر المحكىّ فى ذلك موضوع وإن الثابت فى صفته رضى الله تعالى عنه خلاف ذلك .

● وثابت البُنَانى وقَتادة بن دُعَامة . ذكرهما صاحب استجلاب ارتقاء[2] الغُرق» .

● ومحمد بن عبد الله المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان .

ذكر غالبَ ذلك الحافظُ فى الفتح فى مناقب السَّيدَيْن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما .

وعدُّه المهدىَّ فى الأشباه غلطٌ . فقد روى أبو داود عن علىّ رضى الله عنه فى صفة المهدىّ « يسمَّى باسم نبيكم يشبهه فى الخُلُق ولا يُشْبهه فى الخَلْق[3] » .

وعبد الله بن عَوَانة شريف مَغْربىّ قدِم الديار المصرية زمن السلطان الأشْرف قايتباى . أخبرنى غير واحد من الأشياخ[4] الذين كانت لهم معرفة بصفات النبى صلى الله عليه وسلم أن هذا المغربى كانت صفته تَقْرُب من صفة النبى صلى الله عليه وسلم وسألت شيخنا الإمام العلامة شيخ الإقراء بدمشق وإمام جامعها أبا العباس أحمد شهاب الدين الرَّمْلى ثم الدمشقى الشافعى لمَّا قدم الديار المصرية فى آخر عمره أن ينظم أسماء المذكورين قَبْل أن أظفر بجماعة ليسوا فى نظمه فأجاب إلى ذلك وسُرَّ بوقوفه على أسمائهم فقال :

بالمصطفى شُبِّه بعضُ النـاسِ ... فاحفظهم ولا تكنْ بالنـاسِى
فاطمةُ الزهراء وابناها الحسَنْ ... ثم حُسَيْن وكلاهما حَسـنْ
وابن رسـول الله إبراهيمُ ... ونَوْفل بن الحـارث العظيمُ
وابن ابنه انشُرْ بالجميل ذكْره ... أبو محمد أمير البَصْـره
وجعفر وابنـاه عبدُ الله ... وعَزْنًا اذكر لا تكن باللاهِى
وابنـا عَقِيل وهمـا محمد ... ومُسْـلم والسـائب الممجَّدُ
ابن يَزيد وهو جَدّ الشافعى ... إمامنا الأعظم نَجْل شـافع

---

(١) ط : الحفاظ .
(٢) ط ، أربعاء .
(٣) سنن أبى داود كتاب المهدى باب ١ .
(٤) ط : من المشايخ

والحَبْر عبد الله ذا ابن عامر ابن كُرَيْز العَبْشمى الفاخرِ
وكابس والده ربيعه ابن عدى نِسْبة رفيعه
كذا علىّ بن على بن نجاد ابن رفاعة الرفاعىّ الجواد
اليَشْكرى وعُدّ بعدّ اليشكرى يحيى هو ابن القاسم بن جعفرِ
ابن محمد مولانا على ابن حسين بن على الولى
وولد العباس وهو قُثَم وابن معتَّب المسمَّى مُسْلم
والقاسم الثَّبْت ابن عبد الله بن محمد عظيم الجاه
فجدُّه عقيل الكريمُ كذا ابن عبد الله إبراهيمُ
وجده فالحسن بن الحسن ابن على يالله من مُحْسنِ
والسيِّد المهدىّ الذى سيظهرُ قُبَيْل عيسى وبه يُبَشِّرُ
وابن أبى طلحة عبد الله وذاك خَوْلانى بلا اشتباهِ
وابن عوانَةَ الشريف المغربى أحمد لُقِّب الشَّبيهَ بالنبى
قد جاء فى تاسع قَرْنٍ قد مضى ووجهه على البُدور قد أَضَا
وقد رأيته لطيف الذات مُمَدَّحًا بأحسن الصفاتِ
وذكروا عثمان فى التشبيه بالمصطفى وليس بالوجيهِ
وأَثَرٌ فيه أتى موضوعُ مُخْتلَق فى شبهه مصنوعُ
وهوجميل الذِّكر[1] عالى الدرجَهْ وبابنتيه المصطفى قد زوَّجَهْ
صلى عليه ربُّنا وسلَّما والآل والصَّحْب الكرامِ العُظَما

---

(١) غير ط : جميل الشكل .

وقد تمَّ ما أفاد[1] الناظمُ أقل تلامذة المؤلف ـ هو شيخنا الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن محب الدين أحمد بن أحمد القَيْسى المالكى فسَح الله تعالى فى مدته آمين منبِّها على ما فى النَّظْم من مخالفة الأصل فى تسمية أبى سفيان بن نوفل بنوفل فقال :

وعُـدَّ فى أشـباهه الخليـلُ ... وآدمُ المعظَّـم الجليـلُ
صـلى عليهمـا الإلـهُ دائما ... مسلِّما مالاح نجم فى السَّمَا
كذاك عبد الله بن نوفـل ... كذا أبو سفيان أخوه المعتلِي
وعَدَّه النـاظم نوفلاً بـلا ... شكٌّ مخالفٌ لمـا قد نُقـلاَ
كذلك المهدىّ أيضاً مُنْتقَد ... لما مضى فى الأصل وهو المعتمد
وعُدَّ فى الأشـباه أيضاً ثابتٌ ... هو البنـانى وكـذا قتـادة
ابن دعامة كذاك القـاسم ... كذاك عبد الله أبـوه العـالمُ
وشافع ابن ذى الذكر الجميل ... والفضل والتبجيل مولانا عقيل
وشافع جد الإمام الشافعى ... لما مضى عن صاحب الشرائع
صلى عليه الربُّ ذو الجلاَلْ ... كذا الصِّحابُ جملةً والآلْ

---

(١) فى ط : وقد تمم كاتبه أقل تلامذة المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ما فات الناظم ووقف عليه المؤلف بعد النظم فقـال :

وآدم ومثلـه الخليـل ... كلاهمـا ذكـر له جميـل
صلى إلهنا كـذاك سلمـا ... عليهمـا والأنبياء دائمـا
بالمصطفى قـد شبهـا وثابت ... أعنى البنـانى وكـذا قتـادة
ابن دعامـة بـذاك ذكـره ... بعض من الحفـاظ فيما سطـره
كذا أبـوسفيـان بن نـوفـل ... أنعم به يا صـاح من خـير ولى
وابن أخيـه الحبر عبـد الله ... عداً معـا من جملـة الأشباه
كذاك عبـد الله جـده عقيـل ... والقاسم الحبر كـذاك يا نبيـل
ابن محمـد به ختم النظـام ... والحمـد لله ربنا على التمـام

وقول الناظم : ونوفل بن الحارث : أى ابن نوفل بن الحارث .

جماع أبواب بعض الأمور الكائنة بعد مولده وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى وفاة أمه آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له

توفيت أمه وهو ابن أربع سنين . وقدَّمه فى الإشارة . وقيل ست . وقيل سبع . وقيل تسع . وقيل خَمْس . وقيل اثنتى عشرة سنة وشهرٍ وعشرة أيام

بالأبواء . وقيل بِشِعْب أبى دبّ بالخَجُون . وغلِط قائله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب فى كَلاءة الله وحفظه يُنْبته الله نباتًا حسنًا لِمَا يريد به من كرامته ، فلما بلَغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستَّ سنين توفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة[1]

قال البلاَذُرىّ : وزعم بعض البصريين أنها ماتت بمكة ودفنت فى شعب أبى دُبّ الخُزَاعى وذلك غير ثَبْت[2] .

وقال ابن سعد : هو[3] غلط وليس قبرها بمكة ، قبرها بالأبواء وكانت أُمُّه قدِمت به على أخواله من بنى عدىّ بن النجار تُزيره إياهم فماتت وهى راجعة به إلى مكة .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلْمى بنت عمرو النجَّارية فهذه الخثولة التى ذكر ابنُ إسحاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم[4] .

وروى ابن سعد عن ابن عباس وغيره قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب فلما بلغ ستَّ سنين خرجت به إلى أخواله بنى عدىّ بن النجار تزورهم به

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٨/١ .
(٢) أنساب الأشراف للبلاذرى ٩٥/١ .
(٣) ط ، ص : هذا غلط .
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٨/١ .

ومعه أم أيمن رضى الله تعالى عنها تحضنه ، وهم على بعيرين، فنزلت به فى دار النابغة فأقامت به عندهم شهرًا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت فى مقامه ذلك ولما نظر أطمَ بنى عدىّ بن النجار عرفه فقال : كنت ألاعب أنيسةَ جارية من الأنصار على هذا الأُطُم ، وكنت مع الغلمان من أخوالى نطيِّر طائراً كان يقع عليه . ونظر إلى الدار فقال : ها هنا نزلت بى أمى وفى هذهِ الدار قبر أبى عبد الله وأَحْسَنْتُ العَوْمَ فى بئر بنى عدىّ ابن النجار .

وكان قوم من اليهود يختلفون إليه ينظرون إليه . قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هذا نبىّ هذه الأمة وهذه دار هجرته . فوعيتُ ذلك منه .

ثم رجعت به أمه إلى مكة ، فلما كانت بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب ، فقبرها هناك فرجعت به أم أيمن إلى مكة وكانت تحضنه [1] .

وروى أبو نعيم عن محمد بن عمر الأَسْلَمىّ عن شيوخه مثله وزاد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنظر إلىّ رجل من اليهود يختلف ينظر إلىّ فقال : يا غلام ما اسمك ؟ قلت : أحمد ، ونظر إلى ظهرى فأسمعه يقول : هذا نبىُّ هذه الأُمة. ، ثم راح إلى أخوالى فأخبرهم فأخبروا أمى فخافت علىّ فخرجنا من المدينة .

وكانت أم أيمن تحدِّث تقول : أتانى رجلان من يهود يومًا نصف النهار بالمدينة فقالا أخرجى لنا أحمد . فأخرجته فنظرا إليه وقبَّلاه مليًّا ثم قال أحدهما لصاحبه : هذا نبى هذه الأُمه وهذه دار هجرته وسيكون بهذه البلدة من القتل والسَّبْى أمرٌ عظيم . قالت أم أيمن : ووعيت ذلك كله من كلامهما [2] .

وروى أبو نعيم عن أم سماعة بنت أبى رُهْم عن أمها قالت : شهدت آمنة بنت وهب فى عِلتها التى ماتت فيها ومحمد غلام يَفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بـارك فيك اللهُ من غـــلامِ ... يا ابن الذى من حَوْمة الحِمَامِ [3]
نجَـا بعَوْن المِلِك المِنْعـام ... فوُدِى غَداة الضَّرْب بالسِّهـامِ

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١١٦ (ط بيروت) .
(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ١١٩ (ط حيدر آباد) .
(٣) غير ط : من حرمة الحرام .

بمائة من إبـل سَـــــــوامِ إنْ صحَّ ما أبصرتُ فى مَنامِي
فأنت مبعوث إلى الأنـــام من عند ذى الجلال والإكرامِ
تُبْعث فى الحلِّ وفى الحرامِ تبعث بالتحقيق والإسـلاَم
دِين أبيك البَرِّ إبراهـــام تُبْعث بالتخفيف[1] والإسلام
أن لا تواليها[2] مع الأقوام فالله أنهاك عن الأصـــنَامِ

ثم قالت : كلُّ حىٍّ ميت وكل جديد بَالٍ وكل كبير يَفْنى وأنا ميتة وذِكْرى باق وقد تركتُ خيرا وولدت طُهرا . ثم ماتت وكنا نسمع نَوْح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البَرّة الأمينـــة ذات الجمال العَفَّة الـرزينَهْ
زوجـة عبد الله والقـــرينه أم نبىّ الله ذى السَّـــكينَهْ
وصـاحب المِنْبر بالمـدينة صارت لدى حُفْرتهـا رهينَهْ
لو فُوديت لفوديتْ ثمينـــه وللمنايَا شَـفْرة سَـــنِينهْ
لا تُبْقى ظَعَّانا ولا ظَعِينـــة إلا أتت وقطَّعت وَتينـــهْ
أما هلكتِ أيهـــا الحزينة عن الذى ذوالعرش يُعْلى دِينَهْ
فكلنـــا والهـــة حزينـــه نبكيـــك للعُطْلـة أو للزينه

وللضعيفات وللمسكينة [3]

تنبيـه

روى أبو حفص ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ من طريق أحمد بن يحيى الحَضَرمى ، والمحبُّ الطبَرى فى سيرته من طريق القاضى أبى بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر ، والدارقطنى وابن عساكر كلاهما فى غرائب مالك ، والخطيب فى السابق واللاحق من طريق على بن أيوب الكَعْبى ، قالوا : حدثنا أبو غزيَّة محمد بن يحيى الزهرى ، حدثنا

---

(١) غير ص : بالتحقيق .
(٢) ط : أن لا تواقعها .
(٣) هامش دلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٠ – ١٢١ باختصار فى الأبيات . وهى كذلك فى شرح المواهب ١٦٤/١ والخصائص الكبرى للسيوطى ١٩٦/١ (ط الهراس) .

عبد الوهاب بن موسى الزهرى . قال الحضرمى وابن الأخضر عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد . وقال الكَعْبي : عن مالك بن أنس . قالا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : حجَّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمرَّ بي على عُقبة الحَجُون وهو باكٍ حزين مغتمّ فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه طَفِق يقول : ياحُمَيْراء استمسِكي . فاستندتُ إلى جَنْب البعير فمكث عنّى طويلا ثم عاد إلىّ وهو فرح مبتسم فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتمّ فبكيتُ لبكائك ثم إنك عُدْت إلىّ وأنت فَرِح مبتسم فممّ ذاك ؟ قال : ذهبتُ لقبر أمى فسألت اللهَ أن يحييها فأحياها فآمنتْ بي وردَّها الله .

تفرَّد بهذا الحديث أبو غَزِيّة وتفرَّد عنه الكعبي بذكر مالك فى إسناده . قال الدار قطنى : هذا كذبٌ على مالك والحَمْل فيه على أبى غزيّة والمتهم بوضعه هو أو من حدَّث به عنه .

وهذا الحديث قد حكم بوضعه الحافظ أبو الفضل بن ناصر والجُوزَقانى وابن الجَوْزى والذهبي وأقرّه الحافظ فى اللسان ، وحكَم بوضعه جماعة سبق ذكرهم فى ترجمة عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم . وجعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخًا لأحاديث النهى عن الاستغفار[1] .

قلت : وهذا غير جيّد لأن أحاديث النهى عن الاستغفار لهما بعض طُرقها صحيح . رواه مسلم وابن حبان فى صحيحيهما وهذا الحديث على تسليم ضعفه لايكون ناسخًا للأحاديث الصحيحة والله تعالى أعلم .

قال أبو الخطاب ابن دحْية : الحديث فى إحياء أبيه وأمه موضوع يردُّه القرآن والإجماع قال تعالى : « ولا الذين يَمُوتون وهم كُفَّار[2] » وقال : « فَيمُتْ وهو كافرٌ[3] » فمن مات وهو كافر لم ينفعه الإيمان بعد الرَّجْعة بل لو آمنَ عند المعايَنة لم ينفعه ، فكيف بعد الإعادة ؟ وفى التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ليت شِعْرى مافعل أبوَايَ ؟ » فنزلت « ولا تُسْأَل عن أصحابِ الجحيمِ[4] » .

---

(١) انظر اللآلئ المصنوعة للسيوطى ١/٢٦٦ (ط الحسينية) .

(٢) سورة النساء ١٨ .

(٣) سورة البقرة ٢١٧ .

(٤) سورة البقرة ١١٩ .

قلت : لو اقتصر أبو الخطاب على الحُكْم بوَضْع الحديث فقط وسكَت عما ذكَره لكان جيّداً وتأدّبًا مع النبي صلى الله عليه وسلم- فى حق أبويه . وقد تعقبّه القرطبيُّ فقال : وفيما ذكره ابن دحية نظر . وذلك أن فضائِل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع إلىحين مماته فيكون هذا مما فضله تعالى وأكرمه به ، وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلا ولا شرعاً ، فقد ورد فى الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله وكان عيسى صلى الله عليه وسلم يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى . وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة فى كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر فىذلك ويكون مخصوصاً ممن[1] مات كافراً .

وقوله : « فمن مات كافراً » إلى آخر كلامه مردودٌ بما فى الخبر أن الله ردَّ الشمسَ على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مَغِيبها حتى صلى علىٌّ العصرَ . ذكره الطَّحَاوىّ وقال إنه حديث ثابت . فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردَّها عليه ، فكذلك يكون إحياء أبوى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قبل الله تعالى إيمانَ قومِ يونس وتوبتهم مع تلبُّسهم بالعذاب كما هو أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن .

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما وكونهما فى العذاب . انتهى كلام القرطبي . ونقله الحافظ فى شرح الدُّرَر ملخّصا له . وأقرّه .

قال الشيخ رحمه الله : استدلاله على عدم تجدُّد الوقت بقصة رجوع الشمس فى غاية الحسْن ولهذا حكم بكون الصلاة أداءً وإلا لم يكن لرجوعها فائدة إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب . قال : وقد ظفرتُ باستدلال أوضح منه ، وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يُبعثون آخر الزمان ويحجُّون ويكونون من هذه الأُمة تشريفًا لهم بذلك .

وورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعًا : أصحابُ الكهف أعوانُ المهدى . رواه ابن مردويه فى التفسير . فقد اعتدّ بما يفعله أصحاب الكهف بعد حياتهم عن الموت .

---

(١) غير ط : فيمن مات .

ولا بدْع فى أن يكون الله تعالى كتبَ لأبوَى النبى صلى الله عليه وسلم عُمْرًا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيُعتدّ به ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان ، من جملة ما أكرم الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ، فيَحوزون شرفَ الدخولِ فى هذه الأُمة .

وأما حديث : « ليت شعرى ما فعل أبواى » فإنه معْضَل ضعيف لا تقوم به حجة .

وقال الحافظ ابن سيِّد الناس فى « العيون » بعد أن ذكر أنه روى أن الله تعالى أحيا أبويه فآمنا به قال : وهو مخالِف لما أخرجه أحمد عن أبى رزين العقيلى قال : قلت : يارسول الله أين أمى ؟ قال : أمك فى النار . قلت : فأين من مضى من أهلك ؟ قال : أمَا ترضى أن تكون أمك مع أمى . قال : وذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين هذه الروايات ما حاصله : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزَلْ راقيًا فى المقامات السنية صاعدًا إلى الدرجات العليّة إلى أن قبض الله روحه الطاهرة لديه وأزْلفه بما خصَّه به لديه من كرامة القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه كرامة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث ، فلا تعارُض . انتهى .

فصل

فى الكلام على أحاديث النهى عن استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لأبويه

حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليت شعرى ما فعل أبواى » فنزل « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسْأل عن أصحاب الجحيم » فما ذكرهما حتى توفاه الله . رواه ابن جَرِير[1] وغيره عن محمد بن كعب القُرَظىّ مرسلا وسنده ضعيف لا تقوم به حجة. وروى أيضاً عن داود ابن أبى عاصم نحوه وهو مُعْضَل وسنده ضعيف لا تقوم به حجة . ثم إن هذا السبب مَرْدود بوجوه أخرى من جهة الأُصول والبلاغة وأسرار البيان ، وذلك أن الآيات من قبل هذه الآيات ومن بعدها كلها فى اليهود من قوله تعالى « يا بَنِى إسرائيل

(١) تفسير الطبرى ١/١٦٥ (ط الحلبى) .

اذكروا نعْمتى التى أنعمْتُ عليكم وأوْفُوا بعَهْدى أُوفِ بعَهْدكم وإياى فارهبون[1] » إلى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات » واختتمت القصة بمثل ما صُدِّرت به وهو قوله « يا بنى إسرائيل اذكروا نِعْمتى التى أنعمتُ عليكم » الآيتين فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب وقد ورد ذلك مصرَّحًا به فى الأثر . روى عَبْد بن حُمَيْد والفرْيابىّ عن مجاهد قال : من أول البقرة أربع آيات فى نَعْت المؤمنين ، وآيتان فى نعت الكافرين ، وثلاث عشرة آية فى نعت المنافقين ، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة فى بنى إسرائيل .

ومما يؤيد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود ، ويرشِّح ذلك من حيث المناسَبة أن الجحيم اسمٌ لما عَظُم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار ، روى ابن جرير عن مالك[2] فى الآية قال : الجحيم اسمٌ لمَا عَظُم[3] من النار .

وروى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جُرَيْج فى قوله تعالى « لها سبعةُ أبواب » قال : أولها جهنم ثم لظَى ثم الحُطَمة ثم السَّعير ثم سَقَر ثم الجحيم ، ثم الهاوية . قال : والجحيم فيها أبوجهل[4] .

إسناده صحيح .

فاللائق بهذه المنزلة من عَظُم كفره واشتد وِزْره وعانَد عند الدعوة ، وبدَّل وحَرَّف وجَحد بعد عِلْم ، لا مَنْ هو بمظنَّة التخفيف .

وإذا كان قد صحَّ فى أبى طالب أنه أهْوَن أهلِ النار عَذابًا لقرابته منه صلى الله عليه وسلم وبِرّه به ، مع إدراكه الدعوةَ وامتناعه من الإجابة وطول عُمْره ، فما ظنك بأبَوَيْه اللذين هما أشدُّ منه قُرْبا وآكَدُ منه حبًا ، وأبْسَط عُذْرا وأقْصَر منه عُمْرا ؟ فمعاذ الله أن يُظن بهما أنهما فى طبقة الجحيم وأن يشدَّد عليهما العذاب العظيم هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق .

---

(١) سورة البقرة ٤٠ .
(٢) ط : عن أبى مالك .
(٣) غير ط : الجحيم ما عظم من النـــار .
(٤) تفسير الطبرى ١٤/٣٥ الحلبى .

حديث : أنه صلى الله عليه وسلم استغفر لأُمِّه فضربَ جبريل فى صدره وقال لا تَسْتَغفر لمن مات مُشْركا .

رواه البزَّار وفى سنده من لا يُعْرف فلا تقوم به حجة .

وأما ما يُرْوى فى سبب نزول قوله تعالى « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » من أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر لأُمه فنزلت الآية . فرواه الحاكم عن ابن مسعود ، وابن جرير من طريق عطية العَوْفى ، والطبرانى من طريق عِكْرمة ، كلاهما عن ابن عباس وابن مردويه عن بُرَيْدة قال : وفيه أن قبرها بمكة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : (فأما حديث ابن مسعود وإن صححه الحاكم فقد تعقَّبه الذهبي فى مختصره فقال : فى سنده أيوب بن هانئ ضعَّفه ابن مَعِين . فهذه عِلة تَقْدح فى صحته . وله علة ثانية وهى مخالفته لما فى صحيح البخارى وغيره أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم له كما سيأتى فى باب موت أبي طالب . وأما حديث ابن عباس فله عِلتان : مخالفته للحديث الصحيح كما سبق وضعف إسناده . وأما حديث بُرَيْدة فله علتان : إحداهما المخالفة فى سبب نزول الآية .

والثانية : قال ابن سعد بعد تخريجه : هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأَبواء .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وأصح هذه الطرق أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر أُمه فى أَلْفَى[1] مُقَنَّع فما رئى أكثرباكيًا منذلك اليوم . رواه الحاكم وصححه عن [بُرَيْدة][2] . وهذا القَدْر لا عِلَّة له ، وليس فيه مخالفة لشيء من الأَحاديث ولا نَهْى عن الاستغفار ، وقد يكون البكاء لمجرد الرِّقة التى تحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه .

ثم قال الشيخ : وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهى موحِّدة . فذكر أثر أم سماعة ـ بنت أبي رُهْم عن أمها ـ السابق ثم قال : فهذا القول من أم النبي صلى الله عليه وسلم صريح فى أنها موحِّدة إذ ذكرت دينَ إبراهيم وبَعْثَ ابنِها صلى الله عليه وسلم بالإسلام من عند ذى

---

(١) غير ط : فى ألف .

(٢) بياض بالأصول . وما أثبته عن سيرة ابن كثير ١/٢٣٦ . وفيها أورد طرق هذا الحديث ونقدها .

الجلال والإكرام ونَهيْه عن عبادة الأصنام وموالاتها مع الأقوام وهل التوحيد شيء غير هذا ؟ التوحيد الاعتراف بالله وإلهيته وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة[1] الأصنام ونحوها . وهذا القَدْر كاف فى التبرِّى من الكفر وصفة ثبوت التوحيد فى الجاهلية قبل البعثة . وقد قال العلماء فى حديث الذى أمر بنيه عند موته أن يَحْرقوه ويَسْحقوه ويُذْروه فى الرِّيح وقوله : « إنْ قَدَر اللهُ علىّ » إنَّ هذه الكلمة لا تنافى الحكم بإيمانه لأنه لم يشكَّ فى القدرة ولكن جهل فظن أنه إذا فعل ذلك لايُعَاد.ولا يُظَنّ بكلٍّ من كان فى الجاهلية أنه كان كافراً ، فقد كان جماعة تحنَّفُوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك وتمسَّكوا بدِين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد ، كزيد بن عمرو بن نُفَيْل وقُسّ بن ساعدة وورَقة بن نَوْفل ، فكلهم محكوم بإيمانه فى الحديث ومشهود له بالجنة ، فلا بِدْع أن تكون أم النبى صلى الله عليه وسلم منهم ، كيف وأكثر من تحنَّف إنما كان سبب تحنّفه ما سمعه من أهل الكتاب قُرْبَ زمنه صلى الله عليه وسلم من أنه قَرُب بَعْث نبىٍّ من الحَرم صفته كذا ، وأم النبى صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها ، وشاهدت فى حَمْله وولادته من آياته الباهرة ما يَحْمل على التحنف ضرورة ، ورأت[2] النورَ الذى خرج منها أضاءت له قصورُ الشام حتى رأتها كما ترى أُمهاتُ النبيين صلى الله عليهم أجمعين وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شُقَّ صدره وهى مَذْعورة : أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلاَّ والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لَكائن لابنى هذا شأن . فى كلمات أُخرى من هذا النمط ، وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلامَ اليهود فيه وشهادتهم- له بالنبوة ورجعت به فماتت فى الطريق . فهذا كله مما يؤيد أنها تحنَّفت فى حياتها .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : فإن قلت كيف قررت أنها كانت موحِّدة فى حياتها ومتحنِّفة وقد صح أنه استأذن ربَّه فى الاستغفار لها فلم يؤذَن له . وقوله فى الحديث « أُمِّى مع أُمكما » يُؤْذِن بخلاف ذلك وهَبْك أجبتَ عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء بأنهما متقدمان فى التاريخ وذاك متأخر فكان ناسخًا ، فما تقول فى هذا ؟ فإن الموت على التوحيد ينفى التعذيب البتة ؟

---

(١) ط : والبراءة من الأصنام .

(٢) ص : إذ رأت .

قلت : أما حديث : « « أُمِّى مع أُمّكما » وإنْ صححه الحاكم ، فقد تقرر فى علوم الحديث أن الحاكم يَتَساهل فى التصحيح . وقال الذهبى بعد قول الحاكم فى هذا الحديث : إنه صحيح : قلت : لا والله فإن عثمان بن عُمَيْر ضعَّفه الدارقطنىُّ . فبيَّن الذهبى ضعفَ الحديث وحلف عليه يمينًا . وعلى تقدير أن يكون صحيحاً فأحسن ما يقرَّر به الجواب أن يقال : إن قوله « أُمِّى مع أُمّكما » صدَر قبل أن يوحَى إليه أنها من أهل الجنة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا أدرى تُبَّعاً كان نبيًّا أم لا » رواه الحاكم وابن شاهين من حديث أبى هريرة . وقال صلى الله عليه وسلم بعد أن أُوحى إليه فى شأنه : « لا تسبُّوا تبعًا فإنه كان قد أسلَم » رواه ابن شاهين فى نُسَخه من حديث سهل بن سعد وابن عباس . وكأنه صلى الله عليه وسلم أولاً لم يُوحَ إليه فى شأنها شيء ولم يَبْلغه الذى قالته عند موتها ولا تذكَّره فإنه كان إذ ذاك ابنَ خمسِ سنين ، فأطلقَ القولَ بأنها مع أمهما جَرْيًا على قاعدة أهل الجاهلية ، ثم أوحى إليه فى أمرها بعد ذلك .

ويؤيد ذلك أن فى آخر الحديث نفسه « ما سألْتُهما ربى » فهذا يدل على أنه لم يكن بعدُ وقعت بينه وبين ربه مراجعةٌ فى أمرها ثم وقع بعد ذلك . وأما عدَم الإذن فى الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعًا فى أول الإسلام من الصلاة على من عليه دَيْن لم يَترك وفاءً ومن الاستغفار له وهو من المسلمين ، وعلَّل ذلك بأن استغفاره مجابٌ على الفَوْر ، فمن استغفر له وصلَ عَقب دعائه إلى منزله الكريم فى الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يُقْضى دينه كما ورد فى الحديث « نفسُ المؤمن معلَّقة بِدَيْنه حتى يُقْضى [1] » فقد تكون أمُّ النبى صلى الله عليه وسلم مع كونها متحنِّفة كانت محبوسة فى البرزخ عن الجنة لأُمور أُخرى غير الكفر اقتضت أن لا يُؤْذن له فى الاستغفار إذ ذاك بسببها إلى أن أذِن الله تعالى فيه بعد ذلك . ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحِّدة غير أنها لم يَبْلغها شأنُ البعْث والنُّشور وذلك أصلٌ كبير ، فأحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما فى شريعته ولذلك تأخر إحياؤها[2] إلى حجة الوداع

---

(١) سنن الترمذى كتاب الجنائز باب ٧٦ .

(٢) ط : إحياؤهما .

حتى تمت الشريعة[1] ونزل : « اليوم أكملت لكم دِينكم[2] » فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ . وبسط الشيخ رحمه الله تعالى الكلام على ذلك فى كتابيه « الدُّرَر الكامنة فى إسلام[3] السيدة آمنة » وفى « مسالك الحُنَفا فى والدى المصطفى » والذى ذكرتُه خلاصتهما وفيه مناقشات ليس المقام لائقاً لذكرها .

وتقدم فى ترجمة عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم ما فيه مَقْنَع .

وقد وقعتُ على فتوى بخط بعض علماء المغاربة بسَط فيها الكلام على هذا المقام ورجَّح ما مشى عليه الشيخ ، ومن جملة ما ذكره : أن المتكلم فى هذا المقام على ثلاثة أقسام : قسم يوجب تكفيرَ قائله وزَنْدقتَه وليس فيه إلا القَتْل دون تلعثم ، وهو حيث يتكلم بمثل هذا الكلام المؤذى فى أبويه صلى الله عليه وسلم قاصدًا لأذيّته[4] وتعييره والإزراء به والتجسُّر على جهته العزيزة بما يصادم تعظيمه وتوقيره[5] .

وقسم ليس على المتكلم به وَصْم وهو حيث يدعوه داع ضرورى إلى الكلام به ، كما إذا تكلم على الحديث مفسِّراً له ومقرِّراً ، ونحو ذلك مما يدعو إلى الكلام به من الدواعى الشرعية .

وقسم يَحْرم علينا التكلم فيه ولا يَبْلغ بالتكلم به[6] إلى القتل ، وهو حيث لا يدعوه داع شرعى إلى الكلام به فهذا يؤدَّب على حسب حاله ويشدَّد فى أدبه إن عُلم منه الجرأة وعدم التحفظ فى اللسان ، ويُعْزل عن الوظائف الشرعية . واستدل بعزل عمر بن عبد العزيز عاملَه . وسبق ذلك فى ترجمة عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم[7] .

---

(١) ط : الشرائع .
(٢) سورة المائدة الآية ٣ .
(٣) ط : فى إيمان .
(٤) غير ص : لإذايته .
(٥) غير ط : وترفيعه .
(٦) ت م : ولا يباح بالمتكلم فيه .
(٧) سبق ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب

ثم قال : ولا ينبغى لعاقل إنكارُ ذلك . أى حديث إحياء أبويه صلى الله عليه وسلم - فكرامتُه صلى الله عليه وسلم على مَوْلاه أعظمُ من ذلك ، ولا يُتَشاغل فى هذا المقام بكونه صحيحاً ، فقد قال العلماء : أحاديثُ الترغيب والترهيب لايُشْترط فيها الصحة ، فما بالك بهذا المقام ؟ ولا مانع من صحته إن شاء الله تعالى وذلك هو الذى يغلب على ظن كل مُحب للجنَاب الشريف صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى

فى كفالة عبد المطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بشأنه

لمّا توفيت آمنةُ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمّه إليه جده عبد المطلب ورقّ عليه رقةً لم يرقّها على ولده .

قال ابن إسحاق : حدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبَد عن بعض أهله قال : كان يوضع لعبد المطلب فراشٌ فى ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يؤخّرونه فيقول جده : دَعُوا ابنى . فيمسح ظهره ويقول : إنَّ لا بنى هذا لَشأنا[1] .

وروى أبونُعَيْم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مثله . وزاد : دَعُوا ابنى يجلس فإنه يحسُّ من نفسه بشىء ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم[2] يبلغه عربى قبله ولا بعده[3] .

وروى ابن سعد وابن عساكر عن الزُّهْرى ومجاهد ونافع وابن جُبَيْر قالوا : كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس على فراش جده فيذهب أعمامه ليؤخّروه فيقول عبد المطلب : دعوا ابنى إنه ليؤنس مُلْكا[4] .

وقال قوم من بنى مُدْلج لعبد المطلب : احتفظ به فإنا لم نَرَ قدَمًا أشبه بالقدم التى فى المقام منه[5] .

وقال عبد المطلب لأُم أيمن : يا بركة احتفظى به لا تَغْفلى عنه فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبىّ هذه الأُمة .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٨/١ .
(٢) ط : ما لا يبلغه .
(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٢١ (ط حيدر آباد الثانية)
(٤) طبقات ابن سعد ٧٠/١ .
(٥) الاكتفاء ١٧٨/١ .

وروى المحَامليّ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت أبى يقول : كان لعبد المطلب مَفْرش فى الحِجْر لا يجلس عليه غيره وكان حَرْب بن أُمية فمن دونه يجلسون حَوْله دون المفرش ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا وهو غلام لم يبلغ الحلُم فجلس على المفرش فجذَبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عبدالمطلب ـ وذلك بعد ما كُفَّ بصرهُ : ما لابنى يبكى ؟ قالوا له : أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه . فقال عبد المطلب : دعوا ابنى يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربىٌ قبله ولا بعده[1] .

وروى البَلاذُرىُّ عن الزُّهْرى ومحمد بن السائب أن عبد المطلب كان إذا أُتى بالطعام أجلس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْبه وربما أقْعده على فخذه فيُؤْثره بأَطْيب طعامه ، وكان رقيقًا عليه بَرًّا به ، فربما أُتى بالطعام وليس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاضراً فلا يمسُّ شيئاً منه حتى يؤتى به . وكان يُفْرش له فى ظل الكعبة ويجلس بَنُوه حول فراشه إلى خروجه فإذا خرج قاموا على رأسه مع عَبِيده إجلالا له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جَفْر فيجلس على الفراش فيأخذه أعمامه ليؤخّروه فيقول عبدُ المطلب : دعوا ابنى ما تريدون منه ؟ إن له لشأنا . ويقبّل رأسه ويمسح صدره ويُسَرّ بكلامه [وما يَرى منه][2]

وروى أبو نُعيم عن محمد بن عمر الأسلمى عن شيوخه قالوا : بَيْنا عبد المطلب يومًا فى الحِجْر وعنده أُسقفُّ نجران وهو يحادثه ويقول : إنا نجد صفة نبىٍّ بقى من ولد إسماعيل ، هذا البلد مَوْلده ومن صفته كذا وكذا . وأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه الأُسقفُّ وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال : هو هذا ، ماهذا منك ؟ قال : هذا ابنى . قال الأُسقف : لا ، ما نجد أباه حيًا . قال : هو ابن ابنى وقد مات أبوه وأمه حُبْلى به . قال : صدقتَ . قال عبد المطلب لبنيه : تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون مايقال فيه[3] ؟ .

وروى البخارى فى تاريخه وابن سعد والحاكم وصححه ، عن كندير بن سعيد بن حَيْوة ويقال حَيْدة ، عن أبيه ، والبيهقى عن معاوية بن حيدة قال الأول : خرجتُ حاجًّا

---

(١) الوفـا ١/١٢٠ .

(٢) من أنساب الأشراف للبلاذرى ١/٨١ .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٢ .

فى الجاهلية . وقال الثانى : خرجت معتمراً فى الجاهلية . قالا : فإذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول :

رُدَّ إلىّ راكـــبى محمـــدا ارْدُدْه ربى واتخذ[1] عندى يدا

فسألا عنه فقيل هذا سيد قريش عبد المطلب له إبل كثيرة فإذا ضل منها شىء بعث فيه بنيه يطلبونها فإذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه فى حاجة إلا أنجح فيها ، وقد بعثه فى حاجة أعيا عنها[2] بنوه وقد أبطأ عليه . قالا : فلم نلبث حتى جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالإبل معه ، فقال له عبد المطلب : يا بنى حزنتُ عليك حزنًا لا تفارقْنى بعدُ أبدًا[3] .

وروى ابن الجوزى عن أم أيمن رضى الله تعالى عنها قالت : كنت أحْضن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فغفلت عنه يومًا فلم أدر إلا بعبد المطلب قائماً على رأسى يقول : يابركة . قلت : لبيك . قال : تَدْرين أين وجدت ابنى ؟ قلت : لا أدرى . قال : وجدته مع غلمان قريبا من السِّدْرة ، لا تغفلى عنه فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبى هذه الأُمة وأنا لا آمَنُهم عليه[4] .

---

(١) ط : واصطنع .
(٢) غير ط : منها .
(٣) طبقات ابن سعد ١/٧٠ القسم الأول .
(٤) الــوفا ١/١٢٠ .

الباب الثالث

فى استسقاء أهل مكة بجَدِّه وهو معهم وسُقْياهم ببركته

روى ابن سعد والبلاَذُرىّ وابن أبى الدنُّيا والطبرانى والبيهقى عن رُقَيْقة بنت أبى صَيْفى ابن هاشم وكانت لِدَة عبد المطلب قالت : تتابعت على قريش سِنُون جدبة أَقْحلت الجلدَ وأدقَّت العَظْم ، فبينا أنا نائمة أو مهوِّمة إذا هاتف يصرخ بصوت صَحْل يقول : يا معشر قريش إن هذا النبى المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه وهذا إبان مَخْرَجه[1] فحىّ هلاً بالحيَا والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وَسِيطا عظَاما جسَاما أبيض بَضًّا أَوْطَف الأهداب سهل الخدين أشمّ العِرْنين له فخر يَكْظم عليه وسُنَّة يهتدى[2] إليها ، فليَخْلص هو وولده وولد ولده ، وليَدْلف إليه من كل بطن رجلٌ ، فليشنُّوا من الماء[3] وليَمسُّوا من الطِّيب ثم يستلم الركن ، وليطوفوا بالبيت سبعاً ثم ليرتقوا أبا قُبَيْس فليستق الرجل وليؤمِّن القوم ، ألا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم إذًا ما شئتم .

قالت : فأصبحتُ مَذْعورة قد اقشعرَّ جلدى ووَله عَقْلى واقتصيت رؤياى فنمتُ فى شعاب مكة ، فما بقى أبطحىٌّ إلا قال : هذا شَيْبة الحَمْد . وتتامَّتْ عنده قريش وانقضَّ إليه من كل بطن رجل فشَنُّوا من الماء ومسُّوا من الطِّيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أبا قُبَيْس فطَفِق القومُ يَدلِفون حوله ما إن يُدْرك سَعْيهم مُهْلة ، حتى قَرّ لذروته ، فاستكفُّوا جانبيه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيْفَع أوكرب فقام عبدُ المطلب فقال : اللهم سادَّ الخَلَّة وكاشف الكُرْبة أنت عالم غير مُعَلَّم ومسئول غير مُبَخَّل وهذه عبادك وإماؤك بعَذْرات حَرَمك[4] يَشْكون إليك سنتَهم التى قد أقْحلت الظِّلْف والخُفّ فأَمْطِرْنا الله

---

(١) ط : خـروجه .

(٢) ط : نهتدى . وفى أعلام النبوة للمـاوردى والـوفا : وسنه يهدى إليه .

(٣) ط : بالمـاء .

(٤) غير ط : رحمتك .

غيثًا مَرِيعًا مُغْدِقًا . فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائِها وكَظَّ الوادِى بثجيجه فلَسمعت شِيخان قريش وهى تقول لعبد المطلب : هنيئًا لك أبا البطحاء بك عاش أهلُ البطحاء .

وفى ذلك تقول رُقَيْقة بنت أبى صَيْفى :

بشيبة الحمْد أسقى الله بلدتَنا ... وقد فقَدْنا الحيَا واجلوَّذَ المطرُ
فجاد بالماء جَوْنىٌ لـــه سَبلٌ ... سَحًّا فعاشت به الأنعام والشجرُ
سَيْلٌ من الله بالميمون[1] طائره ... وخَيْر من بشَّرت يومًا به مُضَرُ
مبارَك الأمر يُسْتسقى الغمامُ به ... ما فى الأنام له عِدْل ولا خطَرُ[2]

[تفسير الغريب]

رُقَيْقة : براء مضمومة وقافين مصغرة ، بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية والدة مَخْرمة بن نوفل . ذكرها ابن سعد فى المسلمات المهاجرات[3].

لِدَة الرجل : تِرْبه الذى ولد هو وإياه فى وقت واحد .

التتابع : بمثناتين فوقيتين فألف فمثناة تحتية فعين مهملة قال فى النهاية : الوقوع فى الشر من غير فكرة ولا رويّة والمتابعة عليه ، ولا يكون فى الخير . وقال غيره : التتابع بالموحدة يقال فى الخير ، والمثناة يقال فى الشر .

السِّنون : جمع سَنة وهى الجَدْب بفتح الجيم وسكون الدال المهملة نقيض الخِصْب .

أقحلت : بقاف فحاء مهملة : أيْبست . مُهَوِّمة : بضم الميم وفتح الهاء وكسر الواو المشددة قال فى النهاية : التَّهْويم : أول النوم ، وهو دون النوم الشديد .

الهاتف : ما يُسْمَع صوته ولا يرى شخصه .

بصوت صَحِل : بصاد مفتوحة فحاء مهملتين فلام أى غير[4] حاد الصوت .

---

(١) ط : الميمون .

(٢) أنساب الأشراف ١/٨٢ والوفا ١/١٢٠ وأعلام النبـــوة للماوردى ص ١١٥ .

(٣) الذى فى طبقات ابن سعد زينب بنت صيفى ، ولم يرد فيه ذكر لرقيقة ، وقد ذكر فى أول الخبر أن رقيقة كانت لدة عبد المطلب ، فكيف تكون من المسلمات المهاجرات .

(٤) ط : أى حاد الصوت . وفى القاموس : صحل صوته ، كفرح ، فهو أصحل وصحل . ع أو احتد فى بحح . أو الصحل محركة : خشونة فى الصدر وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم .

إبّان الشيء بكسر الهمزة وتشديد الموحدة : وقته .

حيّ هلاً : اسم فعل بمعنى أقبلوا وأسرعوا ، وهى كلمتان جعلتا كلمة فحَيّ بمعنى أقْبِل وهلا بمعنى أسْرع .

الحيَا بالقصر : الغَيْث .

الخِضْب بالكسر : نقيض الجدْب .

وَسِيطًا : يقال فلان وسيط قومه إذا كان أوسطهم نسَبًا وأرفعهم محلا .

عُظَاما : بضم العين المهملة بمعنى عظيم . جُسَاما : بضم الجيم بمعنى جسيم .

بَضًّا : بموحدة فضاد معجمة مشددة قال فى النهاية : البضاضة رقّةُ اللون وصفاؤه الذى يؤثر فيه أدنى شيء .

الوَطَف : بفتح الواو والطاء المهملة : طول شعر العين مع سعتها .

الشَّمَم : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا .

العِرْنين بكسر العين المهملة وسكون الراء : الأنف وهذا اللفظ كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس .

يَكْظم عليه : بمثناة تحتية مفتوحة فكاف ساكنة فظاء مشالة مضمومة فميم أى لا يُبْديه ولا يظهره .

يَدْلِفُون : بدال مهملة وفاء : أى يَقْربون منه .

شَنُّوا من الماء : اغتسلوا به . تتامَّ القومُ : جاءُوا كلهم وتموا .

العَذْرات : بعين مهملة مفتوحة فذال معجمة فراء فتاء تأنيث جمع عَذِرة بفتح أوله وكسر ثانيه وهى فِنَاء الدار ، وهو سعَة أمامها . وقيل : ما امتد من جوانبها .

الغَدق بفتح الغين المهملة : المطر الكِبار القَطْر ، والمُغْدِق : مُفْعِل منه .

مَرِيعًا بفتح الميم : مُخْصبا .

الحَيَا : هنا[1] بالقصر المطر .

---

(١) ط : هو بالقصر .

اجلوَّذ المطر : بجيم فلام مشددة مفتوحتين فذال معجمة قال فى النهاية : امتد وقتُ تـأخّره وانقطاعه .

جَوْنى : بفتح الجيم وسكون الواو وتشديد الياء منسوب إلى الجَوْن وهو من الألوان يقع على الأبيض والأسود ، والجمع جُون بضم الجيم ، وقيل الياء فيه للمبالغة كما يقال فى الأحمر أحمرىّ .

السَّبَل : بسين مهملة فباء موحدة مفتوحتين المطر الجَوْد الهاطل يقال أسبَل المطرُ والدمع : إذا هطلا والاسم السَّبَل بالتحريك .

سَحًّا : بسين فحاء مهملة مشددة مفتوحتين : يقال سَحَّ المطر والدمع وغيرهما يَسُحُّ بالضم سُحوحا وسحًّا : سالَ . ويقال السَحُّ : الصبُّ الكثير .

الميمون طائره : أى المبارك حظُّه ويجوز أن يكون أصله من الطير السارح والبارح .

العدْل بكسر العين : المثل . الخِطْر بخاء معجمة : الشبيه والمثل .

الباب الرابع

فيما حصل له فى سنة سبع من مولده

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجَوْزىّ فى « الوفا » فى سنة سَبْع من مولده صلى الله عليه وسلم أصابه رمَد شديد فعولج بمكة فلم يُغْن فقيل لعبد المطلب إن فى ناحية عُكَاظ راهبا يعالج الأَعْين فركب إليه فناداه ودَيْره مُغْلق فلم يجبْه فتزلزل دَيْره حتى كاد أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال : يا عبد المطلب إن هذا الغلام نبىّ هذه الأُمة ولو لم أخرج إليك لخرَّ على دَيْرى فارجع به واحفظه لا يقتلْه بعضُ أهل الكتاب . ثم عالجه وأعطاه ما يعالَج به . وأُلقى له[1] المحبةُ فى قلوب قومه وكل من يراه[2] .

عكاظ : بضم العَيْن وآخره ظاء مشالة معجمة : مكان بقرب عرفات .

---

(١) ط : عليـه .

(٢) ط : رآه . والخبر فى الوفـا لابن الجوزى ١/١٠١ .

الباب الخامس

فى وفاة عبد المطلب ووصيته لأبى طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظهر فى ذلك من الآيات

اختلف فى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات جده فقيل : وله ثمان سنين وقدَّمه فى الإشارة . وقيل بزيادة شهر وعشرة أيام . وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست .

ولعبد المطلب عَشْر ومائة سنة . وقدَّمه فى الإشارة . وقيل اثنتان وثمانون سنة ويقال بلغ مائة وأربعة وأربعين[1] سنة . ويقال خمسا وتسعين سنة . ويقال مائة وعشرين .

قال الواقدىّ : وليس ذلك بِثَبْت .

وروى محمد بن عمر الأَسْلَمىّ عن أم أيمن أنها حَدَّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكى خلفَ سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحَجُون[2] .

وروى ابن سعد عن الواقدى عن شيوخه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتذكر موتَ عبد المطلب ؟ قال : نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين[3] .

قال ابن إسحاق وغيره : ولما حضرت عبدَ المطلب الوفاةُ أوصى أبا طالب بحفظ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وحيَاطته والقيام عليه ، وأوصى به إلى أبى طالب ، لأن عبد الله وأبا طالب كانا لأم واحدة ، فلما مات عبد المطلب كان أبو طالب هو الذى يلى أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده[4] .

وروى ابن سعد والحسن بن عرفة وابن عساكر عن ابن عباس وغيره قالوا : لما توفى عبدُ المطلب قبض أبو طالب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكان يكون معه ، وكان

---

(١) ط : مائة وأربعين .

(٢) الوفا ١/١٢٩ . ودلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٣ .

(٣) الوفا ١/١٢٩ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٧٩ .

يحبه حبا شديدا لا يحبُّه ولدَه وكان لا ينام إلا إلى جنبه وصبَّ به صبَابةً[1] لم يصبّ مثلَها قط ، وكان يخصه بالطعام وكان عيالُ أبي طالب إذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم - رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شبعوا . وكان أبو طالب إذا أراد أن يغدِّيهم أو يُعشِّيهم يقول : كما أنتم حتى يحضر ابنى . فيأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيُفْضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يُشْبعهم ، وإن كان لبنا شرب أولَهم ثم يتناول العيال القَعْبَ فيشربون منه فيَرْوون عن آخرهم من القعب الواحد ، وإن كان أحدُهم لَيشرب قَعْبا وحده فيقول أبو طالب : إنك لَمبارَك . وكان الصبيان يصبحون رُمْصًا شُعْثًا و يصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دَهِينا كحيلا[2] .

وروى أبو نعيم عن أم أيمن قالت : ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعاً ولا عطشا لا فى كِبَره ولا فى صغره ، وكان يَغْدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول : أنا شبعان [3] .

وروى الحسن بن سفيان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان أبو طالب يقرِّب للصبيان تَصْبيحهم فيضعون أيديهم فينتهبون ويكفُّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَه فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه .

[تفسير الغريب]

صَبَّ به : يقال صبَّ يَصَبُّ بالفتح صبابةً رَقَّ شوقُه .

القعب : قدح من خشب : الرَّمَص بالتحريك وسخ يجتمع فى الموق فإن سال فهو غَمَص وإن جَمد فهو رَمَص .

الشَّعَث : تلبد الشعر لقلة تعهُّده بالدهن .

والله تعالى أعلم .

---

(١) ت م : عليه .

(٢) الاكتفا ١/١٩٠ والوفا ١/١٣٠ . ودلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٣ .

(٣) الاكتفا ١/١٩٠ .

ودلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٤

الباب السادس

فى استسقاء أبى طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وعطَش أبى طالب وشكواه ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم

روى ابن عساكر عن جُلْهمة بن عُرْفُطَة قال : قدمْتُ مكة وقريش فى قحط ، فقائل منهم يقول : اعتمدوا واللات والعُزَّى .وقائل منهم يقول : اعتمدوا مناة الثالثة الأُخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأى : أنَّى تؤفكون وفيكم بقية[1] إبراهيم وسُلَالة إسماعيل . قالوا : كأنك عنَيْتَ أبا طالب ؟ قال : إيهًا . فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجلٌ حسن الوجه عليه إزار قد اتَّشح به فثاروا إليه فقالوا : يا أبا طالب أقْحط الوادى وأجْدَب العيال فهلم فاسْتَسْقِ[2] لنا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجُنَّة تجلَّت عليه سحابةٌ قَتْماء وحوله أُغَيْلمة فأخذه أبو طالب فألْصَق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه [3] الغلامُ وما فى السماء قَزَعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغْدَق واغدوْدَق[3] وانفجر له الوادى وأخْصَب النادى والبادِى . وفى ذلك يقول أبو طالب:

وأبيضَ يُسْتسقى الغَمامُ بوجهه ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامـلِ
يلوذ به الهُلَّاكُ من آل هاشمٍ فهم عنده فى نعمة وفَواضِلِ[4]

وقال ابن سعد : حدثنا الأزرق ، حدثنا عبد الله بن عون ، عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى المجَاز مع ابن أخى ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأدركنى العطش فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخى قد عطشت . وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده

---

(١) غير ط : باقية .

(٢) غير ط : فاستق .

(٣) كذا بالأصول . وفى الخصائص : بإصبعه . وهو تحريف . وللإنسان ضبعان فقط ، والضبع : العضد كلها ، أو وسطها ، أو الإبط أوما بين الإبط إلى نصف العضد .

(٤) الخصائص الكبرى عن ابن عساكر ٢١٣/١ .

وأغدق المطر : وأغدودق : كثر قطـره .

شيئًا إلا الجَزع قال : فثنى وَرِكه ثم قال : يا عم عطشتَ ؟ قلت : نعم . فأَهْوى بعقبه إلى الأرض فإذا أنا بالماء فقال اشرب فشربت .

وله طرق أخرى رواها الخطيب وابن عساكر[1] .

جُلْهُمة : [بجيم مضمومة ولام ساكنة وهاء مضمومة وميم مفتوحة][2]

أنَّى : بمعنى كيف .

تؤفكون : تصرفون .

ثاروا إليه : بالمثلثة : قاموا .

دُجُنَّة بدال مهملة فجيم مضمومتين : الظُّلَّة والجمع دُجُنَّات . قَتْماء : بقاف فتاء مثناة فوقية : الغبراء ، من القَتَام بالفتح وهو الغبار .

لاذ به : طاف .

قَزَعة : سحَابة .

أغْدَق : كَثُر .

اغدودق : كذلك .

الثِّمَال : تقدم الكلام عليه فى أسمائه صلى الله عليه وسلم[3] .

ذو المجاز : مكان على فرسخ من عرفة .

---

(١) الوفا ١٣١/١ . وطبقات ابن سعد ١٥٢/١ (ط بيروت) .

(٢) بياض بالأصل والضبط من القاموس .

(٣) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه . وانظر أبواب أسمائه صلى الله عليه وسلم فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

الباب السابع

فى سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير بن عبد المطلب إلى اليمن

قال ابن الجوزى فى « الوفا » : لما أتت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة خرج فى سفر مع عمه الزبير ، فمروا بوادٍ فيه فَحْل من الإبل يمنع من يجتاز ، فلما رآه البعير برَك وحكَّ الأرض بكَلْكَله ، فنزل عن بعيره وركبه فسار حتى جاوز الوادى ثم خلَّى عنه ، فلما رجعوا من سفرهم مرُّوا بوادٍ مملوء ماء يتدفق فوقفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتبعونى . ثم اقتحمه فاتبعوه فأَيْبس الله الماء . فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس إن لهذا الغلام شأْنا[1] .

الكَلْكل والكَلْكال : الصَّدْر .

---

(١) الوفا ١/١٠١ .

الباب الثامن

فى سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب إلى الشام

روى ابن سَعْد وابن عساكر عن داود بن الحُصَين - بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابن اثنتى عشرة سنة . قال البلاذرىّ : وهو الثبت[1]

وروى أبو نعيم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن سعد وابن عساكر عن عبد الله ابن محمد بن عقيل وابن سعد عن عبد الرحمن بن أبْزَى ، والبزار والترمذى وحسّنه عن أبى موسى الأشعرى ، وابن سعد عن داود بن الحصين وأبو نعيم عن محمد بن عمر الأسلمى ، والبيهقى عن محمد بن إسحاق قالوا : إن أبا طالب أراد المسير فى رَكْب إلى الشام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أىْ عم إلى من تُخَلِّفنى هاهنا ؟ وصَبَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقّ له أبو طالب فلما سارا[2] أردفه خلفه فخرج[3] به فنزلوا على صاحب دَيْر فقال صاحب الدير : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى . قال : ما هو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حَىّ . قال : ولمَ ؟ قال : لأن وجهه وجه نبى وعينه عين نبىّ . قال : وما النبى ؟ قال : الذى يُوحَى إليه من السماء فيُنْبىء أهل الأرض . قال الله أجَلّ مما تقول . قال : فاتق عليه اليهود .

ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دَيْر فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى قال : ما هو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حَىّ . قال : ولم ؟ قال : لأن وجهه وجه نبى وعينه عين نبى . قال : سبحان الله ! أجلّ مما تقول .

---

(١) الذى فى أنساب الأشراف للبلاذرى ٩٦/١ : « فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة عرض لأبى طالب شخوص إلى الشام فى تجارة » .

(٢) غير ط : ساروا .

(٣) غير ط : فخرجوا .

وقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ألاَ تسمع ما يقولون ؟ قال : أي عم لا تنكر لله قُدْرة .

[خبر بحيرا]

فلما نزل الركب بُصْرَى وبها راهب يقال له بَحيرا في صومعة له قال ابن اسحاق : وكان أعلمَ أهل النصرانية . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرّون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يَعْرض لهم ، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا قريبا من صومعته فرأى وهو في صومعته رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم في رَكْب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصّرت أغصانُ الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظلّ تحتها ، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا سيِّد العالمين هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ من قريش[1] : وما عِلْمك ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقَبة لم يمرّ بشجر ولا حَجَر إلا خَرّ ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة . ثم رجع وأمر بطعام كثير فصنع ثم أرسل إليهم فقال : إني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وإني أحب[2] أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحُرّكم وعَبدكم . فقال رجل : يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمرّ بك كثيرا فما شأنك ؟ فقال بحيرا : صدَقْت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضَيْف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه . فاجتمعوا إليه ، فلما أتاهم به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم راحَ مع من يرعى الإبل . وفي رواية : فتخلّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رِحَال القوم ، فلما نظر بَحِيرا لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، فقال : يا معشر قريش لا يتخلَّفْ أحدٌ منكم عن طعامي هذا قالوا : ما تخلّف عنك أحد يأتيك إلا غلام هو أحْدث القوم سنًّا تخلّف في رحالنا . فقال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام . فقام الحارثُ بن عبد المطلب فأتى به ، فلما أقبل وعليه غمامة تُظله فقالوا : انظروا إليه

---

(١) ط : أشياخ قريش .

(٢) ط : أرى .

عليه غمامة تظله . فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فَيْء الشجرة فلما جلس مال فَيْء الشجرة عليه ، فقال : انظروا مال فَيْء الشجرة عليه هذا نبي هذه الأُمة الذى يرسله الله إلى الناس كافة[1] .

وفى « الزُّهْر » نقلا عن محمد بن عمر الأسلمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا فارق تلك الشجرة التى كان جالسًا تحتها وقام انفلقت من أصلها حين فارقها وجعل يَلْحظه لحظا شديدا ينظر إلى أشياء من بدنه قد كان يجدها عنده فى صفته وقال لقومه : هذه الحُمْرة التى فى عينيه تأتى وتذهب أولا تفارقه ؟ قالوا : ما رأيناها فارقته قط . فأقبل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه . وإنما قال له بَحِيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألنى باللات والعزى فوالله ما أبغضتُ بُغْضهما شيئا . فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك . فقال : سَلْنى عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حال نَوْمه ويقظته وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يخبره فوافق ذلك ما عند بَحِيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته عنده فلما فرَغ منه أقبل على عمه أبى طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى . فقال بحيرا : ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون له أب حى . قال : فانه ابن أخى . قال : فما فعل أبوه قال مات وأمه حامل به . قال : صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلدك[2] واحذر عليه اليهودَ فوالله لئِن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا فإنه كائن لابن أخيك شأن . فأسرع به إلى بلاده ولا تذهب به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه .

والتفت عنه بحيرا فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم؟ قالوا : جئنا إلى هذا النبى الذى هو خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بُعث إليه ناس وإنا قد أُخبرنا خبره بطريقك هذا . قال : أفرأيتم أمرًا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع

---

(١) خبر بحيرا فى سيرة ابن هشام ١/١٨٠ ودلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٥ والوفا ١/١٣١ والاكتفاء ١/١٩١ وشرح المواهب ١/١٩٠ .
قال البيهقى : هذه القصة مشهورة عند أهل المغازى وضعف الذهبى هذا الحديث . وقال ابن حجر : رجاله ثقات .
(٢) ط : إلى بلده .

أحدٌ من الناس ردَّه ؟ قالوا : لا فبايعوه وأقاموا معه . فأتى قريشا فقال : أنشدكم بالله أيّكم وليّه قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وأرسل معه رجلا وزوّدهم الراهب من الكعك والزيت[1] .

وقال أبو طالب فى هذه السَّفْرة قصائد منها ما ذكره ابن اسحاق وأبو هفان فى ديوان شعر أبى طالب :

إنَّ ابنَ آمنة الأمين محمدا ... عِنْدى بمثلِ مَنَازل الأولادِ
لمَّا تعلَّق بالزِّمام رحمتُه ... والعِيسُ قد قَلَّصْنَ بالأزواد
فارفَضَّ من عَيْنَىّ دمْعٌ ذارفٌ ... مثلُ الجُمَانِ مُفَرَّق الأفراد
راعيتُ منه قَرابةً موصولة ... وحفظتُ فيه وصيةَ الأجدادِ
وأمَرْتُه بالسَّير بين عمومة ... بِيض الوجوه مَصالتٍ أنْجادِ
ساروا لأبعد طَيّة معلومةٍ ... فلقد تباعَد طيةُ المرتاد
حتى إذا ما القوم بُصْرى عاينوا ... لاقَوْا على شَرك من المرصاد
حَبْرا فأخبرهم حديثا صادقا ... عنه ورَدَّ معاشر الحسَّادِ
قوما يهودا قد رأوا ما قد رأى ... ظل الغمامة ثاغرى الأكباد
ساروا لفتك محمد فنهاهمُ ... عنه وأجْهد أحسن الاجهادِ
فثنى زبيراء بَحِيرٌ فانثنى ... فى القوم بعد تجَادُلٍ وتَعاد[2]
ونهى دَرِيسًا فانتهى لمّا نهى ... عن قول حَبْر ناطق بسداد

ومنها :

بكى حَزَنا لما رآنى محمد ... كأنْ لا يرانى راجعا لمَعادِ
فبِتُّ يجافينى تهلُّلُ دمعه ... وعَبْرته عن مَضْجعى ووسادِى
فقلت له قرِّب قُتُودك وارتحلْ ... لا تخشَ منّى جفوةً ببلاد

---

(١) الوفا ١/١٣٣ . وشرح المواهب ١/١٩١ .

(٢) ص : زبيرا . وقوله زبيراء يشير إلى اسم واحد من النفر الذين قدموا إلى رسول الله عند بحيرا . وفى ابن هشام ١/٨٣ : زريرا .

وحُـلَّ زِمـام العِيس وارحلْ بِنَا مَعًا ... عـلى عَزْمةٍ منْ أمْرنا ورشـاد
رُحْ رائحا فى الرائحِين مُشَيَّعا ... لِذِى رحم والقـرم غير بعَـاد
فرُحْنا مع القوم التى راح رَكْبها ... يؤُمُّون من غَوْرين أرض إيـادِ
فما رجعوا حتى رأوا من محمـدٍ ... أحاديثَ تَجْلو رَيْن كلَّ فـؤاد
وحتى رأوا أخْبار كلِّ مدينـة ... سجودًا له من عُصْبة وفُـرادِ
زُبَيْرا وتَمَّاما[1] وقد كان شاهدا ... دريسُ فهمُّـوا كلهم بفسـادِ
فقال لهم قولاً بَحِيرا فأيقنـوا ... به بعد تكذيبٍ وطُـول بعـادِ
كما قـال للركب الذين تَهوَّدوا ... وجاهَـدهم فى الله حقَّ جهـادِ
وقـال ولم يترك له النصح ردَّه ... فـإنَّ له أرصـاد كل مُضَـادِ
فإنى أخـاف الحاسدين وإنـه ... لفى الكُتْب مكتوبٌ بأىِّ مـدَادِ

ومنها :

ألم ترنى مِنْ بَعْد هَمٍّ همَمْتُـه ... بفرقـةِ حُـر الوالدين كـرام
بأحمد لمـا أن شـدَدْت مطيّتى ... برَحْلى . وقـد ودَّعته بسلامِ
بكى حَزنا والعِيس قـد فصَلْت بنا ... وأمسَك بالكفَّين فضـلَ زمـامِ
ذكـرتُ أبـاه ثم رَقْرقتُ عَبْرةً ... بحـورًا من العينين ذات سـجامِ
فقلت تروَّحْ راشدًا فى عمومة ... مواسين فى البأسـاء غير لئِـامِ
فرحْنا مع العِير التى راح أهلُهـا ... شـآمَ الهـوى والأصل غير شآمِ
فلما هبطنا أرضَ بُصْرى تَشرَّفُـوا ... لنـا فَوْق دور ينظـرون جسـامِ
فجـاء بَحِيرا عند ذلك حاشـدًا ... لنـا بشراب طيِّب وطعـامِ
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنـا ... فقلنا جَمْعنا القـومَ غير غـلام
يتيمًا فقال ادعـوه إنَّ طعامنـا ... كثيرٌ عليـه القـوم غير حـرام
فلما رآه مقبـلا نحـو داره ... تُوقِّيه حـرَّ الشمس ظـلُّ غمامِ
حنى رَأسـه شِبْه السُّجود وضمَّه ... إلى نَحْـره والصَـدْر أىَّ ضمَـامِ

---

(١) فى ابن هشـام ١٨٣/١ أن اسماؤهم : زرير وتمـام ودريس .

وأقبل ركْبٌ يَطْلبون الذى رأى ... بحيرا من الأعلام وَسْط خيام
فثار إليهم خشيةً لغرامهم ... وكانوا ذوى مَكْر معًا وغرام
دريس وتمّام وقد كان فيهم ... زبير وكلُّ القوم غير نِيَام
فجاءوا وقد همُّوا بقَتْل محمدٍ ... فردّهم عنه بحسن خصَام
بتأويله التوراة حتى تفرقوا ... فقال لهم ما أنتم بَطغام
فذلك مِنْ أعلامه وبيَانه ... وليس نهارٌ واضح كظلام (١)

تَنْبيهاتٌ

الأول : وقع فى حديث أبى سعيد عن الترمذى : فلم يزل بحيرا يناشد جدَّه حتى ردَّه وبعث معه أبو بكر بلالا قال الحافظ شرف الدين الدمياطى وتبعه فى المَوْرد والعيون : فى قوله: «وأرسل معه أبو بكر بلالا» نكارة كيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العَشْر سنين فإن النبى صلى الله عليه وسلم أسنُّ من أبى بكر بأزْيَد من عامين وقد قدمنا ما كان سِنّ النبى صلى الله عليه وسلم حين سافر هذه السَّفْرة . وأيضا فإن بلالا لم ينتقل لأبى بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما ، فإنه كان لبنى خَلَف الجمَحيّين وعندما عذَّب فى الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رحمةً له واستنقاذًا له من أيديهم وسيأتى بيان ذلك .

وذكر نحو ذلك الحافظ فى الإصابة وزاد أن هذا اللفظ مقْتَطع من حديث آخر أُدْرِج فى هذا الحديث وفى الجملة هو وَهْم من أحد رواته .

وروى ابن مَنْدة بسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال إن أبا بكر صحب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام فى تجارة ، حتى إذا نزل منزلا فيه سِدْرة فقعد فى ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بَحِيرا يسأله عن شيء فقال له : من الرجل الذى فى ظِلِّ السدرة فقال له : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فقال له : هذا والله نبى هذه الأُمة ما استظل تحتها بعدَ عيسى بن مريم إلا محمد . وذكر الحديث .

---

(١) يتضح فى هذا الشعر المنسوب إلى أبى طالب الصنعة والركاكة ولم يروه أحد من أهل العلم بالشعر ، وليس فى سيرة ابن هشام .

قال الحافظ : فهذا إن صح يحتمل أن يكون فى سَفْرة أخرى بعدَ سفرة أبي طالب . وذكر نحوه فى « الزُّهْر » وزاد : وقول ابن دِحْية : يمكن أن يكون أبو بكر استأجر بلالا حينئذ أو يكون[1] أمية بن خلف بعثه : غير جيِّد لأمرين .

أحدهما أن أبا بكر لم يكن معهم ولا كان فى سِنّ من يملك . وذكر نحو ما سبق فى سِنّ النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك .

ثانيهما : أن بلالا كان أصْغر من أبي بكر فلا يتجه ما قاله بحال .

الثانى : قوله فى الحديث : « فبايَعوه » فى « العيون » : إنْ كان المراد فبايعوا بَحِيرا على مُسَالمة النبي صلى الله عليه وسلم فقريب . وإن كان غير ذلك فلا أدرى ما هو[2] .

وقال فى « الغُرَر » : الأول هو الظاهر ليوافق الضمير[3] فى فيه وفى « وأقاموا معه » ومعناه : فبايَعوه على أن لا يأْخذوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولا يؤْذوه على حسب ما أُرْسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفًا على أنفسهم إذا رجعوا بدونه . وهذا وجه حسن جدا .

الثالث : وقع فى سِيَرَ الزهرى أن بحيرا كان حَبْرا من يهود تَيْماء . قال الحافظ عماد الدين ابن كثير : والظاهر من سياق القصة أنه كان نصرانيا[4]

قلت : وبذلك جزم ابنُ إسحاق . كما تقدم .

وقال المسعودى فى تاريخه : كان بحِيرا نصرانيا من عبد القيس[5] .

وفى تاريخ ابن عساكر أنه كان يسكن ميفعة قرية وراء دَيْر بالبلقاء[6] . وذكر الإمام السُّروجى فى مَناسكه أن عند كفافة منزلة وادى الظَّباء بها شجر تَمْر الهِنْدى تزعم العامة أن صومعة بحيرا كانت هناك . قال : ولا يوقف على حقيقة ذلك .

---

(١) ط : وأن .
(٢) عيون الأثر ١/٤٣ .
(٣) ط : ليوافق الضميرين فيه وفى أقاموا .
(٤) السيرة النبوية لابن كثير ١/٢٤٩ .
(٥) مروج الذهب ١/٨٩ (ط بيروت) .
(٦) سيرة ابن كثير ١/١٤٠ عن ابن عساكر .

وذكر القُتَبِيّ فى « المعارف » أنه سُمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خيرَ أهل الأرض بَحِيرا ورِئاب بن البرَاء الشَّنّى والثالث المنتظر . فكان الثالث رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

قال ابن قتيبة : وكان قبر رئاب الشنّى وقبر ولده من بعده لا يزال يُرَى عليه طَشّ والطش : المطر الخفيف .

ثم إن بحيرا بباء موحدة مفتوحة فحاء مهملة مكسورة فراء فألف قال : غير واحد مقصورة ورأيت بخط مُغَلْطَاى وصاحب الغُرَر وغيرهما عليها مَدَّة . فالله تعالى أعلم .

قال المسعودى : واسمه سرجس[2] . كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرَّوْض[3] . وفى النسخ التى وقفت عليها من الإشارة جرجيس بكسر الجيمين بينهما راء وبعد الثانية مثنّاة تحتية فسين مهملة . وهكذا رأيته بخط صاحبها فى « الزهر » وصحح عليه . وكذلك هو فى الإصابة للحافظ . وجزم الذهبي فى ترجمة أبى الفتح سعيد بن عقبة من « الميزان » بأن بحيرا لم يدرك البعثة[4] . وأقرّه الحافظ فى اللسان[5] . وهو غير مصروف للعجمة والعلمية . وهو فى الأصل اسم نبي .

• • •

الرابع : فى بيان غريب ما سبق :

صَبَّ به ـ بصاد مهملة فباء موحدة : أى مال إليه ورقّ عليه . ويروى وضَبَث به بضاد معجمة فباء موحدة فمثلثة . أى تعلّق به وأمسك .

الصَّوْمعة : منزل الراهب ، سميت بذلك لأنها محدَّدة الرأس من قولهم ثَريدة مُصَمَّعة[6] إذا دُقَّت وحدِّد رأسُها .

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٨ (ط دار المعارف) .

(٢) ط : جرجس .

(٣) الروض الأنف ١١٨/١ .

(٤) ميزان الاعتدال ١٥٣/٢ .

(٥) لسان الميزان ٣٩/٣ .

(٦) القاموس : (صمع) والثريدة : لعلها حجر أو عظم ، قال فى القاموس (ثرد) : والمراد من يذبح بحجر أو عظم أو من حديدته غير حادة ، واسم ذلك المثراد .

تهصَّرت : مالت وتدلّت عليه .

احتضنه : أخذه مع حِضْنه أى مع جنبه .

الغُضْروف ـ بضم الغين وإسكان الضاد المعجمتين فراء مضمومة فواو ساكنة ففاء : هو رأس لوح الكتف ويقال فيه غُرْضوف بتقديم الراء .

فبايَعوه ـ بفتح المثنّاة التحتية وهو خبر لا أمر .

أَنْشُدكم ـ بفتح الهمزة وضم الشين : أى أسألكم بالله .

العِيس ـ بعين مكسورة وسين مهملتين بينهما مثناة تحتية : إبلٌ بِيض فى بياضها ظُلْمة خفيّة ، والواحدة عَيْساء بفتح العين .

قلصْن : ارتفعن .

ارفضَّ : سَال .

ذارف ـ بذال معجمة ـ يقال ذَرف الدمعُ يَذْرف ذَرْفا وذرفاناً : سَال .

الجُمَان ـ بضم الجيم : جمع جمانة ، حبة تُعمل من الفضة كالدُّرّة . الصَّلْت : الواضح الجبين .

أَنْجاد : أقوياء .

على شَرك : على طريق .

ثاغِرى الأكباد : أى سقطت أكبادهم من سرعة المشى .

الفَتْك : البطش والقتل على غفلة .

القُتُود والأقتاد جمع قتد[1] : خشب الرَّحْل .

من غَوْرين : تثنية غَوْر وهو ما انخفض من الأرض .

---

(١) الذى فى القاموس : جمع قتاد .

إيَاد : هم بنو إياد بن نزار من مَعَدّ بن عدنان .

الرَّيْن : الغشاء الذى على القلب من ظُلْمة الذنوب .

رَقْرَقت : براءين مهملتين وقافين قال فى الصِّحاح : رقرقتُ الماء فترقرق : أى جاء وذهب ، وكذلك الدمع إذا ملأ الحُمْلاق[1] .

سِجَام : يقال سجم الدمع سَجْما وسِجَامًا : سَال .

---

(١) الحملاق : باطن أجفـان العين الذى يسـود بالكحلة ، أو ما غطتـه الأجفان من بياض المقلة .

الباب التاسع

فى حفظ الله تعالى إياه فى شبابه عما كان عليه أهلُ الجاهلية واشتهاره بالأخلاق ـ الفاضلة والخصال الحميدة قبل بعثته ، وتعظيم قومِه له صلى الله عليه وسلم

قال داود بن الحصين ، فيما رواه ابن سعد وابن عساكر ، وابن إسحاق فيما رواه البيهقى وغيره : فشبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَكْلؤه الله ويحفظه ويَحُوطه من أقذار الجاهلية ومَعايبها ، لِمَا يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلَغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مروءةً وأحسنهم خُلقا ، وأكرمهم حسَبا وأحسنهم جِوَارا ، وأعظمهم حِلْما ، وأصْدَقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبْعَدهم من الفُحْش والأخلاق التى تدنِّس الرجال تنزُّها وتكرُّمًا . ما رئى مُلاَحيًا ولا مُمَارِيًا أحدًا حتى ما اسمُه فى قومه إلا الأمين لِمَا جمع الله فيه من الأُمور الصالحة[1] .

وذكر أبو هاشم محمد بن ظفَر فى «خَيْرِ البِشرَ بخير البَشَر» : حج أكْثمُ بن صَيْفى حكيمُ العرب ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم فى سن الحُلُم ، فرآه أكثم فقال لأبى طالب : ما أسرع ما شبَّ أخوك . فقال ليس بأخى ولكنه ابن أخى عبد الله . فقال أكثم أهو ابن الذبيحَيْن ؟ قال : نعم . فجعل يتوسَّمه ثم قال لأبى طالب ما تظنون به ؟ قال : نحسنُ به الظن وإنه لَوفىٌّ سَخِىٌّ . قال ؟ هل غير هذا ؟ قال : نعم إنه لذو شدة ولِين ومَجْلس رَكِين وفضل متين . قال فهل غير هذا ؟ قال : إنَّا لنتيمَّن بمَشْهده ونتعرَّف البركَة فيما لمسَه بيده . فقال أكثم : أقول غير هذا إنه ليضرب العرب قامطةً ـ يعنى جامعة ـ بيد حائطة ورِجْل لائطة ثم ينعق بهم إلى مَرْتع مَرِيع ووِرْدٍ سريع فمن اخْرَوْرط إليه هَداه ومن احْرَوْرَف عنه أرْداه .

وروى ابن سعد عن الربيع بن خُثَيْم قال : كان يُتَحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الإسلام[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٨٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/١٥٧ (ط بيروت) .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث عما كان الله يحفظه فى صِغَره من أمر الجاهلية أنه قال : لقد رأيتنى فى غلمان من قريش نَنْقل حجارة لبعض ما يلعب به الصبيان كلنا قد تَعرَّى وأخذ إزارَه وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فإنى لَأُقبل معهم وأُدْبر إذ لكَمنى لاكمٌ لَكمةً شديدة[1] ثم قال : شُدَّ عليك إزارك . قال : فأخذته فشددته علىَّ ثم جعلت أنقل الحجارة على رقبتى وإزارى علىَّ من بَيْن أصحابى[2].

وهذه القصة شبيهة بما وقع عند بناء الكعبة .

روى الطبرانى والبيهقى فى الدلائل من طريق عمرو بن قيس[3] ، وابن جرير فى التهذيب من طريق هارون بن المغيرة ، وأبو نعيم فى المعرفة من طريق قيس بن الرَّبيع ، وفى الدلائل من طريق شُعَيْب بن خالد ، كلهم عن سِمَاك بن حَرْب ، وأبو نعيم من طريق الحكم بن أبان، كلاهما عن عِكْرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : حدثنى أبى العباسُ بن عبد المطلب قال : لما بنَتْ قريْشٌ الكعبة انفردتْ رجلين رجلين ينقلون الحجارة ، فكنت أنا وابن أخى ، فجعلنا نأخذ أُزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة فإذا دنونا من الناس لبْسنا أُزرنا فبَيْنا هو أمامى إذ صُرِع فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء فقلت : يا بن أخى ما شأنك ؟ قال نُهيت أن أمشى عريانا . قال : فكتمته حتى أظهره الله ، بنبوته[3] .

وورد من حديث جابر وأبى الطفيل . ويأتيان .

وروى الترمذى وغيره عن أبى موسى أن بَحِيرا حين حلف النبىُّ صلى الله عليه وسلم باللات والعزى قال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا تسألنى باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت بُغْضهما شيئا[4] .

وعن على رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هَمَمْت بشىء مما كان أهل الجاهليةِ يَهُمُّون به من الغِنَاء إلا ليلتين كلتاهما عصَمنى الله

---

(١) سيرة ابن هشام : لكمةٌ وجيعة .
(٢) سيرة ابن هشام : ١٨٣/١ .
(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٤٧ .
(٤) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٢٧ .

منهما . قلت ليلةً لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلِنا فقلت لصاحبي : أبصرْ لى غنمى حتى أدخل مكة فأَسْمُرَ بها كما يَسْمر الفتيان . فقال : بلى فدخلت حتى إذا جئت أولَ دارٍ من دور مكة سمعت عَزْفا وغَرابيل ومَزَامير . قلت : ما هذا ؟ قيل : تزوج فلان فلانة . فجلست أنْظر . وضرب الله على أُذنى ، فوالله ماأيقظنى إلا مَسُّ الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلتَ ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئا ثم أخبرته بالذى رأيت . ثم قلت له ليلةً أخرى : أبصر لى غنمى حتى أَسْمُر بمكة . ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثلَ الذى سمعت تلك الليلة فجلست أنظر وضرب الله على أُذنى فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت فقلت لا شى ثم أخبرته بالذى رأيت[1] فوالله ما هممْت ولا عُدْت بعدهما لشيءٍ من ذلك حتى أكرمنى الله بنبوته .

رواه ابن اسحاق[2] وإسحاق بن راهويه والبزار وابن حبّان . قال الحافظ : وإسناده حسن متصل[3] .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : لما نزلتْ « وأَنذِرْ عشيرتك الأَقربين »[4] نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قريش بَطْنًا بطنا فقال : « أرأيتم لو قلت لكم إنَّ خيلاً بسَفْح هذا الجبل أكنتم مصدِّقىَّ ؟ » قالوا : نعم ما جرَّبنا عليك كَذِبا قطّ .

رواه الشيخان[5] .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت زيدَ ابن عمرو بن نُفَيْل يعيب كلَّ ما ذُبح لغير الله فما ذقت شيئا ذُبح على النُّصب حتى أكرمنى الله برسالته .

---

(١) ط : ثم أخبرته الخبر .

(٢) ليس فى سيرة ابن هشام إذ أن هذا الخبر من رواية يونس من بكير عن ابن إسحق.وهو فى السيرة النبوية لابن كثير ٢٥١/١ وفى دلائل النبوة لأبى نعيم ١٤٣ . والخصائص الكبرى للسيوطى ٢١٩/١ (ط القاهرة) .

(٣) قال ابن كثير : « وهذا حديث غريب جدا ، وقد يكون عن على نفسه ، ويكون قوله فى آخره : حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته » مقحما . والله أعلم . السيرة ٢٥٢/١ .

(٤) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٥) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة تبت) .
وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٥٥ .

رواه أبو نعيم[1] .

وعن على رضى الله تعالى عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : هل عبدتَ وثنًا قط ؟ قال : لا . قالُوا : فهل شربت خمرا قط ؟ قال : «لا وما زلت أعرف أن الذى هم عليه كُفْر وما كنت أدرى ما الكتابُ ولا الإيمان» .

رواه أبو نُعَيْم[2] .

وعن أُم أيمن رضى الله تعالى عنها قالت : كان بُوَانة صنَما تَحْضره قريش يومًا فى السَّنة فكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك معه فيأْبَى حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عَمَّاتِه غضبن عليه وقلن يا محمد ماتريد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جَمْعًا . فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالت عماته : ما دهاك ؟ قال : إنى أخشى أن يكون بى لَمَم فقلن : ما كان الله يَبْتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذى رأيت ؟ قال : إنى كلما دعوت من صنم منها تمثَّل لى رجل أبيض طويل يصيح بى : وراءك يا محمد لا تمسَّه قالت : فما عاد إلى عيد لهم .

رواه ابن سعد وأبو نُعَيْم وابن عساكر[3]

وعن جُبَيْر بن مُطْعم قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله علية وسلم فى الجاهلية وهو يقف على بَعِير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقا من الله تعالى له[4] .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها وهم الحُمْس يقفون عشيةَ عرفة بالمزْدَلفة ويقولون : نحن قطن البيت . وكانت بقية الناس والعرب يقفون بعرفات فأنزل الله عز وجل : « ثم أفِيضوا مِنْ حيثُ أفاضَ الناسُ »[5] فتقدموا فوقفوا مع الناس .

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٤٦ .
(٢) الخصائص الكبرى ١/٢٢١ (ط القاهرة) .
(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٤٤ والخصائص الكبرى ١/٢٢١ .
(٤) الخصائص الكبرى ١/٢٢٣ وقال : أخرجه ابن إسحق والبيهقى وأبو نعيم .
(٥) سورة البقرة ١٩٩ .

رواه الشيخان[1] .

وروى يعقوب بن سفيان عن الزُّهْرى أن قريشا سمَّت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الأمين قبل أن يَنْزل عليه الوحى فطفقوا ألَّايَنْحروا جَزُورا إلا التمسوه فيه فيَدْعو لهم فيها .

وروى الشيخان من حديث عائشة فى حديث بَدْء الوحى لما أتاه جبريل بالوحى قال لخديجة : لقد خَشِيت على نفسى وأخبرها الخبر . فقالت له : كَلَّا أبْشر فوالله لا يُخْزيك الله أبدًا إنك لتَصل الرحم وتَصْدق الحديث وتحمل الكَلَّ وتَكْسب المعدوم وتَقْرى الضيف وتعين على نوائِب الحق[2] .

تَنْبيهَاتٌ

الأول : ما ذكره ابن اسحاق من قصة تعرِّيه صلى الله عليه وسلم وأنه فى صغره وأنه أمر بالستر قال السُّهيلى وتبعه ابن كثير وأبو الفتح والحافظ : إن صحَّ حُمل على أن هذا الأمر كان مرتين مرة فى حال صِغَره ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة[3] . واستبعد ذلك مُغَلْطَاى فى كتابيه «الزَّهْر» و «دلائل النبوّة» بأنه صلى الله عليه وسلم إذا نُهى عن شىء مرة لا يعود إليه ثانيا بوجه من الوجوه . وأيضا فى حديث العباس ـ أى الآتى فى باب بناء البيت ـ أنه لأول ما نودى .

وأما ما رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق النضر بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان أبو طالب يعالج زمزمَ وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام يأْخذ إزاره ويتَّقى به الحجارة فَغُشى عليه ، فلما أفاق سأله أبو طالب فقال : أتانى آتٍ عليه ثيابٌ بِيض فقال لى : استتر فكان أول شىء رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة أن قيل له استتر وهو غلام . قال : فما رُئيت عورته من يومئذ[4] . فقد قال الحافظ فى الفتح : إن النضر ضعيف وقد خَبط فى إسناده وفى مَتْنه

---

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة البقرة .
وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ١٥١ .
(٢) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى باب ٣ . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٢ ـ ٢٥٤ .
(٣) سيرة ابن كثير ١/٢٥١ .
(٤) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٤٥ .

فإنه جعل القصة فى معالجة زمزم ولم يذكر العباس وقد قدمنا أن عكرمة والحكم بن أبان روَيا القصة عن ابن عباس عن أبيه فى قصة بناء البيت .

* * *

الثانى : روى أبو يَعْلى وابن عَدى والبيهقى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مَشَاهدهم فسمع ملكَيْن خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام قُبَيْل ؟ فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم[1] .

وقول الملكين : وإنما عَهْده باستلام الأصنام قال الطبرانى والبيهقى : يعنى أنه شهد مع من استلمها . والمراد بالمشاهد التى شهدها مشاهد الحلْف ونحوها لا مشاهد استلام الأصنام .

وقال الحافظ فى المطالب العالية : هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبى شَيْبة فبالَغوا[2] ، والمنكَر منه قوله عن الملك : «عهده باستلام الأصنام» فإن ظاهره أنه باشَر الاستلامَ وليس ذلك مرادا ، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم . انتهى .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق .

مُلَاحيًا : مخاصِما لأحد ولا سابًّا له .

أَكْثَم : بثاء مثلثة . رَكين : أى له أركان عالية ، أراد بذلك شدة قومه وركن الشىء جانبه .

قامطة : أى جامعة . لابِطة بمثناة تحتية مكسورة وطاء مهملة : أى لاصقة لازمة .

يَنْعِق بهم : بكسر العين المهملة أى يصيح .

المَرْتَع . بفتح الميم : مكان الخصب والسعة .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٢٥٣ .

(٢) قال ابن كثير : أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبى شيبة حتى قال الإمام أحمد فيه : لم يكن أخوه يتلفظ بشىء من هذا .

مَرِيع : أى كثير النماء والزيادة . وِرْدٌ سريع : مجيءُ قريب .

اخْرَوْرط . بخاءٍ معجمة فراءٍ فواو ساكنة فراءٍ فطاءٍ مهملة : أى مال إليه وتبعه .

احْرَوْرَف . عنه : بحاءٍ فراءٍ مفتوحة مهملتين فواو ساكنة فراءٍ ففاءٍ أى عَدل عنه .

أَرْدَاه : أهلكه . رأيتُنى ، بضم التاء : أى رأيت نفسى . السَّمَر : الحديث بالليل .

غِنَاء بكسر الغين المعجمة وبالمد : معروف .

العَزْف قال فى الصحاح : المعازف الملاهى والعازف اللاعب بها والمغنِّى ، وقد عزَف عَزْفا .

الغَرابيل : جمع غُرْبال والمراد به هنا الدف سمى بذلك لأنه يشبه الغربال فى استدارته.

سفح الجبل بالسين ، وبالصاد أجود ، مَضْجعه[1] . بُوَانة بضَم الباءِ الموحدة وتفتح ثم واو مخففة وبعد الألف نون مفتوحة ثم تاء تأنيث .

النُّصب : الأصنام التى كانوا يذبحون عليها الذبائح تقرُّبا لها .

الحُمْس . يقال حَمِس بالكسر فهو أَحْمَس أى شديد صُلْب فى الدِّين والقتال ، ومنه حُمْس قريش ومن ولدت وكنانة وجَدِيلة قيس .

قُطُن البيت : أى سُكَّانه جمع قاطِن[2] .

---

(١) كذا بالأصول . وفى القاموس : السفح عرض الجبل المضطجع أو أصله أو أسفله .

(٢) كذا والذى فى القاموس : والقطن : أهل الدار للواحد والجمع ويجمع على قطن . وأما جمع قاطن فهو قطان وقاطنة وقطين .

الباب العاشر

فى شهوده صلى الله عليه وسلم حرب الفِجَار

وكان فى شوال . كما قاله الواقدىّ . وقيل فى شعبان كما فى الرَّوْض .

لما بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة أو خمس عشرة فيما قال ابن هشام ، وقال ابن اسحاق : عشرين سنة كان قبل المبعث بعشرين سنة هاجت حَرْب الفِجَار بين قريش ومن معها من كِنَانة وبين قيس عَيْلان . وكان الذى هاجها أن عروة الرحّال ابن عتبة أجار لطيمةً للنعمان بن المنذر فقال البرّاض بن قيس أحد بنى ضَمْرة : أتُجيرها على كِنَانة ؟ قال : نعم وعلى الخَلْق . فخرج فيها عروة الرحّال وخرج البرّاض يطلب غفلته حتى إذا كان بتَيْمَن ذى طِلَال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البرّاض فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سمى الفِجَار . فأتى آتٍ قريشا فقال : إن البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعُكَاظ . فارتحلوا وهَوازن لا تشعر ، ثم بلَغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرَم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوزان ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما ، وكان لكنانة وقيس فيه ستة أيام مذكورة : شَمْطة ويوم العَبْلاء وهما عند عُكَاظ ، ويوم الشَّرَب وهو أعظمها يومًا وفيه قيَّد أبو سفيان وأمية وحرب أبناءُ أمية أنفسهم كى لا يفرّوا فسُمُّوا العَنَابِس . ويوم الحُرَيْرة عند نخلة انهزمت قريش إلا بنى نصر منهم فإنهم ثبتوا وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم[1]

وَرَوى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد حضرتُه يعنى حرب الفجار مع عمومتى ورمَيْت فيه بأسهم وما أحبّ أنى لم أكن فعلته وكنت أُنَبِّل على أعمامى[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٨٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/١٢٨ (ط بيروت) .

وكان آخر أيام الفِجَار أن هوزان وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءُوا للموعد ، وكان حرب بن أُمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عُتْبة بن ربيعة يتيمًا فى حِجْره فضربه حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفَّين ينادى : يا معشر مُضَر عَلَام تَفَانَوْن ؟ فقالت له هوزان : ما تدعو إليه ؟ قال: الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا . قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : ندفع إليكم رُهُناً منا . قالوا : ومن لنا بهذا ، قال أنا : قالوا ، ومن أنت : قال : أنا عُتْبة بن ربيعة ابن عبد شمس . فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا إلى هوزان أربعين رجلا فيهم حكيم بن حِزَام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفَوْا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار .

وكان يقال : لم يسُدْ من قريش مُمْلق يعني فقيرا غير عُتْبة وأبى طالب فإنهما سادا بغير مال .

تنبيه : ذكر السهيلى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فى حرب الفجار . وقد تقدم عن ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيه .

[تفسير الغريب]

الفِجَار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة ، كالقِتال بمعنى المقاتلة ، وذلك أنه كان قتالهم فى الشهر الحرام ففَجروا فيه جميعا فسمى الفِجَار . وكانت للعرب فِجَارات أربع ذكرها المسعودى .

عَيْلان : بفتح العين المهملة .

الرَّحَّال : براء مفتوحة فحاء مهملة مشددة .

البَرَّاض : بفتح الباء الموحدة والراء المشددة وآخره ضاد معجمة ساقطة .

تَيْمَن : بفتح المثناة الفوقية بعدها مثناة تحتية فميم فنون .

يوم شَمْطة : بشين معجمة مفتوحة فميم ساكنة فظاء معجمة .

يوم العَبْلاء : بعين مهملة مفتوحة فباء موحدة ساكنة فلام فألف ممدودة .

يوم شَرَب : بشين معجمة فراء مفتوحتين فباء موحدة .

الحُرَيْرة : بحاء مهملة تصغير حُرّة .

الأربعة أسماء أماكن .

العَنَابس : بعين مهملة فنون مخففة فألف فباء موحدة مكسورة فسين مهملة جمع عَنْبس وهو الأسد . قال فى الصِّحَاح : العنابيس من قريش : أولاد أُمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة حَرْب وأبو حرب وسُفْيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو ، وسُمُّوا بالأسد والباقون يقال لهم الأغْياص بعين مهملة فمثناه تحتية. فصاد مهملة وهم أولاد أُمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة : العاص وأبو العاص والعِيص وأبو العيص .

نخلة بلفظ واحدة شجر النخل: موضع قريب من مكة . فى حِجْره : بكسر الحاء وفتحها .

ضَنَّ به : بضاد معجمة مفتوحة ساقطة فنون مشددة : بخل به .

أشفق : خاف .

يشعر : يعلم .

تَفانَوْن : بمثناة فوقية حذف منه أخرى مأخوذ من الفَنَاء .

رُهُنا بضم الهاء والراء .

الباب الحادى عشر

فى شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفُضُول

كان هذا الحلف فى ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة مُنْصَرف قريش من الفِجَار ولرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عشرون سنة . وكان أكرم حِلْف سُمع به وأشْرفَه فى العرب .

وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سببه أن رجلا من زَبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائِل السَّهْمى وكان ذا قَدْر وشرف بمكة فحبَس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدىُّ الأحلافَ عبد الدار ومخزوما وجُمَحا وسَهْما فأَبوا أن يعينوا الزبيدى على العاصى بن وائِل وزبَروه ونَهروه فلما رأى الزبيدى الشرَّ رَقى على أبى قُبَيْس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته :

يا آل فِهْر لمظلومٍ بضاعتَه ... ببَطْن مكة نائى الدار والنفرِ
ومُحْرم أشعث لم يقض عُمْرتَـه ... يا لَلرجال وبين الحِجْر والحجَـرِ
إنَّ الحرام لمَن تمَّت مـكارمـه ... ولا حرام لثوب الفاجر الغـدرِ

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ألهذا[1] مَتْرك ؟ فاجتمعت هاشم وزُهْرة وتَيْم فى دار عبد الله بن جُدْعان فصنع لهم طعاما فحالفوا فى القعدة فى شهر حرام قياما فتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بَلَّ بَحْر صوفة وما رَسَا حِرَاء وثَبِير مكانهما ، وعلى التآسى فى المعاش . فسمَّت قريش ذلك الحلف حِلف الفُضول وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فُضولٍ من الأمر . ثم مشوا إلى العاصى بن وائِل . فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها إليه[2] .

---

(١) كذا والرواية عند ابن هشام وابن كثير : ما لهذا مترك .
(٢) سيرة ابن كثير ١/٢٥٧ .

وروى ابن اسحاق عن طلحة بن عبيد الله وابن سعد والبيهقى عن جبير بن مطعم رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفًا ما أُحبُّ أن لى به حُمر النَّعم ولو دُعِى به فى الإسلام لأَجبتُ »[1]

وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما شهدتُ حلفا لقريش إلا حِلْف المطيَّبين شهدته مع عمومتى وما أحب أن لى به حمر النعم وأنى كنت نقَضْتُه .

قال بعض رواته : والمطيبون[2] هاشم وزُهرة ومَخْزوم .

قال البيهقى : كذا روى هذا التفسير مُدْرَجا ولا أدرى من قاله . وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُدْرك حلف المطيَّبين .

الحِلْف : بكسر الحاء المهملة وإسكان اللام وهو العهد والبيعة .

الفضول : اختلفوا فيه فقيل سمى بذلك لأنه كان قد سبق قريشا فيما قاله ابن قتيبة إلى مثل هذا الحلف جُرْهم فى الزمن الأول فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم أحدهم : الفضل بن فَضالة . والثانى : الفضل بن وَدَاعة . والثالث : الفضل بن الحارث . هذا قول القُتَبى . وقال الزبير : الفضل بن شراعة والفضل بن قضاعة فلما أشْبه حلف الآخر فِعْل هؤلاء الجُرْهميين سمى حلف الفضول ، والفضول جمع فَضْل وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم .

قال السهيلى : وهذا الذى قاله ابن قتيبة حَسَنٌ ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه . روى الحميدى عن سفيان عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن أبى بكر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفاً لو دُعيت به فى الإسلام لأَجَبْتُ تحالفوا أن يردُّوا الفضولَ على أهلها ولا يُعزَّ ظالم على مظلوم .

قلت : الظاهر أن قوله : تحَالفوا إلى آخره ـ مُدْرَج من بعض رواته وليس بمرفوع ، فلا دلالة حينئذ فيه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٣٤ .

(٢) بالأصول : والمطيبين .

وقيل : إنما سمى حلفَ الفضول لأنهم أخرجوا فضول أموالهم للأضياف .

مُنْصَرف : بفتح الراء .

جُدْعان : بضم الجيم وإسكان الدال فعين مهملتين فألف فنون .

ما بَلّ بحرصوفةً : يعنى الأبدَ ، أى ما قام فى البحر ماء ولو قطرة .

حُمْر النعَم : بحاء مضمومة فميم ساكنة والنَّعم هنا : الإبل خاصة .

الباب الثانى عشر

فى رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبيًّا إلا راعى غنم» . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : «وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط» .

رواه ابن سعد والبخارى وابن ماجه(١) .

وعن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكَبَاث ، فقال : عليكم بالأسود منه فإنه أطْيَبه فإنى كنت أجْنيه إذ كنت أرعى الغنم. قلنا : وكنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال : نعم . وما من نبى إلا وقد رعاها .

رواه الإمام أحمد وابن سعد والشيخان(٢) .

وروى أبو داود الطيالسى والبغوى وابن منده وأبو نُعَيم وابن عساكر عن بشر بن حرب البصْرى مرسلا ، والإمام أحمد وعَبْد بن حُمَيْد عن أبى سعيد رضى الله عنه قالا : افتخر أهلُ الإبل والشاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعث موسى وهو راعى غنم وبُعث داود وهو راعى غنم ، وبُعثت وأنا راعى غنم لأهلى بأجْيَاد(٣) » .

تَنْبيهَاتٌ

الأول : قال العلماء رضى الله تعالى عنهم : الحكمة فى إلهام رَعْى الغنم قبل النبوة : أن يحصل لهم التمرُّن برَعْيها على ماسيكلَّفونه من القيام بأمر أمتهم ، ولأن فى مخالطتها مايحصِّل

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٢٥ . (ط بيروت) . وسنن ابن ماجه كتاب التجارات باب ٥ . وصحيح البخارى كتاب الإجـارة باب ٢ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأطعمة باب ٧٠ . وكتاب الأنبياء باب ٢٩ .
وصحيح مسلم كتاب الأشربة حديث رقم ١٦٥ . وطبقات ابن سعد ١/١٢٦ .

(٣) مسند أحمد ٣/٤٢ ، ٩٦ .

الحِلْم والشفقة ؛ لأنهم إذا صبروا على رَعْيها وجمعها بعد تفرقها فى المرعى ، ونقلها من مَسْرح إلى مسرح ، ودَفع عدوها من سَبع وغيره كالسارق ، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهَدة أَلِفوا من ذلك الصبر على الأُمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها ، فجبروا كَسِيرها[1] ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها ، فيكون تحمّلهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلِّفوا القيام بذلك من أول وهْلة لما تحصَّل لهم من التدريج على ذلك برعى الغنم ، وخُصّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها فى العادة المألوفة ومع أكثرية تفرقها فهى أسرع انقياداً من غيرها . وفى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم لذلك بعد أن عَلِم أنه أكرم الخلق على الله تعالى ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتّصريح بمِنّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين .

الثانى : فى فتاوى الشيخ رحمه الله تعالى نقلاً عن الحنفية والمالكية والحنابلة ومقتضى مذهب الشافعى : أنه يعزَّر من قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم راعى غنم . إذا عيَّر برعيها .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق .

رِعْيته بكسر الراء المراد : الهيئة . والغنَم : منصوب مفعول المصدر وهو رِعْيته .

على قراريط : قال الحافظ : على بمعنى الباء ، وهى للسببية . وقيل إنها للظرفية كما سيتبين . وفى رواية ابن ماجه ، عن سُوَيْد بن سعيد ، والإسماعيلى عن حسّان بن محمد كلاهما عن عمرو بن يحيى : كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط قال سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط . يعنى القيراط الذى هو جزء من الدينار أو الدرهم .

وقال الإمام أبو إسحاق الحَرْبى : قراريط : اسم موضع بمكة ولم يرد القراريط من الفضة . وصوَّبه ابنُ الجوزى[2] تبعا لابن ناصر وخطَّأَ سُوَيداً فى تفسيره .

قال الحافظ : لكن رجَّح الأول بأن أهل مكة لا يعرفون بها مكانا يقال له قراريط .

---

(١) ص ، ط : كسرها .

(٢) الوفا ١/١٤٢ .

وزعم بعضهم أن فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الرواية الأخرى : « وبعثت وأنا راعى غنم بأَجْيَاد » رَدّ لتأويل سُوَيد لأنه ما كان يرعى بالأجرة لأهله ، فتعيَّن أنه أراد المكان فعبر تارة بأجياد وتارة بقراريط .

وليس الردّ بجيّد إذ لامانع من الجمع بأن يرعى لأهله بغير أجرة ولغيرهم بأجرة . والمراد بقوله : « أهلى »أهل مكة فيتحد الخَبَران ويكون فى أحد الحديثين بيّن الأجرة وفى الآخر بيّن المكان فلا تنافى فى ذلك .

وقال بعضهم : لم تكن العرب تعرف القراريط الذى هو من النقد ، ولذلك جاء فى الصحيح : « ستفتحون أرضًا يذْكر فيها القيراط[1] » وليس الاستدلال لما ذكر من نفى المعرفة بواضح . انتهى كلام الحافظ .

قلت : تأويل سعيد هو الذى فهمه الإمام البخارى وهو الأجرة ، ولذا ذكره فى الإجارة .

الكَبَاث ـ بكاف فباء موحدة مفتوحتين فألف فثاء مثلثة : النَّضِيج من ثَمَر الأراك .

جِيَاد : موضع بأسفل مكة معروف من شِعَابها ، ذكَره بغير هَمز البكْرىُّ فى معجمه .

أجياد : بفتح أوله وإسكان ثانيه وبالمثناة التحية والدال المهملة : كأنه جمع جيِّد ، موضع من بطحاء مكة من منازل قريش ، فإذن يقال له جِيَاد وأجياد بالهمز وعدمه .

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

الباب الثالث عشر

فى سفره صلى الله عليه وسلم مرة ثانية إلى الشام

قال ابن إسحاق : وله من العمر خمس وعشرون سنة .

زاد غيره : لأربع عشرة ليلة من ذى الحجة .

وروى ابن سعد وابن السَّكَن وأبو نُعَيم عن نفيسة بنت مُنْيَة قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأمين لِمَا تكامَل فيه من خصال الخير ، قال له أبوطالب : يابن أخى أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا وألحَّتْ علينا سِنُون مُنْكرة وليست لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عِيرُ قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عيراتها فيتَّجرون لها فى مالها ويصيبون منافع ، فلوجئتها وعرضتَ نفسك عليها لأسرعتْ إليك وفضَّلتك على غيرك، لِمَا يبلغها عنك من طهارتك وإن كنت أكره[1] أن تأتى الشامَ ، وأخاف عليك من يهود ، ولكن لا تجد من ذلك بُدًّا .

وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فيكون عِيرها كعامة عير قريش ، وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم الأموال مضارِبَةً ، وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن تاجرا من قريش فليس عندهم[2] بشىء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلعلها ترسل إلىّ فى ذلك . فقال أبو طالب : إنى أخاف أن تولِّى غيرك فتطلب أمرا مُدْبرا . فافترقا .

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقَبْل ذلك ما كان من صدق حديثه وعِظَم أمانته وكرم أخلاقه ؛ فقالت : ماعلمتُ أنه يريد هذا .

---

(١) ص، ط : لأكره . وما أثبته من ت ، م .

(٢) ت م : لم يكن عندهم .

ثم أرسلت إليه فقالت : إنه دعانى إلى البعث إليك ما بلغنى من صِدْق حديثك وعِظَم أمانتك وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضِعْف ما أعطى رجلا من قومك .

ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لقى عمَّه أبا طالب فذكر له ذلك فقال : إن هذا لَرزقٌ ساقه الله إليك .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غلامها مَيْسرة ، وقالت خديجة لميسرة : لاتَعْص له أمرا ولا تخالف له رأيا .

فخرج هو وميسرة وعليه غَمامة تظله وجعل عمومته يُوصون به أهل العِير .

فخرج حتى قدم الشام فنزلا فى سوق بُصْرَى فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له نَسْطورا . فاطَّلع الراهب إلى مَيْسَرة ـ وكان يعرفه ـ فقال : يامیسرة من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال ميسرة : رجل من قريش . فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلا نبى ، أفى عينيه حُمْرة ؟ قال ميسرة : نعم لا تفارقه . فقال الراهب : هو هو ، وهو آخر الأنبياء ، ويا ليت أنى أدركه حيث يُؤْمر بالخروج .

وعند أبى سعد النيسابورى فى الشَّرف : فلما رأى الغمامة فَزِع وقال : ما أنتم ؟ قال : ميسرة غلام خديجة ، فدنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم سرًّا من ميسرة وقبَّل رأسه وقدميه وقال : آمنت بك وأنا أشهد أنك الذى ذكره الله فى التوراة . ثم قال : يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها خلا خَصْلة واحدة فأوضحْ لى عن كتفك . فأوضح له ، فإذا هو بخاتم النبوة يتلألأ ، فأقبل عليه يقبِّله ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله النبى الأمى الذى بشَّر بك عيسى بن مريم فإنه قال : لا يَنْزل بعدى تحت هذه الشجرة إلا النبى الأمى الهاشمى العربى المكى صاحب الحَوْض والشفاعة وصاحب لواء الحمْد . انتهى .

فوعى ميسرة ذلك .

ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بُصْرى فباع سلعته التى خرج بها واشترى ، فكان بينه وبين رجل اختلافٌ فى سلعة فقال الرجل : احلف باللات والعزى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حلفتُ بهما قط . فقال الرجل : القولُ قولك .

ثم قال لميسرة وخلَا به : يا ميسرة هذا نبيُّ هذه الأُمة والذى نفسى بيده إنه لهو تجده أحبارُنا مَنْعوتاً فى كتبهم ، فوعى ميسرة ذلك .

ثم انصرف أهلُ العير جميعا ، وكان ميسرة يرى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى مَلَكين يُظِلاَّنه من الشمس وهو على بعيره . وكان الله تعالى قد ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة من ميسرة ؛ فكأنه عَبْدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند أبى سَعْد فى «الشرف» أنهم باعوا متاعهم وربحوا ربحا لم يربحوا مثله قط ، فقال ميسرة : يا محمد اتَّجَرْنا لخديجة أربعين سنة ما رأيتُ ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك .

فلما كانوا بمَرّ الظهران قال ميسرة للنبى صلى الله عليه وسلم : هل لك أن تسبقنى إلى خديجة فتخبرها بالذى جرى لعلها تزيدك كَرْة إلى بكرتيك . فركب النبى صلى الله عليه وسلم قعودا أحمر فتقدم حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى عُلِّية[1] لها معها نساء فيهن نفيسة بنت مُنْيَة فرأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يُظِلاَّن عليه فأَرتْه نساءها فعجِبن[2] لذلك .

ودخل عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فخبَّرها بما ربحوا فسُرَّت بذلك وقالت : أين ميسرة ؟ قال : خلَّفته فى البادية . قالت : عجِّل إليه ليَعجَل بالإقبال . وإنما أرادت أن تعلم أهو الذى رأت أم غيره . فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الأُولى فاستيقنت أنه هو ، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت وأخبرها بقول الراهب نَسْطورا وبقول الآخر الذى خالفه فى البَيع .

قال ابن إسحاق : فلما رأت خديجة أن تجارتها قد رَبحت أضْعَفتْ له ماسَمَّت[3] .

وكانت قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وكان ابنَ عمها وكان

---

(١) العليـة : الغرفة .

(٢) ت م : فتعجبن .

(٣) حديث سفر النبى صلى الله عليه وسلم إلى الشام فى تجارة خديجة رواه ابن سعد فى الطبقات ١/١٢٩ (ط بيروت) وابن هشام فى السيرة ١/١٨٨ (ط الحلبى) وابن كثير فى السيرة ١/٢٦٢ . والكلاعى فى الاكتفا ١/١٩٦ .

نصرانيا قد تتبَّع الكتب وعلم من علم الناس ، ما ذكَر لها غلامُها مَيسرة من قول الراهب وما كان يُرَى منه إذ كان الملكان يُظِلَّانه ، فقال ورقة : ياخديجة إن محمدا لنبيُّ هذه الأُمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأُمة نبِيّ يُنتظر ، هذا زمانه . أو كما قال :

وجعل ورقة يستبطىء الأمر[1] وله فى ذلك أشعار منها مارواه يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق :

أَتَبْكِـرُ أَمْ أنت العشيـة رائِحُ ... وفى الصدر من إضمارك الحزنَ فادِحُ
لِفُرْقـة قوم لا أحبُّ فَراقَهم ... كأنك عنهم بعدَ يومين نازحُ
وأخبار صـدق خبَّرت عن محمد ... يخبِّرهـا عنـه إذا غـاب ناصحُ
فَتـاكِ الذى وجِّهت ياخير حُـرَّة ... بغَوْر وبالنجدين حيثُ الصَّحَاصح
إلى سوق بُصْرى فى الركاب التى غدتْ ... وهُنَّ من الأحمال قُعْصٌ دَوالحُ
فخبَّرنا عن كـل حَبْـر بعِلْمـه ... ولِلحقِّ أبـوابٌ لهـن مفاتحُ
بأن ابن عبـد الله أحمد مُرسَل ... إلى كل من ضُمَّت عليه الأباطحُ
وظنِّى به أنْ سوف يُبْعث صادقـا ... كما أُرسِل العَبْدان هودٌ وصالحُ
وموسى وإبراهيم حتى يُرَى لـه ... بَهـاءٌ ومَنْشور من الذِّكر واضحُ
ويَتْبعـه حَيَّـا لـؤىٍّ بن غالب ... شَبابهُم والأَشْيَبُـون الجَحاجِـحُ
فإن أَبْق حتى يـدرك النـاسَ أمرُه ... فإنى بـه مُسْتبشر الـودِّ فـارِحُ
وإلا فإنى يا خديجـة فاعلمى ... عن أرضك[2] فى الأرض العريضة نازح

وقال أيضا :

لجَجْتُ وكنت فى الذكرى لَجُوجَا ... لهـمٍّ طالمـا بعث النَّشيجـا
ووصفٍ من خديجـة بعـدَ وَصْف ... فقـد طال انتظارى يا خَدِيجَـا
ببطن المكَّتَيْن على رجـائى ... حـديثك أن أرى منـه خروجَـا
بمـا أخبرتنـا من قـول قَسٍّ ... من الرهبان أكـره أن يَعُـوجَـا

---

(١) ت م ، : هذا الأمر .
(٢) ط : عن الدار .

بأَنَّ محمـــداً سيَسُـــودُ قـــوماً ويَخْصِم من يكون لـــه حَجِيجَـا
ويُظْهر فى البلاد ضيـــاء نُـــورٍ يُقِيم بـــه البرِيَّـــة أن تَمُوجـا
فيَلْقَى من يحاربُـــه خَســـاراً ويلقى من يُسَالمـــه فُلوجَـا
فيالَيْتِى إذا ما كان ذاكم شهـدتُ فكنت أَوَّلهـم وُلوجَـا
ولـوجًا فى الذى كرهتْ قريشٌ ولـو عجَّت بمكتهـا عَجِيجـا
أَرجِّى بالذى كرهـوا جميعـا إلى ذى العرش إن سفلـوا عُروجَـا
وهل أَمـرُ السفاهـة غير كُفْرٍ بمن يختار من سَمك البُـروجَـا
فإن يَبْقـوا وأَبْق تكن أُمـورٌ يضجُّ الـكافـرون لهـا ضجيجـا
وإنْ أَهْلِك فكلُّ فتى سيلقى من الأَقـدار مَتْلَفـةً خروجَـا[1]

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قول الراهب : «مانزل تحت هذه الشجرة إلانبيٌّ » قال السهيلى : يريد مانزل تحتها هذه الساعة قط إلانبى . ولم يرد مانزل تحتها قط إلانبى لبُعْد العهد بالأَنبياءِ قبلَ ذلك، وإن كان فى لفظ الخبر قط فقد يُتَكلم بها على جهة التوكيد للنفى ، والشجرة لا تعمِّر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يُدْرَى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى أو غيره من الأَنبياءِ ، ويبعد فى العادة أيضا أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجىء نبى ، إلا أن تصح رواية من قال : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم . وهى رواية عن غير ابن إسحاق فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية . انتهى . وأقره فى «الزَّهْر» و«النُّور».

وتعقبه الإمام العلامة عز الدين ابن جَماعة بأَنه مجرد استبعاد لادلالة فيه على امتناع ولا إحالة ، وبأَنه استبعاد يُضْعفه معارضةُ ظاهر الخبر وكون متعلَّقات الأَنبياء مظنة خَرْق العادة ، فلا يكون حينئذ ذلك من طول البقاء وصرف غير الأَنبياء عن النزول تحتها ببعيد ، وذلك واضح فتفَطَّنْ .

قلت : ويؤيد ماذكره الشيخ عز الدين ماسبق نَقْله عن أَبى سعد ، وما فى أَسباب

(١) القصيدتان على ما يظهر مصنوعتان متكلفتان ، وقد رواهما عن إبن إسحق – من رواية يونس بن بكير – الكلاعى فى الاكتفا ٢٠١/١ . وابن كثير فى سيرته ٢٦٨/١ ، ٢٦٩ .

النزول للإمام الواحدىّ أن أبا بكر رضى الله عنه صحب النبىّ صلى الله عليه وسلم فى سفره إلى الشام فنزلُوا مَنْزلا فيه سِدْرة ، فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظِلِّها وذهب أبوبكر يسأل عن الدِّين ، فقال له الراهب : الرجل الذى فى ظل الشجرة من هو ؟ . قال : محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب . قال : هذا والله نبىّ ، ما استظل تحتها أحدٌ بعدَ عيسى بن مريم إلا محمد ابن عبد الله[1] .

وذكر العلماء بالنبات أن الزيتون قد تُعَمَّر الشجرة منه ثلاث آلاف سنة وما يقارب ذلك والله تعالى أعلم .

الثانى : قال فى « النور » لم أرَ لميسرة ذِكْرا فى كتب الصحابة ، والظاهر أنه توفى قبل البعثة ولو أدرك النبىَّ صلى الله عليه وسلم لأَسْلم والله تعالى أعلم .

قلت : وذكره الحافظ فى الإصابة فى القسم الأول وقال : لم أقف على رواية صحيحة[2] بأنه بقى إلى البعثة فكتبته على الاحتمال .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق .

نفيسة : صحابية رضى الله تعالى عنها . مُنْية بميم مضمومة فنون ساكنة فمثناة تحتية فتاء تأنيث .

ألحَّت علينا : أقبلت ودامت . مادة الشىء : ما يُمدّه ويقوِّيه .

السِّنون : القحوط .

عِيراتها : جمع عير : الإبل التى تحمل المِيرة .

المُضَارَبة : والمقارضة والقِرَاض بمعنى واحد . سمِّيت مُضَاربة لأن كل واحد منهما يَضْرب فى الربح بسَهْم . وقيل غير ذلك .

تِجَار ـ بكسر المثناة الفوقية وتخفيف الجيم ويجوز ضم التاء وتشديد الجيم ، وهما

---

(١) أسباب النزول للواحدى صفحة ٢٥٤ (ط الحلبى) .

(٢) ت ، م صريحة .

لغتان : جمع تاجر . ويقال أيضا : تَجْر كصاحب وصحب . والتجارة : تقليب المال وتصريفه لأجل النماء .

المحاورة : المجاذبة ، والتحاور : التجاذب .

نَسْطورا – بنون مفتوحة فسين ساكنة فطاء مضمومة مهملتين . قال فى النور : وألفه مقصورة كذا أحفظه .

مَرّ الظَّهران : بفتح الميم وتشديد الراء وظاء معجمة مُثَالة بلفظ تثنية الظَّهْر : واد بين مكة والمدينة وتسمِّيه العامة بطنَ مَرْو .

فى ساعة الظَّهِيرة : هى شدة الحر نصفَ النهار ، ولا يقال فى الشتاء ظهيرة . والجمع ظهائر .

إضمارك : إخفاؤك .

الحزنَ : بفتح النون مفعول المصدر وهو إضمارك . فادح – بالفاء والدال والحاء المهملتين أى ثقيل وفى نسخة من الرَّوْض والعيون : بالقاف . قال فى الصِّحاح : القادِح الصَّدْع فى العود .

نازح : بعيد . وأخبارِ : بفتح الهمزة وخفض الراء معطوف على فرقة وهو جمع خبر .

خَبَّرت : بفتح الخاء المعجمة مبنى للفاعل : فَتَاك : أى غلامك مَيْسرة .

الغَوْر : المطمئن من الأرض . النَّجْد : المرتفع منها .

الصَّحاصح : بصادين وحائين مهملات : جمع صَحْصَح وهو المكان المستوى .

الرِّكاب : بكسر الراء المشددة : الإبل التى يسار عليها ، الواحدة راحلة لا واحد لها من لفظها ، والجمع الرَّكْب مثل الكَتْب .

دوالج : بالجيم جمع دالج : السائر أول الليل .

الأباطح : جمع أبطَح .

مَسِيل : مُتَّسع فيه دِقَاق الحصى .

كما أُرسِل : بالبناء للمفعول .

البهاء بالمـد : الحسْن . الأَشْيَبُون : بشين معجمة فمثناة تحتية فموحدة جمع أَشْيب وهو المبيضّ الرأس .

الجحَاجح ـ بجيم فحاء مهملة فألف فجيم مهملة جمع جِحْجاج وهو السيد .

النَّشِيج ـ بنون مفتوحة فشين معجمة فمثناة تحتية فجيم : البكاء مع صوت .

القُسّ ـ بضم القاف ـ واحد القِسِّيسين وهم عُبّاد النصارى .

وقوله ببطن المكتين : ثنّى مكة وهى واحدة لأن لها بِطَاحا وظَواهر ، على أن للعرب مذهباً فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة ، ومقصدهم فى هذه الإشارة إلى جانبَىْ كلّ بلدة والإشارة إلى أعلى البلد وأسفله فيجعلونها اثنتين على هذا المغزى .

تموج : أى يضرب بعضها فى بعض .

الفُلُوج ـ بفاء فلام مضمومتين آخره جيم : الظهور على الخصم .

عجّت : ارتفعت أصواتها . العُروج : الصعود والعلو .

سَمَكَ ـ بفتحات : رَفَع .

يضجّ ـ بمثناة تحتية فضاد معجمة فجيم : أى يصيح .

مَتْلفة ـ بميم مفتوحة فمثناة فوقية فلام ففاء مفتوحتين أى مَهْلكة .

الخَروج ـ بخاء معجمة مفتوحة : أى الكثيرة التصرّف .

الباب الرابع عشر

فى نكاحه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها

وسبب ذلك ما حدَّثها به غلامها مَيْسرة وما رأته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق فى المبتدأ قال : كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمَعْن يومًا فيه فجاءهن يهودىّ فقال : يا معشر نساء قريش إنه يوشك فيكن نبىّ فأيكن استطاعت أن تكون فراشًا له فلتفعل . فحصَبه النساء وقبَّحنه وأغلظن له . وأغضت خديجة على قوله ولم تَعْرض فيما عرض فيه النساء ووقَر ذلك فى نفسها ، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هى قالت : إن كان ما قاله اليهودى حقا ما ذلك إلا هذا .

واختلفوا فى سبب الخطبة . فعند أبى سعد النيسابورى فى « الشَّرَف » أن خديجة رضى الله تعالى عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : اذهب إلى عمك فقل له : عجِّل إلينا بالغداة . فلما جاء قالت له : يا أبا طالب ادخل على عمرو عمى فكلِّمه يزوِّجْنى من ابن أخيك محمد بن عبد الله . فقال أبو طالب : يا خديجة لا تستهزئى . فقالت : هذا صنع الله . فقام أبو طالب مع عشرة من قومه . فذكر الحديث .

وعند الزهرى فى سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ليتحدث عندها فلما قام من عندها جاءت امرأةٌ فقالت : خاطبًا يا محمد ؟ فقال : كلا . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْئا لها . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبا لخديجه مستحيياً منها .

وعند يعقوب بن سفيان فى تاريخه عن عمار قال : مررت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأخت خديجة فنادتنى فانصرفت إليها ووقف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أمَا لصاحبك هذا من حاجة فى تزويج خديجة ؟ فقال عمار : فأخبرته . فقال : بلى

لَعَمْرى . فذكرت ذلك لها ، فقالت : اغدوا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرةً وألبسوا خديجة حُلَّة . وذكر الحديث .

وعند ابن إسحاق فى المبتدأ أنها قالت له : يامحمد ألاتتزوج ؟ قال : ومن ؟ قالت : أنا قال : ومن لى بك ، أنت أيِّم قريش وأنا يتيم قريش . قالت : اخطبنى . وذكر الحديث

وعنده فى السيرة : فلما استقر عندها ذلك ، أى ما أخبرها به ميسرة وما رأته وكانت امرأة حازمة شريفة لَبِيبة مع ما أراد الله تعالى بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوْسط قريش نسَبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، وكلُّ قومها حريص على نكاحها لو يَقْدر عليه ، عرَضتْ نفسَها على النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون : إنى رغبت فيك لقرابتك وسِطَتك فى قومك وأمانتك وحُسْن خُلقك . فلما قالت له ذلك ذكره لأعمامه . وذكر الحديث .

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت مُنْيَة قالت : كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جَلْدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوسط قريش نسَباً وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكلُّ قومها كان حريصا على نكاحها لو قَدَر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتنى دَسِيسا إلى محمد بعد أن رجع فى عِيرها من الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال : ما بيدى ما أتزوج به . قلت : فإن كُفيتَ ذلك ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تُجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قلت : خديجة . قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : قلت : علىّ . قال : فأنا أفعل . فذهبت فأخبرتها فذكرت الحديث . قالت : فأرسلتْ إليه أن ائت ساعة كذا وكذا . فحضر وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسَد ليزوجها[1] .

وعند ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مع عمه حمزة . وعند النيسابورى فى الشَّرف أن أبا طالب خرج مع عشرة من قومه حتى دخلوا على عمها فخطبها فزوَّجه . فقال عمرو بن أسد : هذا الفَحْل لا يُقْدَع أنْفه .

---

(١) طبقات ابن سعد ١٣١/١ (ط بيروت) .

قال ابن هشام : أَصْدَقها عشرين بَكْرة . وقال البلاذُرىّ والدمياطى : اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا[1] . قال المحب الطبرى : ذَهبًا .

وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره رحمهم الله تعالى أن أبا طالب خطب يومئذ فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزَرْع إسماعيل وضئضىء مَعدّ وعنصر مُضَر ، وجعلنا حَضنة بَيْته وسُوَّاس حَرَمه وجعل لنا بيتا مَحْجُوجا وحرَمًا آمنا وجعلنا حُكَّام الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لايُوزَن به رجلٌ إلا رجح به شرَفاً ونُبْلا وفضلا وعَقْلا وإن كان فى المال قِلاًّ[2] فإن المال ظل زائل وأَمْر حائل وعارية مُسْتَرْجعة ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ، وقد خطب إليكم رغبةً فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق حكمكم عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشًّا .

فقال عمرو بن أسد عمها : هو الفحل لايُقْدَع أنفه . وأنكحها منه . ويقال : إن ورقة هو الذى قاله .

قال ابن إسحاق فى المبتدأ : وكان تزويجه لها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما عقب صفر سنة ست وعشرين .

قال الزهرى : وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لاتَزْهدى خَدِيجُ فى محمد نَجْم يضىء كما أضاء الفَرْقدُ

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ماتقدم من أن عمها هو الذى زوَّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذكره أكثر علماء أهل السير . قال السُّهيلى : وهو الصحيح ، لما رواه الطبرى عن جُبير ابن مُطْعِم وابن عباس وعائشة كلهم قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلد كان قد هلَك قبل الفِجَار . ورجَّحه الواقدى وغلَّط من قال بخلافه .

---

(١) أنساب الأشراف ١/٩٧ . قال : والأوقية أربعون درهما .

(٢) فى الأصول : قل . ولعله تحريف .

وقال عمر بن أبي بكر المؤملىّ : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذى زوّجها منـــه .

وذكر الزهرى فى سيرته أن خُوَيْلداً أباها الذى زوّجها منه وكان قد سَكِر من خمرٍ ، فألقت عليه خديجة حُلَّة وضمّختْه بخَلُوق فلما صحَا من سُكْره قال : ما هذه الحلة والطيب ؟ فقيل : إنك أنكحت محمدا خديجةَ وقد ابتنى بها . فأنكر ذلك ثم رضيه وأمضاه . ووافقه ابن إسحاق على ذلك ، وذكر ابن إسحاق فى آخر كتابه أن عمرو بن خويلد أخاها هو الذى زوّجها . فالله أعلم[1] .

الثانى : اختُلف فى قَدْر عمر خديجة وعُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فقيل : كان عمره صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة . قال فى « الغُرر » وهو الصحيح الذى عليه الجمهور . وقطع به أبو عمرو الحافظ عبد الغنى المقْدِسى .

وقيل : إحدى وعشرين سنة . وقدّمه فى « الإشارة[2] » .

وقيل : تسعا وعشرين وقد راهَق الثلاثين . قاله البَرْقى . وقيل ثلاثين . وقيل سبعا وثلاثين وقيل غير ذلك .

قال فى « الغُرَر[2] » وهذه الأقوال الأربعة ضعيفة ليس لهـا حجة تقوم على ساق .

وقيل : كان عمرها رضى الله عنها أربعين سنة . وصححه فى « الغُرَر » وقيل خمسا وأربعين وقيل ثلاثين وقيل ثمانية وعشرين .

الثالث : ذكر الحافظ يعقوب بن سفيان فى كتاب « ما روى أهلُ الكوفة مخالفاً لأهل المدينة » أن عليًّا ضَمِن المَهْرَ وقال : هذا غلط .

قال فى « الزَّهْر » قد وجدنا ما ينفى الغلط وهو ما ذكره ابن إسحاق فى المبتدَأ : أن عليًّا قال : أرسلنى أبى أنه يضمن لكم المهر فزوِّجوه . قال : فهذا يبيِّن لك معنى ما أُشْكِل على يعقوب ويوضحه .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٢) انظر المقدمة فى الجزء الأول لمعرفة هذه الكتب ومؤلفيها .

وتعقبه الحافظ فى الحاشية بأن عليا كان كما ولِد أو لم يكن حينئذ وُلِد ، على جميع الأقوال فى مقدار عمره . وتعقب فى « الغُرَر » كلام « الزَّهْر » أيضا بأن عليا لم يكن ولد كما سنذكر الخلاف فى سنه حين أسلم . والصحيح أنه ثمانية وعند آخرين عشرة وعلى الأول يكون مولده سنة اثنتين وثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى يكون سنة ثلاثين . فيكون تزوج النبى صلى الله عليه وسلم قبل مولده بسبع سنين أو خمس . والله تعالى أعلم .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق .

جَلْدة ـ بفتح الجيم وإسكان اللام وبالدال المهملة : الصُّلْبة القوية .

الحَزْم : ضَبط الشخص أمرَه وأخْذه بالثقة ، وقد حَزُم الرجل بالضم فهو حازم .

السِّطة ـ بسين مكسورة وطاء مفتوحة مهملتين . قال السهيلى : هى من الوسط مصدر كالعِدَة والزِّنَة ، يعنى من الوعد والوزن . والكلمة أصلها الواو ، والهاء عِوَضٌ عنها .

والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ولكن فى مقامين : فى ذِكْر النَّسَب وفى ذكِر الشهادة . أما النسب : فلأن أوسط القبيلة أعْرَقها وأوْلاها بالصَّميم وأبعدها عن الأطراف وأجْدَر أن لا تضاف إليه الدعوى ، لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب فكان الوسطُ من أجل هذا مدحاً فى النسب لهذا السبب . وأما فى الشهادة فنحو قوله تعالى : «قال أوْسَطهم»[1] « وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسَطاً لتكُونوا شُهَداء على الناس»[2] وكان هذا مَدْحا فى الشهادة لأن غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وسطا كالميزان لا يميل مع أحد بل يصمِّم على الحق تصميما ، لا يَجْذبه هوى ولا تميل به رغبة ولا رهبة من ها هنا ولا من ها هنا فكان وصفه بالوسط غاية فى التزكية والتعديل وظن كثير من الناس أن معنى الوسط الأفضل على الإطلاق ، وقالوا معنى الصلاة الوسطى الفُضْلى ، وليس كذلك بل هو فى جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم كما يقتضى لفظ التوسط فإذا كان وسطا فى السِّمَن فهو بين المُمِخَّة[3] أى السمينة والعَجْفاء . والوسط فى الجمال بين الحسناء

---

(١) سورة ن ٢٨ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(٣) يقال : أمخت الشاة إذا سمنت .

والشُّوْهاء إلى غير ذلك من الأوصاف لا يعطى مدحاً ولا ذما . غير أنهم قد قالوا فى المثل : أثقَل من مُغَنٍّ وسط على الذم لأن المغنى إن كان مجيدا جدا أمْتَع وأطْرَب وإن كان باردا جدا أضحك وألهى وذلك أيضا مما يُمْتع . قال الجاحظ : وإنما الكَرْب الذى يَجْثم على القلوب ويأخذ بالأنفاس الغناء الفاتر الوسط الذى لايُمْتع بصوت[1] ولايُضْحك بلهو .

وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أوْسَط الناس . أى أفضلهم ولايوصف بأنه وسط فى العلم ولافى الجود ولافى غير ذلك إلافى النَّسَب والشهادة .

دَسِيساً : بفتح الدال وسينين مهملتين الأولى مكسورة بينهما مثناة تحتية ساكنة يقال دسَسْت الشىء فى الشىء إذا أخفيته فيه . والدَّسِيس إخفاء المكر .

الضِّئْضِىء بكسر الضادين المعجمتين وبهمزتين الأولى ساكنة ويقال فيه ضِئْضِىء بوزن قنديل وضُؤْضُؤ بوزن هُدْهُد ، وضُؤُضُوء بوزن سُرْسُور ، ويقال أيضا بصادين وسينين مهملتين ، وهو فى الجميع : الأصل والمعدِن .

العنصر : بعين مهملة مضمومة فنون ساكنة وصاد مهملة مضمومة وقد تفتح : الأصل

الفَحْل : بفاء فحاء مهملة : معروف .

لايُقْدَع : بمثناة تحتية مضمومة فقاف ساكنة فدال مفتوحة فعين مهملتين قال فى الصحاح : قدَعْتُ فَرسى أقْدَعه قَدْعا : كَبَحْتُه وكَفَفْته ، فهو فرس قَدُوع أى يحتاج إلى القَدْع ليكفَّ بعضَ جَرْيه . وهذا فحل لايُقْدَع أى لايُضرب أنفُه ، وذلك إذا كان كريما . وفى النهاية : يقال : قدعت الفحلَ وهو أن يكون غير كريم فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضُرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرتدع وينكفّ . ويروى بالراء .

التضمُّخ : التلطخ .

الخَلُوق : بفتح المعجمة طيب يُخْلط بزعفران .

النَّشّ : بنون مفتوحة فشين معجمة : نصف أوقية ، والأوقية أربعون درهما ، فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعى .

---

(١) غير ط : لا يمتع بحسن .

الباب الخامس عشر

فى بنيان قريش الكعبة

وكان بناؤهم لها لأُمور :

الأول : توهينها من الحريق الذى أصابها ، وذلك أن امرأة جَمَّرت الكعبة فطارت شرارة من مجمرها فى ثياب الكعبة فاحترقت . .

الثانى : أن السيل دخلها وصدَّع جدرانها بعد توهينها .

الثالث : أن نفرا سرقوا حُلىَّ الكعبة وغزالين من ذهب . وقيل غزال واحد مُرَصَّع بدرّ وجوهر وكان فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده دُوَيْك مولى لبنى مُلَيْح ابن عمرو من خُزَاعة فقطعت قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْك .

فأَرادوا أن يشدُّوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم اسمه باقوم ـ بباء موحدة فقاف مضمومة ـ وكان بانيا فتحطمت ، فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها وكلموا الرومى باقوم فقدِم معهم فأَخذوا خشبها فأَعدوه لتسقيف الكعبة .

قال الأَموى : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل له آلات البناء من الرخام والخشب والحديد ، سرَّحها قيصر مع باقوم إلى الكنيسة التى أَحرقها الفرس بالحبشة ، فلما بلغت مرساها من جُدَّة بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمتها[1].

قال ابن إسحاق : وكان بمكة رجل قبطى نجار ، فتهيأَ لهم فى أَنفسهم بعضُ ما يصلحها . وكانت حَيَّة عظيمة تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطْرح فيها ما يُهْدى لها فتشرَّفُ على

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١/٢٧٦ .

جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ذلك أنه لا يدنو منها أحدٌ إلا اخزألّت[1] وكشّت وفتحت فاها فكانوا يهابونها .

وحكى السُّهيلي عن رَزِين أن سارقا دخل الكعبة فى أيام جُرْهم ليسرق كنزَها فانهار البئرُ عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا ما كان أخَذه . ثم سكنت البئرَ حَيّة كرأس الجَدْي وبطنها أبيض وظهرها أسود . فأقامت فيه خمسمائة سنة ، وهى التى ذكرها ابن إسحاق .

قال ابنُ عُقْبة : وزعموا أنها إذا أحاطت بالبيت كان رأسها عند ذَنَبها[2] .

فبينا هى ذات يوم تشرَّق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله تعالى طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش عند ذلك إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضِى ما أردنا ، عندنا عامل رَفِيق وعندنا خشَب ، وقد كفانا الله تعالى الحية .

فلما أجمعوا أمرهم فى أمرها[3] وبنيانها قام أبو وَهْب بن عمرو بن عائذ . قال ابن إسحاق : بن عبد بن عمران . وقال ابن هشام : عائذ بن عمران ثم اتفقا فقالا : ابن مخزوم . وهو خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفا فتناول حَجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع إلى مكانه فقال : يا معشر قريش لا تُدْخلوا فى بنيانها من كَسْبكم إلا طيِّبا لا يدخل فيها مهر بَغِىّ ولا بَيْع ربا ولا مَظْلَمة أحد من الناس .

وبعض الناس يَنْحل هذا الكلام إلى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ثم إن قريشا تجزَّأت الكعبةَ فكان شِقّ الباب لبنى عبد مناف وزُهْرة . وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم . وكان ظَهْر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم ، وكان شِقّ الحِجْر لبنى عبد الدار بن قُصَىّ ، ولبنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ ولبنى عدى بن كعب ، وهو الحَطيم[4] . فأمروا بالحجارة تجمع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم .

---

(١) كذا بالأصل ، بالخاء المعجمة ، وسيأتى فى التنبيهات ضبط الكلمة بالحروف ، بالخاء المعجمة أيضاً . وفى ابن هشام : احزألت . بالحاء . وكذا فى سيرة ابن كثير ١/٢٧٧ .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٢٧٥ .

(٣) كذا بالأصل وفى ابن هشام : فى هدمها . وعند ابن كثير : لهدمها .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٩٢ – ١٩٥ (ط الحلبى الثانية) .

روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لمّا بُنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلون الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة . ففعل وكان ذلك قبل أن يُبعث فخرَّ إلى الأرض فطمحت عيناه إلى السماء فقال : إزارى . إزارى . فشدَّه عليه . وفى رواية : فسقط مغشيا عليه فما رئى بعدُ عُرْيانا[1] .

وروى عبد الرزاق والطبرانى والحاكم عن أبى الطُّفَيْل رضى الله عنه قال : كانت الكعبة فى الجاهلية مبنية بالرَّضْم ليس فيها مَدَر ، وكانت قَدْر ما تقتحمها العَناق ، وكانت ثيابها توضع عليها تُسْدل سَدْلا ، وكانت ذات ركنين كهيئة هذه الحلقة [ ] فأقبلت سفينة من الروم حتى إذا كانوا قريبا من جُدة انكسرت فخرجت قريش لتأخذ خشبها فوجدوا الرومىَّ الذى[2] فيها نَجَّارا ، فقدموا به وبالخشب ليبنوا به البيت فكانوا كلما أرادوا القرب منه لهَدْمه بدت لهم حَيَّة فاتحةٌ فاها ، فبعث الله تعالى طيرا أعظم من النَّسْر فغَرز مخالبه فيها فألقاها نحو أَجْيَاد ، فهدمت قريش الكعبة وبنوها بحجارة الوادى فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا ، فبَيْنا النبى صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أجياد وعليه نَمِرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته من صِغَرها فنودى : يا محمد خَمِّر عورتك . فلم يُرَ عريانا بعد ذلك[3] .

قال ابن إسحاق : ثم إن الناس هابوا هدمها وفَرِقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها . فأخذ المعْول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ . ويقال لم نُرع ، اللهم لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربَّص الناسُ تلك الليلة وقالوا : ننتظر فإن أُصيب لم نهدم منها شيئًا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شىء هدمنا فقد رضى الله تعالى ما صنعنا . فأصبح الوليد من ليلته غاديًا إلى عمله فهدم وهدم الناسُ حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم أفْضَوا إلى حجارة خُضْر كالأسنمة آخذ بعضها ببعض ، فأدخل رجل ممن كان يهدم عَتلته بين حَجرين

(١) صحيح البخارى كتاب الحج باب ٤٣ .
وصحيح مسلم كتاب الحيض حديث رقم ٧٦ . ومسند أحمد ٣/٢٩٥ ، ٣٨٠ .
(٢) ص : الذى جاء بها .
(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/٤٠٥ - ٤٠٦ . وأخبار مكة للأزرقى ١/٩٩ - ١٠١ .

منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجَرُ تنقَّضت مكة بأَسْرها وأبصر القوم بَرْقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بَصر الرجل فانتهوا عن ذلك[1] الأساس .

ووجدت قريش فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو : أنا الله ذوبَكَّة ، خلقتها يومَ خلقتُ السموات والأَرض وصورت الشمس والقمر ، وحَفَفْتها[2] بسبعة أملاك حُنفاء لا يزول أخشباها يبارك لأَهلها فى الماء واللبن .

ووجدوا فى المقام كتابا فيه : مكة الله الحرام يأْتيها رزقها من ثلاثة سُبل ، لا يُحلُّها أَولَ مِنْ أَهْلها .

ووجدوا آخر مكتوب فيه : من يزرع خيرا يحصد غِبْطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتُجْزون الحسنات أَجل كما يجتنى[3] من الشوك العنب .

* * *

ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأُخرى ، حتى تحاوَزوا وتحالفوا وأعدوا للقتال ، فقرَّبت بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عَدِىّ بن كعب على الموت وأَدخلوا أَيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسُمُّوا لَعَقَة الدم .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أَو خَمْسًا ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد — فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعضُ أَهل الرواية أَن أَبا أُمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أَسنَّ قريش كلها قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أَولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم . فكان أَولَ داخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأَوه قالوا : هذا الأَمين رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأَخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلىَّ ثوبًا .فأُتى به فأَخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأْخذ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا . ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم . وكانت قريش تسمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل أَن ينزل الوحىُ : الأَمين .

---

(١) ط : إلى ذلك الأساس . (٢) دلائل النبوة للبيهقى : وحففتهما — يريد الجبلين ١/٤١٢ .

(٣) كذا بالأصل ، وفى ابن هشام ١/١٩٦ : كما لا يجتنى من الشوك العنب .

قال فى « الزُّهْر » و « الإشارة » : وكان ذلك فى يوم الاثنين .

وروى يعقوب بن سفيان عن ابن شهاب أن قريشا لما بنوا الكعبة فبلغوا موضع الركن اختصمت فى الركن أىّ القبائل تلى رَفْعه فقالوا : نحكِّم أولَ من يطلع علينا . فطلع عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو غُلام فحكَّموه فأمر بالركن فوضع فى ثوب ثم أخْرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحيةً من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركنَ فوضعه هو ، ثم طفق لا يزداد على السِّن إلا رضًا حتى دعَوْه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحى ، فطفقوا لا ينحرون جَزُورا إلا التمسوه[1] فيدعو[2] لهم فيها .

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، قال : لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبىَّ صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به الركن فقال العباس : لا . وناول العباس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حجرا فشدَّ به الركن فغضب النجدى وقال : واعجبا لقوم أهل شرف وعقول وأموال عَمدوا إلى رجل أصغرهم سنا وأقلَّهم مالا فرأسوه عليهم فى مَكْرمتهم وحِرْزهم كأنهم خدم له ! أمَا والله لَيفرِّقنهم شِيعًا وليقسمن بينهم حظوظا وجُدودا . فيقال إنه ابليس ـ زاد غيره : فكاد يشير شرا فيما بينهم ثم سكَنوا[3] .

وقال هُبَيْرة بن أبى وَهْب المخزومىّ حين جعلت قريشٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما :

تشاجرت الأحياءُ فى فَصْل خطةٍ ... جرَتْ طيرُهم بالنَّحْس من بعد أسْعُدِ

تلاقَوْا لها بالبغض بعد مودةٍ ... وأوقد نارا بينهم شرُّ مُوقِدِ

فلما رأينا الأمْر قد جدَّ جِدُّه ... ولم يبْق شىء غير سَلِّ المهنَّد

رضينا وقلنا العَدْل أولُ طالع ... يجىء من البَطْحاء عن غير مَوْعد

---

(١) ت ، م : إلا التمسوه فيه .

(٢) ص : حتى يدعو .

(٣) طبقات ابن سعد ١/١٤٦ ، (ط بيروت) .

فلم يَفْجَنا[1] إلا الأمينُ محمـــدٌ ... فقلنا رضينا بالأمينِ محمـــــدِ

بخير قريش كلها أمـر ديمـة[2] ... وفى اليوم مع ما يُحْدث الله فى الغد

فجاء بأمر لم ير النـاسُ مثلَه ... أعمّ وأرضى فى العواقب والبَـدى

أخَـذْنا بأكْنَاف الرِّداء وكلنـــا ... له حصّـة من رَفْعه قبضةَ اليـد

فقال ارفعوا حتى إذا ما علَتْ بـه ... أكَفٌّ إليـه قَـرَّ فى خير مُسْنَدِ

وكان رضينا ذاك عنه بعينـــــه ... وأعظمْ به مـن رأى هادٍ ومُهتـــد

لَتلك يدٌ منـه علينـــا عظيمـة ... يروح بها رَكب العـراق ويغتدِى

* * *

ولما بنت قريش الكعبة جعلت ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأرض ثمانية عشر ذراعا ، منها تسعة أذرع زائدة على طولها حين عمرها الخليل صلى الله عليه وسلم واقتصروا من عرضها أذرعا جعلتها فى الحجر لقصَر النفقة الحلاَل التى أعدُّوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ، ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، وجعلوا فى داخلها ستّ دعائم فى صفين ، ثلاثٌ فى كل صف من الشِّق الذى يلى الحجر إلى الشق اليمانى وجعلوا فى ركنها الشامى من داخلها درجة يصعد منها إلى سطحها وجعلوه مسطَّحا وجعلوا فيه ميزابا يصبّ فى الحِجْر .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : اختلف فى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ .

فقيل : كان ابن خمس وثلاثين . وقدَّمه فى « الإشارة » .

وحكى الأزرقى قولا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بنيت الكعبة كان غلاما .

قال الحافظ : ولعل عمدته ما رواه عبد الرازق عن مَعْمَر عن الزُّهرى قال : لما بلغ

---

(١) لم يفجنا : لم يفجأنا ، وسهلت الهمزة لوزن الشعر

(٢) كذا فى ت ، وفى ط : أمس شيمة . وفى ص : أمر أليمة .

والديمة فى الأصل : مطر يدوم بغير رعد ولا برق . وفى الحديث : « كان عمله صلى الله عليه وسلم ديمة » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُلم أَجْمرت امرأةٌ الكعبة فطارت شرارة من مِجمرها فى ثياب الكعبة فاحترقت فذكر القصة .

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد أن ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة وكذا رواه ابن عبد البَرّ من طريق محمد بن جُبَيْر وبه جزم موسى بن عقبة فى مغازيه . والذى جزم به ابن إسحاق أن بنيان قريش كان قبل المبعث بخمس سنين[1] . قال الحافظ : وهو أشهر قال : ويمكن الجمع بينهما بأن يكون الحريق تقدَّم وقتُه على الشروع فى البناء . وقيل : ابن خمس وعشرين . وغلَّط قائله .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق .

تُجْمِرها : بضم المثناة الفوقية وإسكان الجيم وكسر الميم يقال أَجمَر وجَمَّر لغتان ، أى تُبخِّرها .

شَرَارة : واحدة الشَّرار وهو ما يتطاير من النار . وكذا واحدةُ الشَّرَر : شَرَرةٌ . المَجْمَرة : بفتح : الميم الأُولى .

دُوَيْك : تصغير دِيك . مُلَيْح : بضم الميم وفتح اللام وبالحاء المهملة .

باقُوم بباء موحدة فقاف فواو .

العَتلة : الهَراوة الغليظة . تنَقَّضت : بمثناة فوقية فنون مفتوحتين فقاف فضاد معجمة . ساقطة : أى اهتزت .

مَرْسَى السفينة : مكان وقوفها بالبَرّ .

الرَّضمْ : الحجارة يجعل بعضها على بعض . تَشرَّق : بمثناة فوقية فشين معجمة فراء مفتوحات فقاف ،أى تبرز للشمس .

اخْزألَّت بخاء معجمة[2] فزاى فهمزة مفتوحة فلام مشددة فتاء تأنيث أى رفعت ذنبها والمخزئلّ : المرتفع .

---

(١) سيرة ابن هشام ١٩٢/١ .

(٢) كذا بالأصول وهو خطأ . قال فى القاموس : احزال – بالحاء المهملة – البعير فى السير احزئلالا : ارتفع . والجبل : ارتفع فوق السراب ، والشيء : اجتمع . وليس هناك مادة اخزأل . بالخاء المعجمة .

كشَّت : صوَّتت . ويقال : الكشيش صوت جلدها .

البغىّ : الفاجرة .

الشِّق : هنا ـ بكسر الشين المعجمة الناحية والجانب . وأصل شِقّ الشيء: نصفه يقال : هذا شِق الشيء وشِقّته ، بمعنىً .

الحَطِيم : سمِّى بذلك لأن الناس يزدحمون فيه حتى يَحْطم بعضهم بعضا . وقيل لأن الثياب كانت تجرَّد فيه عند الطواف .

فَرِقوا : خافوا .

تحاوزوا : بمثناة فوقية فحاء مهملة فألف فواو فزاى : أى انحازت كلُّ قبيلة إلى جهة .

هلم : كلمة سمى بها فعل[1] . وفيها لغتان فلغة أهل الحجاز لا يُثَنُّونها ولا يجمعونها ولا يؤنثونها ولغة غيرهم ضد ذلك . ومعناها : أقبل .

تجزَّأت : اقتسمت .

لم تُرَعْ : بمثناة فوقية فراء مفتوحة : أى لم تُفْزَع ، أى الكعبة . فأضمَرها لتقدم ذكرها . ويروى : لم نَزِغْ بفتح النون وكسر الزاى وبالغين المعجمة أى لم نَمِلْ عن دينك ولاخرجنا عنه ، يقال زاغ عن كذا إذا خرج عنه .

الأَسْنمة : جمع سَنَام ، وهو أعلى الظهر . وأراد : أن الحجارة دخل بعضُها فى بعض كما تدخل عظام السَّنام بعضها فى بعض ، فشبَّهها بها . ومن رواه : كالأَسِنَّة جمع سِنَان : الرمح ، شبَّهها بالأسنة فى الخضرة .

حفَفْتُها : بحاء مهملة ففاءين ثانيهما ساكنة فتاء التكلم أحاطت الملائكة بها .

أَخْشَبا مكة : جبلاها : أبو قُبَيْس وقُعَيْقعان .

السُّبُل : جمع سبيل الطريق .

الغبطة : تمنى حصول مثل الخير الذى فيه غيرك

---

(١) كذا فى ط ، ص . وفى ت ، م : سمى بها اسم فعل .

أَجَلْ : كنعم وزنًا ومعنى .

الجَفْنة : كالقصعة ، والجمع جِفَان بالكسر وجَفَنات بالتحريك .

موضع الركن : أى الحجَر الأَسود ، سمى ركنا لأَنه مبنى فى الركن .

الأَحياء : جمع حَىّ .

خُطَّة بالضم : الأَمر والقصة .

طَيْرهم : حَظُّهم وبَخْتهم .

مَوْقِد . بكسر القاف .

جماع أبواب مبعثه
صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى بدء عبادة الأصنام والإشراك بالله تعالى

كان الناس قبل المبعث من زمن نوح صلى الله عليه وسلم إلى زمن المبعث عُبَّاد أصنام إلا من استجاب للرسل منهم وهذه الضلالة اشترك فيها العرب والعجم، وعبدَ كثير من العجم النار وهم المجوس فاتخذوا بيوتَ نيران لا تزال تَقِدُ أبدا ، وكانت إلى هذه النيران صلاتهم وقرابينهم ويعتقدون فيها النفع والضر . وعلى هذه الضلالة كانت ملوك الأكاسرة .

وعبدت طائفة منهم كواكب معلومة ، وترى هذه الطوائف أن سائر ما فى العالم السفلى المُعبَّر عنه بالحياة الدنيا ناشِىء وصادِر عن الكواكب وأن الشمس هى المُفِيضة على الكل ، واتخذت هذه الطائفة التماثيلَ من الجواهر والمعادن على أسماء الكواكب وعبدَتْها وصلَّت إليها وقرَّبت لها القرابين واعتقدت أنها تجلب النفع وتدفع الضر ويقال لهذه الطائفة الصابئة .

وقد بسط أبو جعفر ابن جرير والمسعودى وغيرهما الكلام على ذلك ومبدئه ولا حاجة بنا إلى ذكره[1] .

وأما العرب ، إلا القليل منهم ، فإنهم اتخذوا الأصنامَ وعبَدوها من دون الله تعالى ويقال لهم : «الذين أشْرَكوا» سِمَةً لهم واسمًا لَزِمهم وإنْ كان غيرهم ممن تقدم شارَكهم فى عبادة غير الله تعالى فإن هذا الاسم لا يُطلق إلا على العرب .

وأولُ ما حدثت عبادة الأصنام فى قوم نوح صلى الله عليه وسلم ، فأرسله الله تعالى إليهم ينهاهم عن ذلك فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما كما قص الله خبره فى عدة آيات[2] واستمرت هذه الضلالة فى زمن إبراهيم صلى الله عليه وسلم وقد قصَّ الله تعالى نبأه مع قومه فى عدة آيات[3] . واستمر هذا الأمر الشنيع إلى أن بعث الله سبحانه وتعالى فضلا

---

(١) انظر فى ذلك مروج الذهب للمسعودى ٢/٢٢٦ (ط بيروت) .

(٢) فى سور كثيرة منها يونس وهود والشعراء والقمر .

(٣) فى سور كثيرة منها الانعام وإبراهيم والأنبياء .

منه ورحمة ـ عبدَه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فدعا الناس إلى عبادة الله تعالى وحده فأنكر المشركون ذلك كما حكاه الله تعالى عنهم فى غير ما آية .

والسبب فى عبادة الناس الأصنام ما رواه الفاكهي عن عبد الله بن عبيد بن عُمَيْر قال : أولُ ما حدَثت الأصنام على عهد نوح ، وكانت الأبناءُ تَبرّ الآباء ، فمات رجل منهم فجزع عليه ابنه فجعل لا يَصْبر عنه فاتخذ مثالا على صورته فكلما اشتاق إليه نَظره ، فمات ففُعل به كما فعلَ حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباءُ فقال الأبناءُ ما اتخذ هذه آباؤنا إلا أنها كانت آلهتهم . فعبدوها .

وروى عَبْد بن حُمَيْد عن محمد بن كعب القُرَظىّ فى قوله تعالى «وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرن وَدًّا ولا سُوَاعًا»[1] قال : كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح فنشأ قوم بعدهم يأخذون فى العبادة فقال لهم إبليس : لو صوَّرتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم . فصوروا ثم ماتوا فنشأ قومٌ بعدهم فقال لهم إبليس : إن الذين كانوا مِن قبلكم كانوا يعبدونها فعبدوها[2]

وروى أبو الشيخ فى العظمة عن محمد بن كعب القرظى قال كان لآدم خمسة بنين وَدّ وسُوَاع ويغوث ويَعُوق ونَسْرًا ، فكانوا عُبَّادًا ، فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان فقال : حَزنتم على صاحبكم هذا ؟ قالوا نعم . قال : هل لكم أن أصوِّر لكم مثله فى قِبْلتكم إذا نظرتم إليه ذكرتموه ؟ قالوا : نكره أن تجعل لنا فى قِبْلتنا شيئا نصلِّى إليه . قال فأجْعله فى مؤخَّر المسجد ؟ قالوا : نعم . فصوره لهم حتى مات خمستهم فصوَّر صُوَرهم فى مؤخر المسجد ، فتَنقَّضت[3] الأشياءُ حتى تركوا عبادةَ الله تعالى وعبدوا هؤلاء ، فبعث الله تعالى نوحًا فقالوا «لا تَذَرُنَّ آلهتكم» إلى آخر الآية .

وروى عَبْد بن حُمَيْد عن أبى جعفر بن يزيد بن المهلب قال : كان وَدّ رجلا مسلماً وكان محبَّبًا فى قومه فلما مات عسكروا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جَزَعهم عليه تشبَّه فى صورة إنسان ثم قال : أرى جزعكم على هذا فهل لكم أن أصوِّر مِثْله فيكون فى ناديكم فتذكرونه به ؟ قالوا : نعم . فصوَّر لهم مثله فوضعوه فى ناديهم وجعلوا

---

(١) سورة نوح ٢٣ .
(٢) الاكتفا ١/٩٥ .
(٣) تنقضت : تبدلت واختلفت .

يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذِكْره قال : هل لكم أن أجعل فى منزل كل رجل منكم تمثالا فيكون فى بيته فيذكر به ؟ قالوا : نعم . فمثَّل لكل أهل بيت تمثالا مثله فجعلوا يذكرونه به وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به وتناسَلوا ودرَس أمرُ ذِكْرهم إياه حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله تعالى فكان أولَ من عُبد من دون الله وَدٌّ ، الصنم الذى سمَّوا بودّ .

وروى البخارى وابن المنذر وابن مَرْدَوَيْه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : صَارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح تُعْبَد ، أما وَدّ فكانت لكلب بدُومَة الجندل ، وأما سُوَاع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمُرَاد ، ثم لبنى غَطِيف عند سبأ ، وأما يَعُوق فكانت لهَمْدان ، وأما نَسْر فكانت لِحمْير لآل ذى كَلَاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسمّوها بأسمائهم . ففعلوا فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسِخ[1] العِلْم عُبدت فلما كان أيام الطوفان دفنها الطينُ والتراب والماء فلم تزل مدفونةً حتى أخرجها الشيطان إلى مُشْركى[2] العرب[3] .

وكان أول من حمل العرب على عبادة الأصنام عمرو بن لُحَىّ - بضم اللام وفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية - ابن قَمَعة - بفتح القاف والميم وتخفيفها - وقيل غير ذلك ، ابن خِنْدف - بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة ويجوز كسر الخاء وفتح الدال وآخرها فاء .

روى ابن إسحاق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأَكْثَم بن الجَوْن الخزاعى : « يا أكثم رأيت عمرو بن لُحَىّ بن قَمعة ابن خِنْدف يجرُّ قُصْبه فى النار ، فما رأيت رجلا أشْبَه برجل منك به ولا بك منه » فقال أكثم : عسَى أن يضرُّنى شَبهه يا نبى الله ؟ قال : « لا إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غيَّرَ دين إسماعيل فنصب الأوثان » الحديث ويأتى[4] .

---

(١) ط : وتنسخ العلم .
(٢) ت ، م : لمشركى .
(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة نوح) . ٢/٣٨٠ (ط الأميرية) .
(٤) سيرة ابن هشام ١/٧٦ .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَىّ خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره فلما قدم مآبَ من أرض البَلْقاء وبها يومئذ العَمَاليق وهم ولد عِمْلاق ويقال عِمْليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه أصنام نعبدها فنَسْتمطرها فتُمْطرنا ونَسْتَنْصرها فتنصرنا . فقال لهم : أفلا تعطونى منها صنما فأسير به إلى العَرب فيعبدونه . فأعطَوْه منها صنما يقال له هُبَل ، فقدِم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[1] .

وروى الفاكهى عن هشام بن السائب قال : كان لعمرو بن ربيعة رَئِىّ من الجن فأتاه فذكر له شعراً يأمره فيه بإخراج الأصنام من ساحل جُدّة فأتى عمرو ساحلَ جدة فوجد بها وَدًّا وسُوَاعًا ويَغُوث ويعوق ونَسْرا وهى الأصنام التى عبدت زمن نوح وإدريس ثم إن الطوفان طرحَها هناك ، فسفَى عليها الرمل ، فاستخرجها عمرو وخرج بها إلى تِهامة وحضر الموسم فدعا إلى عبادتها فأُجيب .

وقال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل : أنه كان لا يَظْعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفَسَح[2] فى البلاد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرَم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلَخ ذلك منهم[3] إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خَلفت الخُلوف ونَسُوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وسلم غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأُمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به [والوقوف على عرفة والمزدلفة وَهَدْى البُدْن والإهلال][4] بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت كنانة وقريش إذا أهلُّوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك تملكه وما مَلَك . فيوحِّدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . يقول

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٧٧ .

(٢) ص : الفتح .

(٣) كذا وفى ابن هشام : حتى سلخ ذلك بهم .

(٤) ليس فى ابن هشام ، وهو من هامش ط .

الله تبارك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وما يُؤْمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون[1] » أى ما يوحدوننى بمعرفة حتى إلا جعلوا معى شريكا من خَلْقى .

قال ابن إسحاق : وكان لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها ، فكان الذين اتخذوا تلك الأصنامَ من ولدِ إسماعيل أو غيرهم وسمّوها بأسمائها حين فارقوا دِينَ إسماعيل ، فاتخذ هُذَيلُ بن مُدْركة سُوَاعًا ، وكان لهم بِرُهَاط[2] ، واتخذ كَلْب بن وَبْرة من قُضَاعة وَدًّا بدُومَة الجَنْدل ، واتخذ كلب بن وَبْرة بن ثعلبة بن حلْوان بن عمران وأهل جُرَش من مَذْحِج اتخذوا يَغُوث .

واتخذ خَيْوان ، بطن من هَمْدان ، يَعُوقَ بأرض همدان من اليمن .

واتخذ ذو الكَلَاع من حمْير نَسرًا بأرض حِمْير ، واتخذ الأديم ، بطنٌ من خولان ، صنما يقال له عَمْ أنَس يَقْسمون له من أنعامهم وحُروثهم قسما بَيْنه وبين الله تعالى بزعمهم ، فما دخل فى حق عم أنس من حق الله تعالى الذى سمّوه له تركوه له ، ومادخل فى حق الله تعالى من حق عم أنس ردُّوه عليه ، فأنزل الله تعالى : « وجَعلوا لله مما ذَرأ من الحَرْث والأنعامِ نصيباً فقالوا هذا لله بزَعْمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشُركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون[3] » .

وكان لبنى مِلْكان بن كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْركة صنم يقال له سَعْد ، صخرة بفلَاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى مِلْكان بإبلٍ له مُؤَبَّلة[4] ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم ، فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تُرْكب وكان يُهْراق عليه الدماء نفَرتْ منه فذهبت فى كل وجه ، وغضب ربُّها المِلْكانى فأخذ حَجراً فرماه به ثم قال : لا بارك الله فيك ! نفَّرْتَ علىَّ إبلى . ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعدٍ ليَجْمع شَمْلَنـا ... فشتَّتنا سعدٌ فلا نحن مِنْ سعد

---

(١) سورة يوسف ١٠٦ .

(٢) رهاط : موضع على ثلاث ليال من مكة ، وقال قوم : وادى رهاط فى بلاد هذيل . وانظر معجم البلدان ٨٧٨/٢ (ط أوربا) .

(٣) سورة الأنعام ١٣٦ .

(٤) الإبل المؤبلة : التى تتخذ للقنية . اللسان « أبل » .

وهل سعدُ إلا صخرةٌ بتَنُوفة من الأرض لا يُدْعَى[1] لغَيٍّ ولا رُشْدِ

واتخذت قريش صنما على بئرٍ فى جوف الكعبة يقال له هُبَل ، واتخذوا إسافًا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جُرْهم وهو إساف بن بَغْى[2] . قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرْهم أحْدَثا فى جوفِ الكَعْبة[3] فمسخهما الله حجرين .

رواه ابن إسحاق[4] .

قال ابن إسحاق : واتخذ أهلُ كل دارٍ فى دارهم صنما يعبدونه من دون الله فإذا أراد الرجل منهم سَفَرا تمسَّح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سَفره ، فإذا قَدِم من سفره تمسَّح به فكان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : « أجعَل الآلهةَ إلهًا واحدًا إنَّ هذا لَشيءٌ عُجَاب[5] » .

وذكر ابن إسحاق وغيره كثيراً من أسماء أصنام العرب . ولم أذكر ذلك إذ لا فائِدة فى ذكرها وذكرت منها ما سمِّى فى القرآن العزيز[6] مع زيادة .

تنبيه : قال الواقدى : كان وَدّ على صورة رَجُل ، وسُوَاع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد ، ويعوق على صورة فَرس ، ونَسْر على صورة طائر .

قال فى الفتح : وهذا شاذّ ، والمشهور أنهم كانوا على صورة البشَر ، وهو مقتضى الآثار فى سبب عبادتها .

وقال المسعودى فى مروج الذهب . كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائِف يعتقدون أن الله تعالى جِسْم وأن الملائكة أجسام لها تَمام[7] وأن الله تعالى احتجب بالسماء

---

(١) ابن هشام : لا يدعو .
(٢) ص : وهم أول من بغى . ولعله تحريف .
(٣) غير ط : أحدثا فى الكعبة .
(٤) سيرة ابن هشام ٨٣/١ .
(٥) سورة ص ٥ .
(٦) لم يذكر العزى ولا مناة ، مع ذكرها فى القرآن العزيز .
(٧) كذا بالأصول ولعل المراد : أن الملائكة لها أجسام متفاوتة ولها حد ينتهى عنده تمامها .

فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناماً على صورة البارى تعالى وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القُدور والأشكال فى الصور ، فمنها على صورة الإنسان ومنها على صورة غيره فى الصور ، فعبدوها وقرَّبوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقُرْبها منه ، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وكثيراً من الأعْصار حتى نبههم بعض ضُلاَّلهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام إلى البارى - تعالى عما يقول الجاهلون علوًّا كبيراً ، وأنها حَيّة ناطقة وأن كل ما يَحْدث فى هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجرى به الكواكب عن أمر الله تعالى فعظَّموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم ، ومكثوا على ذلك دهرًا فلما رأوا الكواكب تَخْفى بالنهار وفى بعض أوقات الليل بما يَعْرض فى الجوّ من السواتر ، أمرهم بعضُ من كان فيهم من ضُلاَّلهم أن يجعلوا أصنامًا وتماثيل على صورها وأشكالها وهيآتها ، فجعلوا لها أصنامًا بعدد الكواكب المشهورة المتحيِّرة ، فكل صنف منهم يعظم كوكباً منها ويقرب له نوعًا من القربان . ولما طال عليهم العهدُ عبَدوا الأصنامَ وألْغَوا عبادةَ الكواكب ، فلم يزالوا كذلك حتى ظهر بعض ضُلاَّلهم بأرض الهند وكان هنديًّا خرج من أرض الهند إلى السند ثم دخل بلاد العجم ، وهو أول من أظهر مذهب الصابئة وجوَّز للناس عبادة الأصنام والسجود لها لشُبْهة ذكرها وقرَّب إلى عقولهم عبادتها بضرب من الحِيل .

قال المسعودى : وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكه أن « جم » الملِك أول من عظَّم النار ودعا الناسَ إلى تعظيمها وقال إنها تشبه ضوء الشمس والكواكب وجعل للنور مراتب ، ثم تنازع هؤلاء بعده فعظَّم كلّ فريق منهم ما يرون تعظيمه من الأشياء .

ثم ذكر المسعودى بعض ما تقدم من خبر عمرو بن لُحَىّ . ثم ذكر المسعودى عبادة الفُرْس للنار وبيوت النيران فى كلّ بلد وأطال النفَس فى ذلك[1]

---

(١) مروج الذهب ٢/٢٣٦ (ط محيى الدين) .

الباب الثانى

فى إخبار الأحبار والرهبان والكُهَّان بمبعث حبيب الرحمن صلى الله عليه وسلم

قد تقدم فى الباب التاسع أوائل الكتاب كثير من ذلك[1] . وأذكر هنا ما لم أذكره هناك .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وكانت الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكُهَّان من العرب قد تحدَّثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعثه ، لمّا تقارب زمانُه . أما الأحبار والرهبان فعَمًّا وجدوا فى كُتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان عَهِد إليهم أنبياؤهم فيه . وأما الكهان فأتتهم به الشياطين من الجن ، فيما يَسْترقون من السمع إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذِكر بعض أمور ولا تُلْقِى العربُ لذلك بالاً حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها[2] .

ذكر خبر زيد بن عمرو بن نُفَيْل

ابن عبد العُزَّى [ابن عبد الله[3]] بن قُرْط بن رباح بن رَزَاح بن عدّى بن كعب بن لُؤَىّ ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصَىّ بن كِلاَب بن مُرّة بن كعب بن لؤى ، وعُبَيْد الله بن جحش بن رِئَاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة ، وكانت أُمه أميمة بنت عبد المطلب ، وعثمانُ بن الحُوَيْرِث ابن أسد بن عبد العزى بن قُرْط بن رباح .

قال ابن إسحاق :

واجتمعت قريش فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم . قال محمد بن عمر الأسْلمى :

---

(١) انظر ص ١٢٢ من الجز الأول من هذا الكتاب . (٢) سيرة ابن هشام ١/٢٠٤ .

(٣) من ابن هشام ١/٢٢٣ .

وهو بُوَانَة ، كانوا يعظّمونه وَينْحرون له ويَعْكفون عنده ويُديرون به ، وكان ذلك عيدًا لهم فى كل سَنَة يومًا، فخلَص منهم هؤلاء الأربعة نجيًّا ، ثم قال بعضهم لبعض: تصَادَقوا وليكتم بعضكم – على بعض . قالوا : أجَلْ . فقال بعضهم لبعض : تعلّموا والله ما قَوْمُكم على شىء ، لقد أخطأوا دِينَ أبيهم إبراهيم ، ما حَجر نُطِيف به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ؟! يا قوم التمِسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شىء .

فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحَنِيفيّة دين إبراهيم .

فأما وَرَقة بن نوفل فاستحْكَم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى عَلِم عِلْما من أهل الكتاب .

وأما عُبَيْد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة ابنة أبى سفيان مُسْلمةً فلما قَدِمها تَنصَّر وفارق الإسلام حتى هلك نصرانيا ، وكان يمرّ بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم بالحبشة فيقول : فقَّحْنا وصَأصأتم . أى أبْصرنا وأنتم تلتمسون البصَر لم[1] تُبْصِروا بعدُ . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صَأصأ لينظر .

وأما عثمان بن الحُوَيْرث فقدِم على قيصر ملك الروم فتنصَّر وحَسُنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نُفَيْل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثانَ والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموءودة وقال : أعبد ربَّ ابراهيم وبادَى قومَه بعَيْب ما هم عليه[2] .

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت : رأيت زيدَ بن عمرو شيخا كبيرا مُسْندا ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحدٌ على دِين إبراهيم غَيْرِى . ثم يقول : اللهم لو أنِّى أعْلَم أىَّ الوجوه أحبُّ إليك عبدتُك به ولكنى لا أعْلمه . ثم يسجد على راحلته[3] . وكان يحيى الموءودة ، يقول للرجل

---

(١) ط : فلم تبصروا . وفى ابن هشام : ولم تبصروا . (٢) سيرة ابن هشام ١/٢٢٤ .

(٣) إلى هنا رواية ابن هشام ١/٢٢٥ .

إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أنا أكفيك مُؤنتها فيأخذها فإذا ترَعْرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتُها إليك وإن شئت كفيتك مُؤنتها .

رواه ابن إسحاق والنسائى وأبو بكر بن أبى داود وعلّقه البخارى جازما به[1] .

وروى البخارى والبيهقى من طريق موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقِى زيدَ بن عمرو بن نُفَيْل بأسفل بَلْدح[2] قبل أن يَنْزل عليه الوحى فقدِّمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سُفْرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال لزيد : إنى لست آكل مما تذبحون على أنْصابكم[3] ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه . وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاةُ خلقها الله تعالى وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى ! إنكارا لذلك وإعظاما له[4] .

وروى البخارى فى المناقب وفى الذبائح من صحيحه والإسماعيلى والزبير بن بكّار والفاكهى عن ابن عمر ، أن زيد بن عمرو بن نُفَيْل خرج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويبتغيه . وفى لفظ : ويتبعه . فلقى عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إنى لَعَلَى أن أدِين دِينكم . فأخبرنى . فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال زيد : ما أفِرّ إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدا وأنا[5] أستطيعه ، فهل تدلُّنى على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكون حَنِيفًا . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيا ولا يَعْبد إلا الله ، فخرج فلقى عالمًا من النصارى . فذكر مثله . فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال : ما أفرّ إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنته ولا من غضبه شيئا وأنا أستطيعه . فهل تدلنى على غيره ؟ فقال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديا

---

(١) صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار باب ٢٤ .
(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب . معجم البلدان ١/٧١٤ (ط أوربا) .
(٣) ص : على أصنامكم .
(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب ٢/١٧٨ (ط الأميرية بتصحيح الهورينى) .
(٥) سيرة ابن كثير : ولا أستطيعه .

ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله . فلما رأى زيدٌ قولهم فى إبراهيم خرج فلما بَرز رفع يديه فقال : اللهم اشهد أنى على دين إبراهيم[1] .

وفى لفظ : فانطلق وهو يقول : لبَّيْك حقًّا حقا تعبُّدًا ورِقًّا . ثم يخرّ ويسجد للكعبة .

قال ابن إسحاق : إن زيد بن عمرو بن نفيل خرج يطلب دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويسأل الرهبان حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل إلى الشام حتى انتهى إلى راهب بمَيْفَعة من أرض البَلْقاء وكان ينتهى إليه عِلْم النصرانية ، فسأله عن الحنيفية دِين إبراهيم فقال : إنك لَتطلب دِينًا ما أنت بواجدٍ من يَحْملك عليه اليوم ولكن قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ يخرج من بلادك التى خرجت منها يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحقْ فإنه مبعوث الآن فهذا زمانه . وكان قد شامَّ اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منها ، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسَّط بلاد لَخْم عدَوْا عليه فقتلوه ، فقال ورقة بن نوفل يرثيه :

رَشَدْتَ وأَنْعَمت ابنَ عمرو وإنمـــا ... تجنبْتَ تَنُّورًا من النـار حامِيَـا
بَدِينْـك ربًّا ليس ربٌّ كمثـــله ... وتَرْكك أوثانَ الطواغى[2] كما هِيَا
وإدراكك الدِّين الذى قـد طَلَبْتـه ... ولم تك عن توحيـد ربك ساهيَـا
فأصبحتَ فى دارٍ كريمٍ مُقَـامهـا ... تُعلَّل فيها بالكرامـة لاهيَـا
تُلاقى خليـلَ الله فيهـا ولم تـكن ... من الناس جَبَّارًا إلى النـار هاويَـا
وقـد تُدْرك الإنسانَ رحمـةُ ربـه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[3]

ولزيد عدة قصائد فى التوحيد منها :

أَرَبًّا واحـداً أم ألفَ ربٍّ ... أدين إذا[4] تقسَّمَت الأُمـورُ
عزَلتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً ... كذلك يَفْعل الجَلْـد الصَّبُورُ

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب ١٧٨/٢ (ط الأميرية)
وسيرة ابن كثير ١٦٠/١ .
(٢) سيرة ابن كثير : وتركك جنات الجبال كماهيا .
(٣) نصب سبعين على تقدير فعل ، مثل تبعد سبعين وادياً .
(٤) غير ص : إذن تقسمت .

فلا عُزَّى أَدين ولا ابنَتَيْهـا ... ولا صنَمَىْ بنى عمـرو أَزُورُ
ولا غَنْما أَدِين وكان ربًّـا ... لنـا فى الدهرِ إذ حُلْمى يسيرُ
عجبت وفى الليالى مُعْجبات ... وفى الأَيـام يَعْرفهـا البصيـرُ
بـأَنَّ الله قـد أَفْنَى رجـالا ... كثيرا كان شأنهم الفجـورُ
وأَبقى آخـرين ببِـرٍّ قـومٍ ... فيَرْبُـل منهم الطفل الصغيرُ
وبَيْنا المـرءُ يعثر ثاب يومـا ... كما يتروَّح الغصنُ النَّضِيرُ
ولـكن أَعْبد الرحمنَ ربِّى ... ليغفر ذنبىَ الـربُّ الغفـورُ
فتقوى الله ربِّكم احفظـوها ... متى ماتحفظوهـا لاتَبُـوروا
تَرى الأَبـرارَ دارهمُ جِنانٌ ... وللـكفار حاميـةٌ سـعيرُ
وخِزْىٌ فى الحياة وإن يموتوا ... يلاقـوا ماتضيق به الصدورُ[1]

وروى أَبو يعلى والطبرانى والبزار بسند حسن[2] عن زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه قال : إن زيد بن عمرو بن نُفَيْل مات ثم أُنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنه يُبْعث يوم القيامة أُمةً واحدة[3] » .

وروى أَبو يَعْلى بسند حسن ، عن سعيد بن زيد قال : سأَلت أَنا وعمرُ بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو ، فقال : « يأتى القيامة أُمةً وَحْدَه[4] » .

وروى الباغَنْدىُّ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلتُ الجنةَ فوجدت لِزيدِ بن عمرو دَوْحتين »

قال الحافظ ابن كثير : إسناده جيد قوى[5] .

وروى محمد بن عثمان بن أَبى شيبة عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن زيد بن عمرو فقال : « يُحْشر ذلك أُمةً وَحْده بَيْنى وبين عيسى بن مريم .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٢٦ .
(٢) ط : بسند جيد .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١/١٥٦ ، ١٦١ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) سيرة ابن كثير ١/١٦٢ ونصه : « وهذا إسناد جيد ، وليس هو فى شىء من الكتب » .

قال ابن كثير إسناده جيد قوى[1] .

تنبيه : توفى زيد قبل المبعث بخمس سنين وقريش تبنى الكعبة .

[تفسير الغريب]

قُرْط : بضم القاف وإسكان الراء وبالطاء المهملة .

رياح : بالمثناة التحتية .

رَزاح : روى بكسر الراء وبفتحها ، وبه جزم الدارقطنى .

النَّجِىّ : الجماعة يتحدثون سرًّا عن غيرهم ، ويقع للاثنين والجماعة بلفظ واحد .

فقَّحنا : بفاء فقاف مفتوحتين مشددة فحاء مهملة يقال فقح إذا فتح عينيه .

الموءودة : شىء كان يفعله بعض العرب ، كان إذا ولد له بنت دفنها فى التراب أو فى الرمل حَيَّة ، وأصل وَأد : أَثْقَل فسميت الموءودة لأنها أُثْقلت بالتراب .

بادَى : بغير همز أى ظهر ، وبه : ابتدأ .

مَيْفَعة : بمثناة تحتية وزن منفعة ، قرية من أرض البلقاء من الشام ، وهى بفتح الموحَّدة ثم لام ساكنة ثم قاف ممدودة .

شامٌ اليهودية : اسم فاعل من الشم ومعناه أنه استخبر ، فاستعاره من الشم فنصب اليهودية نصب المفعول به . ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شممت ، والفعل أولى بهذا الموضع .

غَنْما : بفتح الغين المعجمة وسكون النون صنم كانوا يعبدونه .

يَرْبُل : بمثناة تحتية مفتوحة فراءساكنة فموحدة مضمومة فلام ، يقال ربل الطفْل يَرْبل إذا شَبَّ وعَظُم .

ثاب : رجع .

يتروَّح الغصن : يهتز .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/١٦١ ، ونصه : إسناده جيد حسن .

لاتبوروا : لاتهلكوا .

يبعث أمة وحده : الأُمة : الشخص المنفرد بدين ، أى يقوم مقام جماعة[1]

خبر قسّ بن ساعدة

هو ابن ساعِدة بن جذامة[2] بن زُفَر بن زياد بن نزَار الإيادى .

قال المرْزُبانى : عاش ثلاثمائة وثلاثينَ سنة . وكثير من أهل العلم يذكر أنه عاش ستّمائة سنة . وقد سمع النبىُّ صلى الله عليه وسلم حكمته . وهو أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية ، وأول من اتكأ على عصا فى الخطبة ، وأول من قال أما بعد . وأول من كتب : مِن فلان إلى فلان . وقد جاء أنه خطب الناسَ بعكاظ وبشّرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وحثهم على اتباعه وذلك قبل البعثة .

روى الإمام محمد بن داود بن على الظاهرى فى كتاب « الزُّهَرة » حدثنا أحمد بن عبيد النحوى ، حدثنا على[3] بن محمد المدائنى حدثنا محمد بن عبد الله[4] بن أخى الزُّهْرى ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن سعد بن أبى وقاص . والطبرانى والبزار من طريق محمد بن الحجاج ، وهو متروك[5] ، والبيهقى من طريق سعيد بن هُبَيْرة وهو متروك ، والبيهقى من طريق أحمد بن سعيد بن فرسخ الإخميمى ، عن شيخه القاسم بن عبد الله بن مهدى ، وهما متّهمان ، عن ابن عباس . والبيهقى عن أنس وفى سنده من اتّهم ، وأبو نُعَيْم والخرائطى عن عبادة بن الصامت ، والأَزْدى عن أبى هريرة ، وخلَف ابن أُعْيَن ، رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، والحسن البصرى ، رواه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه : أن وفد إيَاد لمّا قدِموا على النبى صلّى الله عليه وسلم وأسلموا سألهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قُسّ بن ساعده فقالوا : يا رسول الله مات . قال : كأنى أنظر إليه فى سوق عُكَاظ على جمل أحمر أوْرَق وهو يخطب الناسَ وهو يقول كلاماً ما أرانى أحفظه .

---

(١) ط : الجماعة .
(٢) ص : ابن زفر بن جذامة .
(٣) ط : حدثنا محمد بن على بن محمد .
(٤) ط : محمد بن على .
(٥) كان محمد بن الحجاج هذا يصنع الهريسة ووضع حديثا فى شأنها ، ويعرف بصاحب الهريسة . ميزان الاعتدال ٤٠/٣ وسيرة ابن كثير ١٤٣/١ .

فقال بعض القوم : نحن نحفظه يا رسول الله . فقال: هاتوا . فقال : قائلهم إنه قال : أيها الناس اسمعوا وَعُوا وإذا وعيتم فانتفِعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، مطرٌ ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جميع وأشتات ، وآيات بعد آيات، إن فى السماء لَخبراً وإن فى الأرض لعِبراً ، ليلٌ داجٍ وسماء ذات فِجاج وبحار ذات أمواج ، مالى أرى الناسَ يذهبون فلا يرجعون أرَضُوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا ، أقسم قُسٌّ قسما حقا لا حانثاً فيه ولا آثما ، إن لله دِينا هو أحبُّ إليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا خاتِما[1] حانَ حِينُه وأظلكم أوانه وأدرككم إبّانه ، فطُوبى لمن آمن به فهداه ، وويلٌ لمن خالفه وعصاه .

ثم قال : تَبًّا لأرباب الغفلة من الأُمم الخالية والقرون الماضية ، يا معشر إياد أين الآباء والأجداد وأين المريض والعُوَّاد ، وأين الفراعنة الشداد ، أين من بنى وشيد ، وزخرف ونجَّد و غرَّه المالُ والولد ، أين من بغى وطغَى وجمع فأوعى وقال : أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأولادا وأبعدَ منكم آمالا وأطول منكم آجالا طحنهم الثَّرى بكَلْكَله ومزَّقهم الدهرُ بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خالية عمرتْها الذئاب العاوية كلاَّ بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : فأيُّكم يَرْوى شِعْره؟ قال فأنشده أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقال :

فى الذاهبين الأوَّلي ... نَ من القرون لنا بصائِرْ
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادرْ
ورأيت قومى نحوها ... تمضى الأصاغرُ والأكابرْ
لا يرجع الماضى إلىّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أنِّى لا محا ... لة حيث صار القوم صائِرْ

هذا حاصل الطرق السابقة .

قال البيهقى بعد أن أورد بعضها : إذا ورد الحديث من أوجه وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا .

---

(١) ص ، ث ، م : ونبيا كان حينه . وما أثبته من ط .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير : هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة[1] .

وقال الحافظ فى الإصابة طرقه كلها ضعيفة . وقال الشيخ رحمه الله تعالى فى تهذيب موضوعات ابن الجوزى : أَمْثَل طرقه الأول ، فإن ابن أخى الزهرى ومن فوقه من رجال البخارى ومسلم ، وعلى بن محمد المدائنى ثقة . وأحمد بن عبيد قال ابن عَدِىّ : صَدُوق له مناكير .

قلت : وقال الذهبي : صُوَيْلح . قال الحافظ : ليِّن الحديث . انتهى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : فإذا ضُمَّ طريق خلَف بن أعين إليه حُكم بحسنه بلاتوقف . انتهى .

إذا علمت ذلك فالحديث ضعيف لا موضوع ، خلافا لابن الجوزى ومن تبعه .

وقد رواه البيهقى من وجه آخر عن ابن عباس . فذكر حديثا طويلا مُسَجَّعا فيه أشعار كثيرة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وآثار الوضع ظاهرة عليه[2] .

وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه فى سوق عُكَاظ فقال : سيعلمُكم حقٌّ من هذا الوجه . وأشار بيده إلى نحو مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل أَبْلَجُ أَحْوَر من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا يَنْفد ، فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنى أعيش إلى مَبْعثه لكنت أول من سعى إليه .

---

(١) نص كلام ابن كثير : « ثم قال البيهقى : وإذا روى الحديث من أوجه أخر وإن كان بعضها ضعيفاً دل على أن الحديث أصلا » وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٤٦٦/١ ونصه : « وإذا روى حديث ... الخ » .

(٢) حديث قس ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة واستعرض طرقه كلها وذكر علل الطرق جميعاً ونقل عن ابن حجر قوله : « قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة ، وهو فى الطبرانى الطبرانى وغيرها » وطرقه كلها ضعيفة » اللآلئ ١٨٣/١ - ١٩٢ .

[تفسير الغريب]

أَوْرَق : الوُرْقة فى الإبل : لون يضرب إلى الخضرة كلون الرماد . وقيل إلى السواد .

داجٍ : مظلم .

رِتاج : براء مكسورة ثم مثناة فوقية مخففة فألف فجيم : الباب .

المُقَام : بضم الميم وفتحها . قال فى النور لكن هنا يتعين الضم لأن بعده قافا فهو من الرباعى .

أظلّكم : أقبل عليكم ودنا منكم كأنه ألقى ظلّه عليكم .

تَبًّا : خسرانا .

شيِّد : بفتح الشين المعجمة والمثناة التحتية المشددة : والشِّيد : كل ما طُلى به الحائِط من جص وغيره .

نجَّد : زين .

الكَلْكل والكلكال : الصدر .

خبر العباس عن بعض أحْبار اليمن

روى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال العباس خرجت فى تجارة إلى اليمن فى رَكْب فيهم أبو سفيان بن حرب ، فورد كتابُ حنظلة بن أبى سفيان أن محمداً قائِم بالأبطح يقول : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . ففشَا ذلك فى مجالس أهل اليمن فجاءنا حَبْر من اليهود فقال : بلغنى أن فيكم عَمّ هذا الرجل الذى قال ما قال . قال العباس : فقلت نعم . قال : نشدتك هل كانت لابن أخيك صَبْوة ؟ فقلت : لا والله ولا كذب ولا خان ، وإن كان اسمه عند قريش إلا الأمين قال : فهل كتب بيده ؟ فأردت أن أقول نعم ، فخشيت من أبى سفيان أن يكذِّبنى ويرد علىّ فقلت : لا يكتب. فوثب الحبْر وترك رداءه وقال : ذُبحت يهود وقتلت يهود .

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل إن يهود تفزع من ابن أخيك . قلت : قد رأيت ، فهل لك أن تؤمن به . قال لا أومن به حتى أرى الخيل فى

كَداء . قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمة جاءت على فمى ، إلا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلاً تَطْلع على كداء .

قال العباس : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء قلت : يا أبا سفيان تَذْكر تلك الكلمة ؟ قال : إى والله إنى لأذكرها[1] .

كَدَاء : كسحاب : الثنيَّة العليا بأعلى مكة عند المقبرة ، لا تنصرف . وقال النووى : ويجوز الصرف على إرادة الموضع .

خبر أُمية عن بعض أحْبار الشام

روى البيهقى وأبو نعيم واللفظ له عن أبى سفيان ابن حرب قال : خرجت أنا وأُمية بن أبى الصلت تجارا إلى الشام فقال : هل لك فى عالِم من علماء النصارى إليه انتهى عِلم الكتاب نسْأله . قلت له : لا أرَب لى فيه . فذهب ثم رجع فقال : إنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت : أخبرنى عن هذا النبى الذى يُنْتظر . فقال : هو رجل من العرب قلت : من أىّ العرب ؟ قال : من أهل بيت يحجُّه العرب من إخوانكم من قريش . قلت : صِفْه لى . قال : رجل شابٌّ حين دخَل فى الكُهولة ، بَدْء أمره يجتنب المظالم والمحارِم ويصل الرَّحِم ويأمر بصلتها ، وهو مُحْوِج كريم الطرفين متوسِّط فى العشيرة أكثر جنده الملائكة . قلت ما آية ذلك ؟ قال : قد رجفت الشامُ بعد عيسى بن مريم صلى الله عليهما وسلم ثلاثين رَجْفة كلها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة فيها مصائِب . قال أبو سفيان : فقلت هذا والله الباطل . فقال أُمية : والذى حلفتُ به إن هذا لهكذا .

ثم خرجنا فإذا راكب من خَلْفنا يقول : أصاب اهلَ الشام بعدكم رَجْفة دمّرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عامة . قال أبو سفيان : فأقبل علىّ أُمية فقال : كيف ترى قول النصرانى ؟ قلت : أرى والله إنه حق .

وقدمتُ مكة فقضيت ما معى ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجرا فمكثت بها خمسة

---

(١) ذكره ابن كثير فى سيرته ٣١١/١ عن أبى نعيم بسياق مطول ، ثم قال : وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق ، وإن كان فى رجاله من هو متكلم فيه .

أشهر ، ثم قدمت مكة فجاء الناس يسلّمون علىّ ويسألون عن بضائعهم ثم جاءنى محمد صلى الله عليه وسلم فسلّم على ورحّب بى وسألنى عن سَفرى ومُقَامى ولم يسألنى عن بضاعته ، ثم قال : فقلت لهند : والله إنّ هذا ليعجبنى ! ما من أحد من قريش له معى بضاعة إلا وقد سألنى عنها وما سألنى هذا عن بضاعته . قالت : وما علمت بشأنه ؟ إنه يزعم أنه رسول الله . فوقذَتْنى[1] ، وذكرتُ قول النصرانى . قلت : لهو أعقل من أن يقول هذا . قالت : بلى والله إنه يقول ذلك[2] .

خبر أبى سفيان عن أميّة

روى الطبرانى وأبو نعيم عن معاوية بن أبى سفيان عن أبيه قال : كنا بغزّة أو بإيلياء فقال لى أمية بن أبى الصلت : يا أبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة ؟ قلت : إيه عن عتبة ابن ربيعة . قال : كريم الطرفين ويجتنب المحارم والمظالم ؟ قلت : نعم وشريف مُسِنّ . قال : السنُّ أزْرَى به . قلت : كذبت بل ما ازداد سنا إلا ازداد شرفا . قال : لا تَعْجل علىّ حتى أخبرك . فقال : إنى أجد فى كتبى نبيًّا يُبعث من حَرّتنا هذه فكنت أظن أنى هو ، فلما دارسْتُ أهلَ العلم إذا هو من بنى عبد مناف ، فنظرت فى بنى عبد مناف فلم أجد أحدا يَصْلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة ، فلما أخبرتنى بسِنه عرفت أنه ليس به حين جاوزالأربعين ولم يوح إليه .

قال أبو سفيان : فرجعت وقد أوْحى الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فخرجت فى رَكْب فى تجارة فمررت بأُمية فقلت له كالمستهزئ به : خرج النبى الذى كنت تَنْعته . قال : أمَا إنه حق فاتَّبِعْه وكأنى بك يا أبا سفيان إن خالفته رُبطت كما يربط الجَدْى حتى يؤتى بك فيحكم فيك[3] .

والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) فى القاموس : وقذه : صرعه وغلبه . وفى أساس البلاغة : وشاة موقوذة ووقيذ : وقذت بالعصا حتى ماتت . ومن المجاز : وقذته العبادة ، ووقذتنى كلمة سمعتها .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى – مختصراً – ٤٦٩/١ ، وقد أورده ابن كثير بسياقه هنا مطولا عن الطبرانى ، سيرة ابن كثير ١٢٣/١ .

(٣) سيرة ابن كثير ١٢٩/١ ، عن الطبرانى .

خبر عبد الرحمن بن عوف عن عشكلان الحَبْر

روى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال : سافرت إلى اليمن قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بسَنة ، فنزلت على عشكلان بن عواكن الحِمْيرى ، وكان شيخا كبيرا وكنت لا أزال إذا قدِمْتُ اليمنَ أنزل عليه فيسألنى عن مكة وعن الكعبة وزمزم ويقول: هل ظهر فيكم رجل له نبه له ذِكْر ؟ هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم ؟ فأقول: لا . حتى قدمت القَدْمة التى بُعث فيها رسول الله صلىْ الله عليه وسلم فوافيته قد ضَعُف وثقل سمعه فنزلتُ عليه فاجتمع عليه ولده وولد ولده فأخبروه بمكانى فشُدَّت عصابة على عينيه وأُسْند فقعد فقال لى : انتسِبْ يا أخا قريش . فقلت : أنا عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عدىّ بن الحارث بن زُهْرة . قال : حسبك يا أخا زُهْرة ألا أبشرك ببشارة هى خير لك من التجارة ؟ قلت : بلى . قال : أُنبئك بالمعْجِبة وأُبشِّرك بالمرغِّبة ، إن الله تعالى بعث فى الشهر الأول من قومك نبيا ارتضاه صفيًا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ، ينهى عن الأصنام ويدعو إلى الإسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويُبْطله فقلت : ممن هو ؟ قال : لا من الأَزْد ولا ثمالَة ، ولا من سَرْو ولا تبَالة ، هو من بنى هاشم وأنتم أخواله ، يا عبد الرحمن أحْسن الوقعة وعجِّل الرجعة ثم امض وآزرْه وصدِّقه واحمل إليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذى المعالى ... وفالقِ الليل والصباح
إنك فى السرِّ من قريش ... يا ابن المفدَّى من الذبَاح
أُرْسلت تدعو إلى يقينٍ ... يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله ربِّ موسى ... أنك أُرسلت بالبِطَاح
فكن شفيعى إلى مليكٍ ... يدعو البَرايا إلى النجاح

قال عبد الرحمن : فحفظت الأبيات وأسرعت فى تقضِّى حوائجى وانصرفت فقدمت مكة فلقيت أبا بكر فأخبرته الخبر فقال : هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله رسولا إلى خَلْقه . فأتيته فى نفر فى بيت خديجة فلما رآنى ضحك وقال : أرى وجها خليقا أرجو خيرا ما وراءك ؟ قلت : وماذاك يا محمد ؟ قال : حملتَ إلىّ وديعة أم أرسلك مرسل إلى

برسالة هاتها . فأخبرته وأسلمت فقال : أما إن أخى حِميْر من خواص المسلمين ثم قال : «رُبَّ مؤمن بى ولم يرنى ومصدِّق بى وما شاهدنى أولئك إخوانى حقا .»[1]

خبر عروة بن مسعود الثقفى عن بعض الكهان والكواهن

ذكر أبو هاشم بن ظفر فى «خبر البِشَر» أن عروة بن مسعود الثقفى رضى الله تعالى عنه قال : خرجت فى تجارة لنجران قبل أن يظهر أمر محمد فجلست تحت سرحة منتبذا من أصحابى فإذا جاريتان تسوقان بُهْمًا إلى السَّرْحة ، فجلستا وأنا مضطجع فتناومت ، فقالت إحداهما للأُخرى : من هذا فيما تظنين يا ابنة الأكرمين ؟ قالت الأُخرى : هذا عروة ابن مسعود سيدٌ غير مَسُود ، جَوْد وعَصَر منجود . قالت : صدقت فمن أين هو وإلى أين ؟ فقالت الأُخرى : أتى من المعْقِل المنيف ، طائف ثقيف ينوى نجران ذات المخاليف فقالت : صدقت فما هو مصيب فى سفره هذا ؟ فقالت : يَسْهل طريقه ويَنْفَق سُوقه ويعلو فُوقه . قالت : صدقت فما عاقبة أمره ؟ قالت : يعيش زعيما ويتبع نبيا كريما ويتعاطى أمرا جسيما . فقالت : صدقت وما هذا النبى ؟ فقالت : داع مجاب ، له أمر عُجَاب ، يأتيه من السماء كتاب يَبْهر الألباب ويقهر الأرباب . قال عروة : ثم أمسكتا فغشينى النعاس ، فلما استيقظت لم أر لهما أثرا فلما بلغت نجران قال أسقفُها ـ وكان لى صديقا ـ : يا أبا يعفور هذا حينُ خروج نبىٍّ من أهل حَرمكم يهدى إلى الحق ، وحق المسيح إنه لخير الأنبياء وآخرهم فإن ظهر فكن أول من يؤمن به .

[تفسير الغريب]

السَّرْحة ـ بسين مفتوحة فراء ساكنة فحاء مهملات : الشجرة العظيمة .

منتبذا : منفردا .

البُهْم ـ بضم الباء الموحدة : صِغَار الغنم .

العَصَر ـ بعين وصاد مهملتين مفتوحتين ـ الملجأ .

المنجود : المكروب .

---

(١) ليس فى تهذيب ابن عساكر .

هوى : قصد أرضا غورا وأصله أن يخر من علو إلى سُفْل .

نوى : قصد

المنيف : المرتفع .

المخاليف : قرى تخلف القرية العظيمة فى المرافق وتنوب منابها ، واحدها مِخْلاف .

يعلو فُوقه – بضم الفاء وسكون الواو وضم القاف – هذا مثل يضرب للظَفر والعلو والجد وأصله فُوق السَّهْم .

زعيما : سيّدا .

خبر عمرو بن معدى كرب عن بعض الكهان

ذكر ابن ظفر أيضا أن أبا ثور عمرو بن معدى كرب رضى الله تعالى عنه قال : والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يُبعث . فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : فزعنا إلى كاهن لنا فى أمر نزلَ بنا ، فقال الكاهن : أُقْسم بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الأدراج والريح ذات العَجاج إن هذا لَإمْراج[1] ولِقَاح[2] ذى نتَاج . قالوا : وما نتاجه ؟ قال : ظهور نبىٍّ صادق بكتاب ناطق وحُسَام ذالق[3] . قالوا : أين يظهر وإلامَ يدعو ؟ قال : يظهر بصلاح ويدعو إلى فَلَاح ويُعَطِّل الأقْداح ، وينهى عن الراح والسِّفاح وعن كلِّ أمر قَبَاح . قالوا : ممن هو ؟ قال من ولد الشيخ الأكرم حافر زمزم ومُطْعم الطير المحوِّم والسباع الضرم . قالوا : وما اسمه ؟ قال : محمد ، وعزُّه سَرْمد ، وخصمه مكمد .

صلاح : من أسماء مكة . وتقدم ضبطه[4] .

خبر ابن الهيِّبان

روى البيهقى عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : هل تدرى عما كان إسلام أُسَيْد وثعلبة ابنى سَعْيَة وأسيد بن عبيد ، نفر من هُذَل لم يكونوا من بنى قريظة ولا النضير ، كانوا فوق ذلك . فقلت : لا .

---

(١) الإمراج : أن تلقى الناقة الولد غرساً ، أى على وجه جيلدة ساعة يولد فإن تركت عليه قتلته .

(٢) غير ط : ونفاج – واللقاح : الإبل . (٣) الذالق : الحديد الماضى .

(٤) انظر ص ٢٢٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب .

قال : فإنه قدِم علينا رجل من الشام . من يهود يقال له ابن الهَيِّبان فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس خيرا منه ، فقدِم علينا قبل مَبْعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين ، فكنا إذا قُحِطْنا وقلَّ علينا المطر نقول : يا ابن الهيِّبان اخرج فاستقِ لنا . فيقول : لا والله حتى تقدِّموا أمام مَخْرجكم صدقة . فنقول : كم ؟ فيقول : صاع من تمر أو مُدَّين من شعير . فنخرجه ثم يَخْرج إلى ظاهر حَرَّتنا ونحن معه فيستقى فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمرّ السحابُ . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة . فحضرتْه الوفاة فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فإنه إنما أقْدَمنى هذه البلدة أتوكَّف خروجَ نبى قد أظلَّ زمانه هذه البلاد مُهاجَره فأتبعه فلا تُسبَقُنَّ إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء وسَبْى النساء والذَّرارى ممن يخالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . ثم مات . فلما كانت الليلة التى فُتحت فيها قريظة قال أولئك الفتية ـ وكانوا شبابا أحداثا ـ : يا معشر يهود والله إنه الذى ذكر لكم ابن الهيِّبان . فقالوا : ما هو به . قالوا : بلى والله إنها لصفته . ثم نزلوا فأسلموا وخلَّوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم فى حصن مع المشركين ، فلما فتح رُدَّ ذلك عليهم[1] .

أسيد : وقع فى الرواية بضم الهمزة وفتحها وصوَّبه الدارقطنى وعبد الغنى .

سَعْية ـ بسين مفتوحة فعين ساكنة مهملتين فمثناة تحتية ويقال بالنون بَدَلها .

أتوكَّف : أنتظر وأستشعر .

أظلَّ زمانُه : أشْرَف عليكم وقَرُب .

خبر الحبْر من جُرْهم

روى ابن أبى خَيْثمة عن عِكْرمة أن نفرًا من قريش مرُّوا بجزيرة من جزائر البحر فإذا هم بشيخ من جُرْهم ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : من أهل مكة من قريش . فقال الشيخ ذات يوم : لقد طلع الليلة نجمٌ لقد بُعث فيكم نبىّ . فنظروا فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قد بُعث تلك الليلة .

---

(١) خبر ابن الهيبان هذا فى سيرة ابن هشام ٢١٣/١ وطبقات ابن سعد ١٦٠/١ ودلائل النبوة للبيهقى ٤٣١/١ . والاكتفا للكلاعى ٢٣٤/١ . وسيرة ابن كثير ٢٩٤/١ .

خبر الحبر من أهل بُصْرَى

روى ابن سعد والبيهقى عن طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه قال : حضرتُ سوق بصرى فإذا راهب فى صومعته يقول : سَلُوا أهل هذا الموسم : هل فيهم أحد من أهل الحرم ؟ فقلت : نعم أنا . قال : هل ظهر أحمد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الأنبياء مَخْرَجه من الحرم ومُهاجَره إلى نخل وحَرَّة وسِبَاخ ، فإياك أن تُسْبَق إليه . قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال . فقدمت مكة فقلت : هل كان من حدَث ؟ قالوا : نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبَّأ وقد تبعه ابن أبى قحافة . فخرجت سريعا حتى قدمت على أبى بكر فأخبرته بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فسُرَّ بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدَّهما فى حبل واحد فلذلك سمِّيا القرينين[1] .

خبر رئيس نجران

قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم ، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ختَم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى قَبْله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يمشى فعثَر ، فقال ابنه : تَعِس الأبْعد . يريد النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبوه : لا تفعل فإنه نبىّ واسمه فى الوضائع - يعنى الكتب . فلما مات لم يكن هَمُّه إلا أن شَدَّ فكسر الخواتم فوجد ذِكْر النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه فحج وهو الذى يقول :

إليك تَعْدو قَلِقا وَضِينُهـــا مُعْترضا فى بطنها جنينُهـــا

مخالفاً دينَ النصارى دينُها[2]

[تفسير الغريب]

نَجْران : بفتح النون وإسكان الجيم .

عَثَر : بفتح المثلثة ، والعَثْرة : الزَّلَّة .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ١/٥٦ . (٢) سيرة ابن هشام ١/٥٧٤ .

تعِـس : ـ بفتح العين وكسرها ـ ومعناه : عثر وانكب لوجهه .

الوضائع ـ بفتح الواو وبالضاد المعجمة وبعد الألف مثناة تحتية ثم عين مهملة : يعنى الكتب . زاد فى النهاية : التى تكتب فيها الحكمة .

الوَضِين ـ بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة وسكون المثناة التحتية : بطان : منسوج بعضه على بعض يُشَدُّ به الرَّحْل على البعير كالحِزَام للسرج ، أراد أنها قد هَزُلت ودقَّت للسير عليها .

الباب الثالث

فى حدوث الرجوم وحَجْب الشياطين من استراق السمع ، عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم

قال الله سبحانه وتعالى : « قُلْ » يا محمد للناس : « أُوحِيَ » أُخبرت بالوحى « إِنَّ أنه » الضمير للشأن « استمع » لقرآنى « نفرٌ من الجنِّ » جِن نَصِيبين أو نَينوى ، وكانوا سبعة أو تسعة وذلك فى صلاة الصبح ببطن نَخْلة موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذُكروا فى قوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضِى ولوا إلى قومهم منذرين[1] » والنفر ما بين الثلاثة والعشرة .

« فقالو » لقومهم لما رجعوا إليهم : « إنَّا سمعنا قرآنا عَجَبًا » وصف بالمصدر على سبيل المبالغة أى هو عجب فى نفسه لفصاحة لفظه وحُسْن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مُبَاينًا لسائر الكتب ، والعجب مَا خرج عن أشكاله ونظائره .

«يَهْدى » يدعو « إلى الرُّشْدِ » الإيمان والصواب « فآمَنَّا به » أى القرآن .

ولمّا كان الإيمان[2] به متضمنا الإيمان بالله تعالى وبوحدانيته وبراءته من الشِّرْك . قالوا : « ولَنْ نُشْرك » بعد اليوم « بربِّنا أحدًا . وأنه » الضمير للشأن فيه وفى الموضعين بعده « تعالَى » تعاظَم « جَدُّ ربِّنا » جلاله وعظمته عما نُسب إليه « ما اتَّخذ صاحِبة » زوجة « ولا ولدا » . بيان ذلك كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم[3] على خطأ ما اعتقدوه من الشِّرك واتخاذ الصاحبة والولد .

« وأنه كان يقول سَفِيهُنا » جاهلُنا إبليس أو مردَة الجن . « على الله شطَطًا » غُلوًّا فى الكذب بوصفه بالصاحبة والولد .

---

(١) سورة الأحقاف ٢٩ .

(٢) ط : ولما كان القرآن متضمنا الإيمان بالله .

(٣) ط : ما ينبههم . وص : مانبأهم .

ثم أخذوا يعتذرون عن اتباعهم للسفيه فى ذلك : « وأنَّا ظَنَنَّا أنْ » مخففة أنه « لن تقول الإنسُ والجنُّ على الله كذبًا » بوصفه بذلك ، حتى تبينا كذبهم بذلك .

« وأنه كان رجالٌ من الإنس يَعُوذون » يستعيذون . « برجالٍ من الجنِّ » حين ينزلون فى أسفارهم بمكان مَخُوف فيقول كل رجل أعوذ بسيِّد هذا المكان من شر سفهائه . « فزادُوهم » بعَوْذهم بهم « رَهَقًا » طغيانا ، فقالوا: سُدْنا الجنَّ والإنس « وأنَّهُم » أى الجن : « ظنُّو كما ظنَنْتم » يا إنس أو بالعكس . والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض ، أو استئناف من كلام الله تعالى ومَنْ فَتح « أنَّ » فيهما جعلهما من الموحَى به أى أنه « لن يبعث الله أحدا » بعد موته ، أو رسولا .

قال الجن : « وأنَّا لَمَسْنا السماء » طلبنا استراقَ السمع منها . واللمس مستعارٌ من المَس للطلب : « فوجَدْناها » صادفناها « مُلئت حرَسًا» حُرَّاسا اسم جمع كخَدَم : « شَدِيدا » قويًا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها « وشُهبا » جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار : «وأنا كنَّا » قبل مبعثه « نقْعد منها مقاعد » خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرَّصْد والاستماع « للسمع » صلة نقعد أو صفة لمقاعد . وفسر النبى صلى الله عليه وسلم كيفية قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى احترق الأعلى طلع الذى تحته مكانه وكانوا يستَرِقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون فيها ويزيد الكاهن مائة كذْبة . « فمن يستمع الآن » ظرف للحال ويستمع ظرف مستقبل فاتُّسع فى الظرف واستعمل للاستقبال « يجدْله شِهَابا رَصَدا » أى أرْصد له ليرمى به . هذا لمن استمع وأما السمع فقد انقطع كما قال الله تعالى : « إنهُم عن السَّمْع لمعزُولون[1] » .

ولمّا رأوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاسْتراق قالوا : « وأنَّا لا نَدْرى أشرٌّ أُريد » بعدم استراق السمع « بمَنْ فى الأرضِ أمْ أراد بهم ربُّهم رَشَدا » خيرا .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عرفت أنها مُنعت من السمع قبل ذلك لئلا يُشْكل الوحى بشىء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة[2] .

---

(١) سورة الشعراء ٢١٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٠٥ .

فآمنوا وصدقوا « ثم ولّوا » رجعوا إلى قومهم « مُنْذرين » مخوِّفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا . « قالوا يا قومنا إنّا سَمِعْنا كتاباً » هذا القرآن « أُنْزل من بعد موسى ، مصدِّقا لما بين يديه يهدى إلى الحقِّ » الإسلام « وإلى طريقٍ مستقيم » أى طريقة « يا قومَنا أجيبوا داعِيَ الله » محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان « وآمِنوا به يَغْفِرْ لكم من ذُنوبكم » أى بعضها وهو ما يكون فى خالص حق الله ، فإن المظالم لا تُغْفر بالإيمان ويُجْركم من عذاب أليم » مؤلم .

« ومن لا يُجبْ داعيَ اللهِ فليس بمُعْجِز فى الأرض » أى لا يعْجز الله بالهرب منه فيفوته « وليس له » لمن لا يجبْ « من دونه » أى الله « أولياء » أنصارا يدفعون عنه العذاب « أولئك الذين لم يجيبوا « فى ضلال مبين » بيِّن ظاهر .

* * *

لطيفة : مناسبة سورة الجن لما قبلها أنه لما حكى تمادِيَ قوم نوح صلى الله عليه وسلم ـ فى الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام ، وكان أولَ رسول إلى أهل الأرض ، كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسول إلى أهل الأرض ، والعرب الذين هو منهم كانوا عُبَّاد أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناما مثل أصنام أولئك فى الأسماء ، وكان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هاديًا إلى الرشد وقد سمعته العرب وتوقَّف عن الإيمان به أكثرهم ، أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الجن إثر سورة نوح تبكيتًا لقريش والعرب فى كونهم تباطأُوا عن الإيمان ، إذ كانت الجن خيرا منهم وأقْبَل إلى الإيمان ، هذا وهُمْ من غير جنس رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ومع ذلك فعندما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت وعرفوا كونَه مُعْجِزا ، وهم مع ذلك مكذِّبون له ولمن جاء به بَغْيا وحسدا أنْ ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده .

وروى الإمام أحمد والبيهقى عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس قال : إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الكلمة من الوحى فيهبطون إلى الأرض فيزيدون فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ـ فمُنعوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس فقال : لقد حدث فى الأرض حَدَث ، فبعثهم فوجدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ يتلو القرآن قالوا : هذا والله الحدَث . وإنهم ليُرْمَوْن فإذا توارى النجم عنكم فقيد أدركه

لا يخطئ أبدا ولكنه لا يقتله ، يحرق جَنْبه وجهة يده[1] :

وروى ابن سعد والبيهقى وأبو نُعَيْم من وجه آخر عن سعيد عنه قال : كان لكل قَبِيل من الجن مقعدٌ من السماء يستمعون منه الوحى فيخبرون به الكَهَنة فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ـ دُحِروا منه ، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن : هلك أهل السماء . فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيرًا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة ، وقال إبليس : لقد حدث فى الأرض حدث فأتونى من تُرْبة كل أرض . فأتوه بها فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال : من هاهنا الحَدث فنصَتوا فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بُعث[2] .

وروى البيهقى من طريق العَوْفى عنه قال : لم تكن السماء تُحْرَس فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يقعدون منها مقاعد للسمع ، فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ـ حُرست السماء حَرسًا شديدا ورُجمت الشياطين .

وروى محمد بن عمر الأَسْلمى وأبو نعيم عن ابن عمرو قال : لما كان اليوم الذى تنبّأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مُنعت الشياطين من خبر السماء ورُموا بالشُّهب فذكروا ذلك لإبليس فقال : بعث نبىٌّ عليكم بالأرض المقدسة . فذهبوا ثم رجعوا فقالوا : ليس بها أحد . فخرج إبليس يطلبه بمكة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بحراء منحدرا معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال : قد بُعث أحمد ومعه جبريل[3] .

ورويا أيضا عن أُبىّ بن كعب رضى الله عنه قال : لم يُرْمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى تنبأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رمى بها ، فلما رأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يُسَيِّبون أنعامهم ويعتقون أرِقّاءهم يظنون أنه الفناء وفعلت ثقيف مثل ذلك ، فبلغ عبدَ ياليل فقال : لاتَعْجلوا وانظروا فإن تكن نجوما تُعْرف فهو عند فَناء من الناس ، وإن كانت نجوما لاتُعْرف فهو عند أمر قد حدَث . فنظروا فإذا هى لاتُعْرف فأخبروه فقال : هذا عند ظهور نبى فما مكثوا إلا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال : ظهر محمد بن عبد الله يدَّعى أنه نبىٌّ مُرْسَل . فقال عبد يا ليل : فعند ذلك رُمِى بها[4] .

---

(١) ذكره نحوه ابن كثير فى سيرته ١/٤١٥ عن ابن عباس من طريق أبى نعيم .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٤١٦ .

(٣) سيرة ابن كثير ١/٤٢٠ عن الواقدى .

(٤) سيرة ابن كثير ١/٤١٧ .

عبد يالِيل - بمثناتين تحتيتين وكسر اللام الأولى ، وذكره ابن إسحاق فيمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى وفد ثقيف .

وروى سعيد بن منصور والبيهقى عن الشَّعْبِي قال : كانت النجوم لا يُرْمَى بها حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فرُمِى بها فسيَّبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم ، فقال عبد يالِيل : انظروا . وذكر مثله .

وروى ابن إسحاق وابن سعد عن يعقوب بن المغيرة بن الأَخْنس قال : إن أول العرب فزع لرمى النجوم ثَقِيف فأَتوا عمرو بن أُمية أحد بنى عِلاَج فقالوا : ألم تر ما حدَث ؟ قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التى يُهتدى بها ويُعْرف بها أنواء الصيف والشتاء انتثرتْ فهو طىّ الدنيا وذهاب هذا الخَلْق ، وإن كانت نجوما غيرها فأَمرٌ أراد الله تعالى ، ونبىّ يُبعث فى العرب . فقد تحدث بذلك عمرو بن أُمية هذا[1]

وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم عن الزُّهْرى قال : كان الوحى يُسْتمع فلما كان الإسلام منعوا وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سعير لها تابع من الجن فلما رأى الوحىَ لايستطاع أتاها فدخل فى صدرها وجعل يصيح : وضِع العِنَاق ورُفع الشِّقَاق وجاء أَمرٌ لايطاق ، أحمد حرَّم الزنا[2]

وروى محمد بن عمر الأَسْلمى وأبو نعيم عن نافع بن جُبَيْر قال : كانت الشياطين فى الفترة تسمع فلا تُرْمَى فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب .

ورويا أيضا عن عطاء عن ابن عباس وعن مجاهد . وأبو نعيم عن حجاج الصواف ، عن ثابت عن أنس . وأبو الشيخ عن عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس قال ابن عباس : كانت الشياطين يستمعون الوحى قالوا : فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم مُنِعوا فشكَوْا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمرٌ . فرقَى فوق أَبى قُبَيْس فرأى رسولَ الله صلى الله

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٠٦ . وطبقات ابن سعد ١/١٦٣ (ط بيروت) ونصه : فقد تحدث بذلك .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧ بروايات تشبهه . وطبقات ابن سعد ١/١٦٧ باختلاف أيضاً .

عليه وسلم يصلّى خلف المقام فقال : أذهب فأكسر عنقه . فجاء وعنده جبريل فركضه برجله فألقاه بوادى الأردنّ[1] .

وروى الخرائطى فى الهواتف[2] عن سعيد بن جبير أن رجلا من بنى تميم حدّث عن بدء إسلامه فقال : إنى لأسير برمل عالجٍ ذات ليلة إذ غلبنى النوم ونمت فنزلت عن راحلتى وأنختها ونمت وقد تعوّذت قبل نومى . فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن . فرأيت فى منامى رجلا بيده حَرْبة يريد أن يضعها فى نَحْر ناقتى ، فانتبهتُ فَزِعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئاً فقلت . هذا حُلْم . ثم عدت فغفَوْت فرأيت مثلَ ذلك فانتبهت فدُرْت حول ناقتى فلم أر شيئاً وإذا ناقتى تُرْعِد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى تضطرب والتفتُّ فإذا أنا برجل شاب كالذى رأيته فى منامى وبيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يردُّه عنها ، فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثْوار من الوحش فقال الشيخ للفتى : قم فخذ أيّها شئت فداء لناقة جارى الإنْسىّ . فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف ثم التفت إلىّ الشيخ وقال : يا فتى إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هَوْلَه فقل : أعوذ بالله ربِّ محمد من هَوْل هذا الوادى . ولا تَعُذْ بأحد من الجن فقد بَطل أمرُها . فقلت له : ومن محمد ؟ قال : نبى عربىّ لا شرقى ولا غربىّ ، بُعث يوم الاثنين . قلت : أين مسكنه ؟ قال : يثرب . ذات النخل . فركبت راحلتى حين برَق لى الصبح وجَدَّيتُ السَّير حتى أتيت المدينة فرآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدَّثنى قبل أن أذكر له شيئا ودعانى إلى الإسلام فأسلمت .

وروى مسلم وابن إسحاق عن ابن عباس عن نفر من الأنصار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم : « ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرْمَى به فى الجاهلية » ؟ قالوا : يا نبى الله كنا نقول حين رأيناها يُرْمَى بها : مات ملِك ، مَلك مَلِك ، ولِد مولود مات مولود . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : « ليس ذلك كذلك ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان إذا قضَى فى خلقه أمراً سمعه[3] حملة العرش فسبَّحوا فسبَّح من تحتهم لتسبيحهم ،

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٤٢٠ عن الواقدى وفيه : فركضه جبريل ركضة طرحه فى كذا وكذا .

(٢) يريد كتابه « هواتف الجان » وهو مخطوط .

(٣) ص : يسمعه .

فسبَّح من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبِّحوا ، ثم يقول بعضهم لبعض : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : سبَّح مَنْ فوقنا فسبَّحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون من فَوْقكم مم سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا إلى حَملة العرش فيقال لهم : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله تعالى فى خَلْقه كذا وكذا لِلأمر الذى كان فيهبط به الخبرُ من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيتحدثون به ، فتَسْرِقه فتَسْترقه الشياطينُ بالسمع على توهُّم واختلاف ، ثم يأْتون به الكُهَّان فيحدثونهم فيخطئون بعضًا ثم إن الله تعالى حجَب الشياطين بهذه النجوم التى يُقْذَفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة[1] » .

ويروى عن لُهَيْب[2] بن مالك اللَّهْبى قال : حَضَرْتُ عند النبى صلى الله فقلت : بأبى أنت وأمى نحن أول من عرف حراسة السماء والشياطين ومنهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنَّا اجتمعنا إلى كاهن يقال له خَطَر بن مالك ، وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة فقلنا : يا خطر هل عندك عِلْم من علم هذه النجوم[3] التى يُرْمَى بها فإنا قد فزعْنا لها وخِفْنا سوء عاقبتها . فقال : ائتونى بسحَر ، أخبركم الخبر ، الخير أم الضرر والأمن أم الحذَر[4]

قال : فانصرفنا عنه يومَنا ، فلما كان من غد فى وجه السَّحَر أتيناه فإذا هو قائم على قدميه شاخص ببصره إلى السماء ، فناديناه : يا خطر يا خطر . فأومأ إلينا أن أمسِكوا فأمسكْنا ، فانقضَّ نجمٌ عظيم من السماء ، فصرخ الكاهن رافعا صوته .

أصابه أصابه خامَره عِقابه
عاجَله عذابُه أحرقَه شِهابُه
زايله جوابُه
يا وَيْحه ما حالُه بَلْبَله بلبالُه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٠٧ والاكتفا للكلاعى ١/٢١٥ .
(٢) ص : عن كعب بن مالك . وما أثبته عن بقية النسخ موافقاً الاكتفا للكلاعى .
(٣) الاكتفا : هل عندك علم بهذه النجوم . (٤) الاكتفا : أخير أم ضرر ، أو أمن أو حذر .

عاوَدَه خَبالُـــه تقطعت حِبـالـه
وغيَّرتْ أحوالُـه

ثم أمسك طويلا وقال :

يـــا معشـــر بنى قحطـان أخبركمُ بالحـــقِّ والعِيـانِ
أقسمتُ بالكعبة ذات الأركان والبلـدِ[1] المؤتمن السُّـــدَّانِ
لقد مُنع السمعَ عُنَاةُ الجـانِّ بشاقبٍ بكفِّ ذى سلطانِ
من أجل مبعوثٍ عظيم الشانِ يُبْعَث بالتنزيلِ والقـرآنِ
وبالهـدَى وفاصِل الفرقان تبطل به[2] عبادة الأوثان

فقلنا : يا خطر ما ترى لقومك ؟ قال :

أرَى لقومى ما أرى لنفسى أن يَتْبعوا خيـر بَنىِّ الإنسِ
بُرْهانه مثلُ شعاع الشمسِ يُبعَث فى مكة دار الحُمْسِ
بمُحْكم التنزيل غير اللَّبْسِ.

فقلنا : يا خطر وممن هو ؟ فقال : والحياة والعيش ، إنه لمن قريش ، ما فى حُكْمه[3] طَيْش ، ولا فى خُلقه هَيْش[4] ، يكون فى جيش وأىّ جيش ، من آل قحطان وآل أيْش .

فقلنا : بيِّن لنا من أىِّ قريش هو ؟

فقال : والبيت ذى الدعائِم ، إنه لمن نجل هاشم ، من معشر أكارم ، يُبْعث بالملاحم ، وقتل كلِّ ظالم .

ثم قال : هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان . ثم قال : الله أكبر جاء الحق وظهر ،

---

(١) الأصل : والبيت . وما أثبته من الاكتفا للكلاعى ٢١٧/١ ، وبه يستقيم الوزن ، وقد كنت أثبته هناك على أنه صحيح ، ولكنه يندرج فى الرجز .
(٢) الأصل : يبطل عبادة الأوثان — وما أثبته من الاكتفا ، وبه يستقيم الوزن .
(٣) الاكتفا : ما فى حلمه . (٤) الهيش : الإفساد .

وانقطع عن الجن الخبر ، ثم مسكت وأغمى عليه فما أفاق إلا بعد ثالثة فقال لا إله إلا الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله لقد نطق عن مِثْل نبوّة وإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة » .

رواه أبو جعفر العُقَيْلى فى كتاب الصحابة[1] .

والآثار فى هذا كثيرة وفيما ذكر كفاية .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال القرطبي : اختُلف فى الشِّهاب هل يَقْتل أم لا ؟ فقال ابن عباس : إنه لا يخطئ ولكن يجرح ويُحْرق ويَخْبِل[2] ولا يَقْتل .

وقال الحسن وطائفة : يقتل .

فعلى هذا القول فى قتلهم بالشهب قبل إلقائهم السمع إلى الجن قولان .

أحدهما أنهم يُقْتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم . فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء وبذلك انقطعت الكهانة .

والثانى : أنهم يُقْتلون بعد إلقائهم ما استرقُوا من السمع إلى غيرهم من الجن ولذلك ما يعودون إلى استراقه ولو لم يصل لانقطع الاسترق وانقطع الإحراق[3] . ذكره الماوردى . قال القرطبي : والأول أصحّ .

قلت : روى سعيد بن منصور والبخارى وأبو داود والترمذى وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان يَنْفذُهم ذلك فإذا فزِّع

---

(١) الاكتفا ١/٢١٦ - ٢١٨ .

(٢) يخبل : يمنع ، يقال خبله عنه يخبله : منعه . (٣) ت ، م : الاحتراق .

عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : الذى قال الحق وهو العلىّ الكبير . فيسمعها مُسْترِقُوا السمع ومسْترَقوا السمع هكذا واحداً فوق آخر - وصَفَ[1] سفيان بيده وفرّج بين أصابعه نصَبها بعضها فوق بعض - فيسمع الكلمة فَيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرَكه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيَكْذب معها مائة كذْبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا . فيصدَّق بتلك الكلمة التى سُمعت من السماء[2] . انتهى .

فى قوله « فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه » إلى آخره ، ما يجمع بين القولين السابقين .

وأما قول السُّهيلى رحمه الله تعالى : لولا . أن الشهاب قد يُخْطىء الشيطانَ لم يتعرض له ، أى الاستماع ، مرة أخرى . فجوابه - كما أشار إليه الحافظ فى الفتح - : أنه يجوز أن يقع التعرض مع تحقق الإصابة لرجاء اختطاف الكلمة وإلقائها قبل إصابة الشهاب ثم لا يبالى المختطف بالإصابة لِمَا طُبع عليه من الشر .

وقال أبو عثمان الجاحظ[3] : فإن قيل كيف تعرَّض الجن لإحراق أنفسها[4] بسبب سماع خبر بعد أن صار ذلك معلوما لهم ؟ فالجواب : أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تَعْظم المحنة[5] .

الثانى : قال بعضهم : ظاهر القرآن والأحاديث يقتضى أن الرجم[6] بالنجوم نفسها . وقال القرطبى : ليست الشُّهب التى يُرْجَم بها من الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤية حركاتها ، والثابتة لا تجرى ولا تُرى حركاتها لبُعدها . وقال فى موضع آخر : قال العلماء : نحن نرى

---

(١) ط : وجنب .

(٢) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب ٣٢ وكتاب التفسير سورة الحجر وسورة سبأ وسنن الترمذى كتاب التفسير سورة سبأ . وسنن ابن ماجه المقدمة باب ١٣ .

(٣) الأصل : الحافظ . وهو تحريف . (٤) ص : أنفسهم . وط : نفسها .

(٥) انظر رأى الجاحظ فى ذلك ، فى كتابه الحيوان ٦/٢٦٨ ، ٢٧١ .

(٦) غير ط : أن الرمى .

انقضاضَ الكواكب فيجوز أن يكون ذلك كما نرى ثم يصير نارا إذا أدرك الشيطان ، ويجوز أن يقال يُرْمَوْن بشعلة من نار من الهواء فيخيَّل إلينا أنه نجم يُرى .

وقال فى موضع آخر : الكواكب الراجمة هى التى يراها الناس تنقضّ . قال النقاش ومكى : وليست بالكواكب الجارية فى السماء لأن تلك لا تُرَى حركتها ، وهذه الراجمة تُرَى حركتها لأنها قريبة منا .

وقال الإمام أبو عبد الله الحَليمى فى منهاجه : ليس فيما نتلوه من كلام ربنا عز وجل أن الشيطان يُرْمى بالكواكب أو النجوم . ثم أطال الكلام فى تقرير أن الرمى إنما هو بالشُّهب وهى شُعَل النار ، وجعَل المصابيح كناية عن الشعل لا النجوم .

وقال الإمام شهاب الدين أبو شامة رحمه الله تعالى : الشهابُ فى اللغة اسم للشُّعْلة الساطعة[1] من النار ثم أُطلق على النجم المُرْصَد لرجم الشياطين المسترقين للسمع لأنها لمّا عيِّنت لرجم الشياطين وهى الشُّعَل من النار ، أُطلق عليها لفظ الشهب لهذه الملابسة والمجاورة مجازا .

وهذا ظاهر كلام الشقْرَاطِيسىّ فإنه[2] لما جعل ثواقبَ الشهب رامية بالشُّعَل دلَّ على أن الشهب عنده هى النجوم المرصدة لذلك . ثم قال : والمصابيح هى النجوم التى جعلها الله تعالى راجمةً للشياطين بالشهب ، لا أنّ النجوم تنقضّ بأنفسها خلف الشياطين . ثم نقل كلام الحَليمىّ ثم قال : لا خفاء أنه قد جاء الرمىُ بالنجوم مصرَّحا فى الأحاديث وفى شعر العرب القديم . ففى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : أخبرنى رجالٌ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الأنصار قالوا : بينما هم جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رُمِى بنجم فاستنار[3] . الحديث .

وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن مَعْمَر عن الزُّهْرى أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم أكان فى الجاهلية قال : نعم ولكنه إذا جاء الإسلام غلُظ وشدِّد .

ثم ذكر أبو شامة شاهدين من كلام العرب القدماء ثم قال : فى الجمع بين هذين

---

(١) ت ، م : الساقطة .
(٢) انظر ترجمته فى الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٣٠ .
(٣) صحيح مسلم كتاب السلام حديث رقم ١٢٤ ، وسنن الترمذى كتاب التفسير سورة سبأ ، ومسند أحمد ٣٨٩/٦ .

وما تقدم وجهان : أحدهما أن هذا جاء على حذف المضاف للعلم به وتقديره : رمى بنار نجم وانقضّ انقضاض[1] نار الكواكب وهى الشُّعَل المعبَّر عنها بالشهب . فقد أخبر الله تعالى فى كتابه أن الذى يتبَع مُسْترق السَّمع « شهابٌ مُبينٌ »[2] وقال فى موضع آخر : شهابٌ ثاقِب »[3] والشهاب عبارة عن شعلة نار وبها يحصل إحراق الجنّى .

الوجه الثانى : أن يكونوا أطْلقوا لفظ النجوم على الشُّهب تجوُّزاً ، كما أطلقوا لفظ الشهب على النجوم لملابسة كلٍّ واحد منهما الآخر[4] على ما قدَّرناه من أن النجوم تَرْمى الجن بشُعَل النار .

وقال شيخه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى أماليه : إن الذى يرجم به شُهُب تُخْلَق عند الرَّجْم . ولذا قال أبو على فى قوله تعالى « وجعَلْناها رُجوماً للشياطين »[5] : الهاء عائدة على السماء ، التقدير : وجعلنا شُهبها . على حذف المضاف ، فصار الضمير للمضاف إليه . انتهى .

الثالث : قال الإمام أبو عبد الله الحَلِيمىّ رحمه الله تعالى : فإن قيل هذا القذف كان لأجل النبوة ، فلم دام بعدَ النبى صلى الله عليه وسلم ؟

فالجواب : أنه دام بدوام النبوة فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر ببطلان الكهانة ، فلو لم تُحْرس السماء بعد موته لعادت الجنُّ إلى تسمُّعها وعادت الكهانة ، ولا يجوز ذلك بعد أن بطل لأن قطع الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشُّبهة فى ضعفاء المسلمين ولم يُؤمَن أن يظنوا أن الكهانة إنما عادت لتناهى النبوة ، فصحَّ أن الحكمة تقتضى دوام الحراسة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : فإن قيل : إذا كان الرمى بها غُلِّظ وشُدِّد بسبب نزول الوحى ، فهلا انقطع بانقطاع الوحى بموت النبى صلى الله عليه وسلم ونحن نشاهدها الآن يُرمَى بها ؟

---

(١) ط : انتقاض .
(٢) سورة الحجر ١٨ .
(٣) سورة الصافات ١٠ .
(٤) ط : بالآخر .
(٥) سورة الملك ٥ .

فالجواب : يؤخذ من حديث الزُّهْرى المتقدم ، ففيه عند مسلم قالوا : كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنها لا تُرْمَى لموت أحد ولا حياته ، ولكن ربَّنا إذا قضى أمراً أخبر أهلُ السموات بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر السماء الدنيا فتَخْطِف الجنُّ السمعَ فيقْذفون به إلى أوليائهم . فيؤخذ من ذلك أن سبب التغليظ والحفظ لم ينقطع لِمَا يتجدد من الحوادث التى تُلْقى بأمره إلى الملائكة ، وأنّ الشياطين مع شدة التغليظ عليهم فى ذلك بعدَ المبعث لم ينقطع طمعهم من استراق السمع فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف بما بعده ؟ . وقد قال عمر لغَيْلان لما طلَّق نساءه : إنى أحسِب أن الشياطين فيما تَسْترق من السَّمْع سمعت بأنك ستموت فألقت إليك ذلك الحديث . رواه عبد الرزاق وغيره . فهذا ظاهر فى أن استراقهم للسمع استمرَّ بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يقصدون استماع الشيء مما يحدث فلا يصلون إلى ذلك إلا أن يَخْطِف أحدهم بخفة حركته خَطْفة فيتبعه الشهاب فإن[1] أصابه قبل أن يلقيها لأصحابه مات وإلا سمعوها وتداولوها .

* * *

الرابع : هل كانت الشياطين تُقْذَف بالشهب قبل المبعث أم حدَث القذف بها بعده ؟

اختلف العلماء رضى الله تعالى عنهم فى ذلك على قولين :

نقل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى فى تفسيره عن الأكثرين الأول . وبه جزم السُّهَيلى والشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى فى أماليه وتلميذه الشيخ أبو شامة فى شرح الشقْراطيسيّة[2] وغيرهم وصححه غير واحد واحتجوا بقوله تعالى : « إنَّا زَينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب . وحِفْظاً مِن كلِّ شيطانٍ مارد لا يسَّمعون إلى الملإِ الأَعْلى ويُقْذَفون من كلِّ جانبٍ[3] » وبقوله تبارك وتعالى : « وحَفظناها من كل شيطانٍ رجيم إلا من استرق السمعَ فأتبعه شهابٌ مبين[4] » .

---

(١) غير ط : فإذا .

(٢) سبق التعريف بها فى الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٣٠ .

(٣) سورة الصافات ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٤) سورة الحجر ١٧ ، ١٨ .

قال الزركشى فى شرح البُرْدة فهذه الآيات تدل على وجود الرجم قبل المبعث ، لأنها خُلقت لذلك . وكذا قوله تعالى « وأنا لمسْنا السماء فوجدناها مُلئت حَرَسًا شديدا وشُهباً[1] » وهذا إخبار عن الجن أنه كان الرجم موجودا لكنه ليس يستأصل وأنه زِيد فى حرس السماء حتى امتلأت .

وقال الإمام العلامة شمس الدين الهَروى فى شرح مسلم : وفى هذه الآية دليل على أن الحادث هو الملأ والكثرة ، وأنهم كانوا فى الأول يقعدون من السماء مقاعدَ لاستراق السمع ويجدون بعض المقاعد غير خالية من الحرس والشُّهب ، والآن ملئت المقاعد كلها ولم يبق مَقْعَد من المقاعد خاليا . وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى ذكر فائدتين فى خَلْق الكواكب فى قوله : « ولقد زيَّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رُجوماً للشياطين »[2] وفى قوله تعالى : « إنا زيَّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحِفْظاً من كلِّ شيطان مارد » .

وروى عبد الرزاق فى تفسيره عن مَعْمَر قال : قلت للزُّهْرى : أَوَ كان يُرمى به - أى النجم - فى الجاهلية ؟ قال نعم . قلت : يقول الله عز وجل « وأنا كنا نَقْعد منها مَقاعِدَ للسمع فمن يستمع الآن يجدْ له شِهاباً رَصَداً » قال : غلِّظت وشُدِّد أمرها حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقى: وهذا يوافق ظاهر القرآن لأنه قال خبرا عن الجن : « وأنا لمَسْنا السماء فوجَدْناها مُلئت حرساً شديداً وشُهبا »: وأخبرت الجن أنه زِيد فى حراسة السماء وشُهبها حتى امتلأت منها ومنهم . وفى ذلك دليل على أنه كان قبل ذلك فيها حُرَّاس وشهب مُعَدَّة معهم .

واستدلوا أيضاً بما رواه مسلم عن ابن عباس قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الأنصار إذ رُمى بنجم فاستنار ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما كنتم تقولون لمثل هذا فى الجاهلية إذا رأيتموه ؟ الحديث . وتقدم بتمامه .

واستدلوا أيضاً بما جاء فى أشعار العرب القديمة من ذكر ذلك ، كأَوْس بن حَجَر وعوف ابن الجذع وبِشْر بن أبى خازم .

---

(١) سورة الجن ٨ .

(٢) سورة الملك ٥ .

ورجّح جماعةٌ الثانى[1] وهو الذى صَحَّ عن ابن عباس وبه قال أُبَىّ بن كعب والشَّعْبى ونافع بن جُبَيْر وصححه أبو عثمان الجاحظ ومال إليه ابنُ الجَوْزىّ وغيره ، واستدلوا بأن ذلك ظاهر الأخبار لإنكار الشياطين للرمى وطلبهم سَبَبَه[2] ولهذا كانت الكهانة فاشيةً فى العرب ومرجوعًا إليها حُكْمُهم ، حتى قُطع سببها بأن حِيلَ بين الشياطين وبين استراق السمعْ .

وجمع المحققون بين الأخبار فقال القرطبى : يُجْمع بأنها لم يكن يُرْمَى بها قبل المبعث رميًا يقطع الشياطين عن استراق السمع ، ولكن تُرْمى تارةً ولا تُرمى أُخرى ، وتُرمى من جانب ولا ترمى من جانب ، ولا ترمى من جميع الجوانب . ولعل الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى « ويُقْذَفون من كلِّ جانب دُحُورًا » .

وقال فى موضع آخر : لا يبعد أن يقال : انقضاض الكواكب كان فى قديم الزمان ، ولكنه لم يكن رُجومًا للشياطين ثم صار رجومًا حين وُلد النبى صلى الله عليه وسلم[3] . انتهى. وفى هذا نظر .

وقال الحافظ : قد وجدت عن وهب بن مُنَبِّه ما يرفع الإشكال ويجمع بين مختلفِ الأخبار . قال : كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن يتقلب فيهنّ كيف شاء لا يُمْنع منذ أُخرج آدم إلى أن رُفع عيسى عليه الصلاة والسلام فحُجب من أربع سموات ، فلما بُعث نبينا صلى الله عليه وسلم حُجب من ثلاث ، فصار يَسْتَرق السمع هو وجنوده ويُقْذَفون بالكواكب .

ويؤيده ما روى الطَّبَرِىّ من طريق العَوْفِى عن ابن عباس قال : لم تكن السماء تُحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد ، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم حُرست حرسًا شديداً ورُجمت الشياطين فأنكروا ذلك .

ومن طريق السُّدّى قال : إنّ السماء لم تكن تُحرس إلا أن يكون فى الأرض نبىّ أو دِين

---

(١) يريد الرأى الثانى فى قوله قبل : هل كانت الشياطين تقذف بالشهب قبل المبعث أم حدث القذف بها بعده .

(٢) غير ط : بسببه .

(٣) انظر تفسير القرطبى فى سورة الحجر الصافات والجن

ظاهر ، وكانت الشياطين قد اتخذت مقاعدَ يستمعون فيها ما يَحْدُث ، فلما بُعث محمد رجمُوا .

وقال الإمام زين الدين بن المنيِّر رحمه الله تعالى : ظاهر الخبر أن الشهب كانت يُرْمَى بها ، وليس كذلك لما دل عليه حديث مسلم . وأما قوله تعالى : « فمن يستمع الآن يجدْ له شهابًا رَصَدًا » فمعناه أن الشهب كانت يرمَى بها فتصيب تَارةً ولا تصيب أخرى وبعد البعثة أصابتهم إصابة مستمرة فوصفوها لذلك بالرّصد ، فإن الذى يَرْصُد الشيء لا يخطئه ، فيكون المتجدد دوام الإصابة لا أصلها[1] .

* * *

الخامس : فى بيان غريب ما سبق :

الشهاب : تقدم بيانه .

عِلَاج : بكسر العين المهملة وبالجيم . أَنْكَرها : يروى بالنون وبالباء الموحدة ، فمن رواه بالنون فمعناه : أَدْهاها رأيًا من النَّكْر بفتح النون وهو الدهاء . ومن رواه بالباء فمعناه : أشدهم ابتداء لرأيٍ لم يُسْبق إليه ، من البُكور فى الشيء .

مَعَالم النجوم : يعنى النجوم المشهورة .

الأَنْواء : جمع نَوْء وهو بفتح النون مهموز الآخر ، وهو سقوط نجم من المنازل فى المغرب من الفجر وطلوع رَقِيبه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ثلاثة عشر يوماً . قال أبو عبيد : وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السَّنَة ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يومًا . قال أبو عبيد : ولم يُسمع فى الأنواء أنه السقوط إلا فى هذا الموضع ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحرّ والبَرْد إلى الساقط منها . وقال الأصمعى : إلى الطالع منها فى سلطانه ، فيقولون مُطِرْنا بنَوْء كذا ونهى الشارع عن قول هذا اللفظ .

خَطِرَ : بخاء معجمة فطاء مهملة .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/٥٦ (ط الميمنية) والخصائص الكبرى ١/٢٧٥ .

الباب الرابع

فى بعض ما سمع من الهواتف وتنكُّس الأصنام

روى ابن سعد عن تميم الدرِىّ قال : كنت بالشام حين بُعث النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت إلى بعض حاجتى فأدركنى الليل فقلت : أنا فى جوار عظيم هذا الوادى فلما أخذت مضجعى إذا مناد ينادينى لا أراه : عُذْ بالله فإن الجن لا تُجير أحدًا على الله . فقلت : أيَّمَ تقول ؟ فقال : قد خرج رسولُ الأُمّيين رسول الله وصلَّينا خلفَه بالحَجُون وأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيدُ الجن ورُميت بالشهب فانطلقْ إلى محمد وأسْلم

فلما أصبحت ذهبت إلى دَيْر أيوب فسألت راهبًا وأخبرته الخبر فقال : صدَق ، نجده يخرج من الحرَم ومُهَاجَره الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسْبَقْ إليه .

قال تميم : فتكلفت الشُّخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

[تفسير الغريب]

مَضْجَعى : بفتح الجيم ، وحكى الكسر .

أيم : قال فى الثور : وجدته بخط ابن قُرْقول[2] مضبوطًا بفتح الياء وإسكان الميم وأظنه وهمًا ، والصواب بفتح الهمزة وتشديد الياء وإسكانها وهما لغتان . والميم مفتوحة . قال فى النهاية : أصله أىّ ما . أى : أىّ شىء هو ، فخفف الياء وحذف ألف ما .

الحَجُون : بفتح الحاء وضم الجيم : جبل بمكة .

دَيْر أيوب : قرية بحوران .

تُسْبَق : بضم أوله وفتح الموحَّدة مبنى للمفعول .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٣٧٣ . والخصائص الكبرى ١/٢٦٦ ، كلاهما عن أبى نعيم .

(٢) ابن قرقول : إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهرانى الحمرى عالم بالحديث من أدباء الأندلس . الأعلام ١/٧٦ .

الشُّخُوص : بضم الشين والخاء المعجمتين فواو ساكنة فصاد مهملة : يقال شخص من البلد شُخوصًا إذا ذهب . وأشْخَصه غيرُه : أزعجه .

* * *

وروى البخارى[1] عن عبد الله بن عمر مختصرًا ، وابن إسحاق عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، وابن الجوزى عن محمد بن كعب القُرَظى ، وأبو يَعْلى ، والبيهقى والخرائطى عن سواد بن قارِب مطوَّلا قال ابن عُمَر ومحمد : إن عمر بينما هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجلٌ من العرب ، قال الخُشَنى : وهو سواد بن قارب . انتهى . داخلٌ المسجدَ يريد عمرَ بن الخطاب ، فلما نظر عمر إليه قال : إن الرجل لَعلَى شِرْكه ما فارقه بعدُ أو لقد كان كاهنًا فى الجاهلية . فسلَّم الرجل[2] ثم جلس فقال له عمر : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهل كنت كاهنًا فى الجاهلية ؟ فقال له الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فىَّ واستقبلتنى بأمرٍ ما أراك قلتَه لأحد من رعيّتك منذ وليت ما وليت .

فقال عمر : اللهم غَفْرا قد كنا فى الجاهلية على شرّ من هذا، نعبد الأصنام والأوثان حتى أكرمنا الله تعالى برسوله وبالإسلام . قال: نعم يا أمير المؤمنين كنتُ كاهنًا فى الجاهلية .

قال : فأخبرنى ما جاءك به صاحبك .

قال : جاءنى قبيل الإسلام بشهر أو شَيْعه[3] . انتهى .

وقال سواد بن قارب : بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتانى رَئِيّ[4] فضربنى برجله وقال : قم يا سواد بن قارب أتاك رسولٌ من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته . فرفعت رأسى وجلست فأدبر وهو يقول :

عجبتُ للجنِّ وتَطْلا بهـــا ... وشَدِّهـا العِيسَ بأقتابهـــا

تَهْوِى إلى مكة تبغى الهُـدَى ... ما صادقُ[5] الجنِّ ككذَّابهـا

فارحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... ليس قُدَامَاهـا كأدبارهـا[6]

---

(١) ط : وروى عن عبد الله بن عمر .

(٢) ط : فلما سلم الرجل .

(٣) فى القاموس : « يقال : آتيك غدا أو شيعه أى بعده » .

(٤) ت ، م : إذ أتانى آت .

(٥) ص : ما مؤمنوا الجن .

(٦) ط : كأذنابها .

قال : فقلت دعنى أنام فإنى أمسيت ناعسًا .

قال : فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وأخبارهـــا ... ورَحْلهـا العِيسَ بأكْوارهَـا
تَهْوى إلى مكة تبغى الهُدَى ... ليس ذوو الشرِّ كأخيارهـــا
فارحلْ إلى الصفوة من هـاشم ... ما مؤمنوا الجن ككفارهـــا

قال : قلت دَعْنى أنام فإنى أمسيت ناعسًا . فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بُعث رسول من لُؤَىّ بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتَجْسَاسـها ... وشدِّها العِيسَ بأَحْلَاسِـها
تهوى إلى مكة تبغى الهـدى ... ما خَيِّرُ الجـن كأنجاسِـها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... وارم بعيسيك إلى رَأْسِـها

فقمت وقلت : قد امتحن الله قلبى . فرَحلْتُ ناقتى ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله فدنوت منه فقلت : اسمع مقالتى يا رسول الله . قال : هات . فأنشأت أقول :

أتانى رَئِيٌّ بعد هَدْءٍ ورَقْـدة ... ولم يكُ فيما قد بلَوْتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليـلة ... أتاك رسولٌ من لؤىٍّ بن غالبِ
فشمَّرْت عن ذيلِ الإزارِ ووسَّطتْ ... بى الذِّعْلب الوَجْناء بين السَّبَاسِبِ
فأشهد أنَّ الله لا ربَّ غيره ... وأنك مأمونٌ على كل غائبِ
وأنك أدْنَى المرْسَلين وسيلةً ... إلى الله يا بن الأكرمين الأطايبِ
فمُرْنا بما يأْتيك من وَحْى ربِّنا ... وإن كان فيما جاء شَيْب الذوائبِ
وكن لى شفيعًا حين لا ذو قرابة ... بمُغْنٍ فَتِيلا عن سوادِ بن قاربِ

قال : ففرح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه بمقالتى فرحا شديدا حتى رئى الفرحُ فى وجوههم .

قال عبد الله : فقال عمر عند ذلك يحدِّث الناس : والله إنى لَعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش يقال لهم آل ذَرِيح قد ذبح لهم رجل من العرب عِجْلا فنحن ننتظر قَسْمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العِجْل صوتا ما سمعت قط أنفذَ منه وذلك قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه وهو يقول يا آل ذَرِيح . وفى لفظ . يا جَلبح ، أمرٌ نَجِيح ، رجل فَصِيح يقول . لا إله إلا الله[1]

وروى هشام بن محمد بن السائب عن عَدِىّ بن حاتم قال : كان لى عَسِيف من كلب يقال له حابس بن دُغُنَّة فبَيْنا أنا ذات يوم إذا به مروِّع الفؤاد فقال : دونك إبلَك . فقلت : ما هاجَك ؟ قال بَيْنا أنا بالوادى إذا أنا بشيخ من شِعْب جبل تِجَاهى كأن رأسه رَخَمة[2] فانحدر عما تَزِلُّ عنه العُقَابُ وهو مترسِّل غير منزعج حتى استقرت قدماه فى الحضيض وأنا أعظم ما أرى فقال :

يا حابس بن دُغُنةٍ يا حابس ... لا تَعْرِضَنْ لفِعلك[3] الوساوِسْ

هذا سَنَا النور بكفِّ قابِس[4] ... فاجنح إلى النور ولا تُغابِسْ[5]

قال : ثم غاب فروَّحت إبلى وسرَّحتها إلى غير ذلك الوادى ، ثم اضطجعت فإذا راكب قد ركَضنى فاستيقظت فإذا هو صاحبى وهو يقول :

يا حابس اسمع ما أقول تَرْشُدِ ... ليس ضَلُولٌ حائرٌ كمُهْتَدِ

لا تتركن نَهْج الطريق الأقْصدِ ... قد نُسخ الدِّين بدين أحمدِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٠٩/١ ، والاكتفا للكلاعى ٢١٩/١ ، والوفا لابن الجوزى ص ١٥١ ، والخصائص الكبرى ٢٥٣/١ عن البيهقى ، ثم قال السيوطى : هذا الحديث له عدة طرق ، فأخرجه ابن شاهين فى الصحابة من طريق الفضل بن عيسى القرشى عن العلاء بن زيدل عن أنس بن مالك قال : دخل سواد بن قارب على النبى — صلى الله عليه وسلم — فذكر القصة بطولها. وأخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده ، وأخرجه البخارى فى تاريخه ، والبغوى ، والطبرانى من طريق عباد بن عبد الصمد . إلى آخر ما قال .

(٢) الرخمة : واحدة الرخم ، وهو طائر .

(٣) غير ص : لا تعرضن إليك الوساوس ، موافقاً للخصائص الكبرى . وما فى ص هو الصواب .

(٤) الخصائص : بكف القابس .

(٥) الخصائص : فاجنح إلى الحق ولا توانس .

قال : فأغمى علىّ ثم أفقت[1] .

وروى ابن دُرَيْد فى الأخبار المنثورة عن ابن الكلْبى قال : كان خُنَافر بن التوأم كاهنًا ، فنزل واديًا مُخْصبًا وكان له رَئِىّ فى الجاهلية ففقده فى الإسلام قال : فبينا أنا ليلة فى الوادى إذ هوَى علىّ هُوىٌّ العُقَاب قال خنافر : فقلت : شصار ؟ قال : اسمع أقل . قلت : قل أسْمع . قال : عِهْ تَغْنم لكل ذى أمَد نهاية ، وكل ذى ابتداء إلى غاية . قلت : أجل . قال : كلُّ دولةٍ إلى أجَل ، ثم يتاح لها حِوَل ، وقد انتُسخت النِّحَل ورجعت إلى حقائقها المِلَل ، إنى آنست بالشام نفرا من آل العوام[2] ، حُكَّاما على الحكام ، يردِّدون ذا رَوْنق من الكلام ، ليس بالشعر المؤلَّف . ولا السَّجْع المتكلَّف ، فأَصْغَيْت فزُجرت ، فعاودتُ فظُلعت ، فقلت : بم تُهَيْنمون ، وإلام تَعْتزُون ، فقالوا خِطَاب كبار . جاء من عند الملِك الجبَّار ، فاسمع يا شصار ، لأَصْدق الأخبار ، واسلك واضحَ الأَخيار[3] ، تَنْجُ من أوَار النار.

فقلت : وما هذا الكلام ؟ قالوا : فُرْقان بين الكفر والإيمان . أتى به رسولٌ من مُضَر ، ثم من أهل المدَر ، ابتُعث فظهر . فجاء بقولٍ قد بَهَر ، وأوضحَ نَهجًا قد دَثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر .

قلت : ومن هذا المبعوث بالآى الكُبر . قال : أحمد خير البشر ، فإن آمنت أُعطيت الشَّبَر ، وإن خالفت أُصْليت سقَر ، فآمنتُ ياخنافر وأقبلت إليك أبادر فجانِبْ كل نَجِس كافر ، وشايعْ كلَّ مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق . قال : فاحتملت حتى أتيت معاذَ بن جبل بصنعاء فبايعته على الإسلام وفى ذلك أقول :

ألم تـر أن الله عـادَ بفضـله ... وأنقذ من لَفْح الجحيم[4] خُنَافرَا

دعانى شِصَار للتى لو دفَعْتهـا ... لأُصليت جَمْرا من لظَى الهول جائرا[5]

* * *

---

(١) الخصائص ١/٢٦٣ . وزاد بعده : وقد امتحن الله قلبى للإسلام .

(٢) كذا بالأصول وفى الاكتفا للكلاعى والأمالى للقالى : من أهل العزام ، والعزام : قبيلة باليمن .

(٣) كذا ، ورواية الاكتفا والأمالى : واسلك أوضح الآثار .

(٤) الأمالى والاكتفا : من لفح الزخيخ . والزخيخ : النار بلغة أهل اليمن .

(٥) الأمالى والاكتفا : من لظى الهوب واهراً . والهوب : النار بلغة اليمن . والواهر : الساكن مع شدة الحر . هذا ورواية الخبر بأبسط من هذا فى الأمالى للقالى ١/١٣٢ – ١٣٤ والاكتفا للكلاعى ١/٢٢٨ – ٢٣١ .

وروى محمد بن عمر الأسلمى وأبو نعيم وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن قوما من ختعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكون إلى أصنامهم، فبينما هم عند صنمهم إذ سمعوا هاتفا يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام ... ومُسْندوا الحُكْم إلى الأصنامِ
أكلكم أوْرَهُ كالنعام[1] ... ألا ترون ما أرى أمامى
من ساطعٍ يَجْلو دُجَى الظلام ... ذاك نبىٌّ سيد الأنامِ
أعْدل ذى حكم من الأحكام[2] ... يَصْدع بالنور وبالإسلام
من هاشم فى ذِرْوة السَّنام ... مُسْتعلن بالبلد الحرامِ
جاء بِهَدْم الكفرِ بالإسلام ... أكرمه الرحمنُ من إمام

قال أبو هريرة : فأمسكوا ساعةً حتى حفظوا ذلك ثم تفرَّقوا ، فلم يمض بهم ثلاثٌ حتى فَجأهم خبرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ظهر بمكة[3] .

وروى ابن شاهين عن أبى خَيْثمة عبد الرحمن بن أبى سَبْرة قال : كان لسَعْد العَشِيرة صنم يقال له قَرَّاض يعظِّمونه وكان سادنُه رجلاً منهم يقال له ابن وقشة قال عبد الرحمن فحدثنى ذُبَاب بن الحارث قال : كان لابن وقشة رَئِىٌّ من الجن يخبر بما يكون فأتاه ذات ليلة فأخبره بشىء فنظر إلىّ فقال : يا ذباب اسمع العجب العُجَاب ، بُعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يجاب . فقلت له ما هذا ؟ قال : لا أدرى كذا قيل لى . فلم يكن إلا قليل حتى سمعنا بمَخْرج النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمت وثُرت إلى الصنم فكسرته ثم أتيت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ وقلت فى ذلك :

تَبِعْتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدَى ... وخلَّفت قَرَّاضا بدارِ هوانِ
ولما رأيت الله أظهر دينَه ... أجبتُ رسولَ الله حين دعانى[4]

* * *

(١) الاكتفا : كالكهام .
(٢) كذا وفى تهذيب ابن عساكر : من الحكام .
(٣) الاكتفا ١/٢٢٣ ، عن الواقدى ، وتهذيب ابن عساكر ١/٣٦٥ ، عن ابن إسحق .
(٤) الخصائص ١/٢٥٨ ولم يذكر الشعر .

وروى الخرائطى عن سفيان الهُذلى قال : خرجنا فى عِير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومعَان وقد عَرَّسنا إذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النُّيَّام هُبُّوا فليس هذا بحينِ رقاد ، وقد خرج أحمد وطُردت الجن كلَّ مَطْرد . ففزعنا ونحن رُفْقة حَزَاورة كلهم قد سمع بهذا ، فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون خروجَ النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

وروى الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى عن عبد الله العُمَانى أن مازِنًا الطائى كان بأرض عُمَان ، وكان يَسْدن الأصنامَ لأهله ، وكان له صنم يقال له بادر[1] . قال مازن : فعتَرْتُ ذات يوم عَتِيرةً ، وهى الذبيحة ، فسمعت صوتا من الصنم يقول : يا مازُن أقبلْ إلىّ أقبل ، تَسْمع ما لا يُجْهَلْ ، هذا نبىٌّ مُرْسَل ، جاء بحقٍّ مُنْزَل ، فآمن به كى تَعْدِلْ[2] ، عن حرِّ نارٍ تُشْعَلْ ، وقودُها بالجَنْدل .

قال مازن : فقلت والله إن هذا لَعجب . ثم عتَرْت بعد أيام عتيرة أُخرى فسمعت صوتا أبْيَن من الأول وهو يقول :

يا مازن اسمع تُسَرّ ، ظهرَ خيرٌ وبطَن شَرّ
بُعث نبى من مُضَر ، بدين الله الكُبَر[3]
فدع نَحِيتًا من حَجر ، تَسْلم من حَرّ سَقَرْ

قال مازن : فقلت والله إن لهذا لعجب وإنه لَخيرٌ يراد بى . وقدِم علينا رجل من الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ قال : خرج رجل بتِهامة يقول لمن أتاه : أجيبوا داعى الله يقال له أحمد . فقلت : هذا والله نبأٌ ما سمعتُ . فرحلت حتى أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فشرح لى الإسلامَ فأسلمت وقلت :

---

(١) كذا فى ط ، ص . وفى ت ، م : بارد . وفى الاكتفا للكلاعى : ياجر . وفى دلائل النبوة لأبى نعيم : باجر . وفى دلائل النبوة للبيهقى : باجر .

(٢) الاكتفا : كى تعزل .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم : بدين الله الأكبر ، وهى كذلك فى نسخة من الاكتفا .

كسَّرتُ بادرَ[1] أجْذاذً أوكان لنـا ... ربًّا نُطيف بـه ضـلاً بتَضْـلال
بالهـاشميّ هـدَانا من ضلالتنـا ... ولم يكن دِينُـه منيً على بـال
يـا راكبًا بلِّغَنْ عَمْرا وإخوتهـا ... أنِّ لمن قـال ربي بادِر قـالي

قال مازن : فقلت : يا رسول الله إنى امرؤ مُولَع بالشراب والطَّرَب وشُرْب الخمر والهَلُوك من النساء وألحَّت علينا السِّنون فأذْهبن الأموال وأهْزَلن الذَّرارى والرجال وليس لى ولد ، فادع الله أن يُذْهب عنى ما أجد ويأتينى بالحَيَا ويهب لى ولدًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أبْدله بالطرب قراءةَ القرآن وبالحرامِ الحلالَ وأته بالحَيَا ، وهَبْ له ولدًا . قال مازن : فأذهب الله عنى كلَّ ما كنت أجد ، وأخْصبَ عُمَان وتزوجتُ أربعَ حرائر ووهب لى حيانَ بن مازن وأنشأت أقول :

إليـك رسـولَ الله سُقْتُ مطيّتى ... تَجُوب الفَيَافى من عُمَان إلى العَرْجِ
لتَشْفع لى يا خير من وَطِئَ الثَّرَى ... فيغفر لى ربِّى فأرجـعَ بالفَـلْجِ
إلى معشر خالفتُ فى الله دينَهم ... فلا رأْيُهم رأْيى ولا شَرْجهم شَرْجِى
وكنت امرءًا بالزغْب[2] والخمر مُولعا ... شبابى حتى آذَن الجسمُ بالنَّهْجِ
فبدَّلنى بالخمـر خوفًـا وخَشْية ... وبالعَهْر إحصانًا فحصَّن لى فَرْجِى
فأصبحتُ همِّى فى الجهاد ونيتى ... فللَّه ما صَـوْمى ولله ما حَجِّى[3]

* * *

وروى ابن سعد وأبو نُعيم عن نفيل[4] بن عمرو الهذلى قال : ذبحتُ ذبيحة على صنم فسمعت من جوفه : العجبُ كل العجب ، خرج نبيٌّ من بنى عبد المطلب ، يحرِّم الزنا ويحرم الذبح للأصنام ، وحُرست السماء ورُمينا بالشُّهب . فتفرقنا فقدمنا مكةَ فلم نجد من يخبرنا بخروج محمد[5] صلى الله عليه وسلم ، حتى لقينا أبا بكر الصدِّيق فقلنا يا أبا بكر

---

(١) المراجع : ياجر .
(٢) الاكتفا : باللهو . وانظر تفسير هذه الكلمات فى التنبيهات آخر هذا الباب .
(٣) الاكتفا ٢٢٦/١ ، عن ابن الكلبى . والوفا لابن الجوزى مختصراً ص ١٥٥ ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٦ والخصائص ٢٥٦/١ .
(٤) ابن سعد : عن سعيد بن عمرو الهذلى . (٥) ط : بخبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

خرج بمكة أحد يدعو إلى الله تعالى يقال له أحمد ؟ قال : وماذاك ؟ فأخبرته الخبر . قال : نعم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وهو رسول الله[1] .

وروى أبو سعد النيسابورى فى الشَّرف عن جَنْدل بن نَضْلة[2] أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال كان لى صاحب من الجن فأتانى فدهمنى وقال :

هُبَّ فقد لاحَ سراجُ الدينِ بصادقٍ مهذَّب أمينِ
فارحَلْ على ناجِيَةٍ أَمُون تَمْشى على الصَّحْصح والحُزُونِ

فانتبهت مذعورا فقلت : ماذا ؟ فقال : وساطح الأرض ، وفارضِ الفرض لقد بُعث محمد فى الطول والعرض ، نشأ فى الحُرمات العِظَام، وهاجر إلى طَيبة الأمينة . فسِرْت وإذا بهاتف يقول :

يا أيها الراكب المزْجِى مَطِيَّته نحوَ الرسولِ لقد وفَّقْت للرُّشَدِ[3]

* * *

وروى البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله خرجتُ فى الجاهلية أطلب بعيرًا لى شَرد فهتف لى هاتف فى الصبح يقول :

يا أيها الراقدُ فى الليل الأجَمّ قد بَعث الله نبيًّا فى الحرَمْ
من هاشمٍ أهل الوفاء والكَرم يجلو دُجُنَّات الدَّياجِى والظُّلَمْ

فأدَرْتُ طَرْفى فما رأيت له شخصا فقلت :

يا أيها الهاتف فى داجى الظُّلَم أهلا وسهلا بك من طَيْف ألَمّ
بَيِّن هداك الله فى لَحْن الكَلِمْ ماذا الذى تدعو إليه تغتنمْ

وإذا أنا بنَحْنَحة قائل يقول: ظهر النُّور وبطل الزُّور وبُعث محمد بالحبُور ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذى لم يخلق الخَلْق عَبثْ
أرسَل فينا أحمدًا خير نبىٍّ قد بُعثْ

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٦٧ .
(٢) ط : ابن نفلة .
(٣) الخصائص ١/٢٦٢ .

صـــلى عليـــه الله مـــا حَجَّ لـه رَكْبُ وحَثْ

ثم لاح الصباح فوجدت البعير[1] .

* * *

وروى أبو سعد النيسابورى فى الشَّرَف عن الجعْد بن قيس قال : خرجنا أربعة أنفس نريد الحج فى الجاهلية ، فمررنا بواد من أودية اليمن ، فلما أقبل الليل استَعَذْنا بعظيم الوادى وعقَلنا رواحلَنا فلما هدأ الليل ونام أصحابى إذا هاتف من بعض أرجاء الوادى يقول :

ألا أيها الرَّكْبُ المعـرِّس بلِّـغوا إذا مـا وقفـتم بالحَطِـيم وزَمْزَما

محمـــدًا المبعـوثَ منـا تحيـةً تشيِّعه من حيث ســار ويَمَّمَـا

وقولوا له إنا لِدينـك شيعـةٌ بذلك أوصانا المسيحُ ابنُ مَرْيَما[2]

وروى أبو نعيم عن خُوَيْلد الضَّمْرى قال : كنا عند صنم جلوسا إذ سمعنا من جوفه صائحا يصيح : ذهب استراقُ السمع ورُمِى بالشُّهب لنبى بمكة اسمه أحمد ومُهَاجَره إلى يَثْرب يأمر بالصلاة والصيام والبرّ وصلة الأرحام فقمنا من عند الصنم فسألنا فقالوا : خرج نبىّ بمكة اسمه أحمد[3] .

وروى ابن جرير والطبرانى وابن أبى الدنيا وأبو نُعيم والخرائطى عن العباس بن مِرْداس السُّلَمى رضى الله تعالى عنه قال : كان أول إسلامى أن أبى لما حضرته الوفاة أوصانى بصنم له يقال له ضِمَار فجعلته فى بيت وجعلت آتيه كلَّ يوم ، فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم كنت فى لِقَاح لى نصفَ النهار إذ طلعت علىَّ نعامة بيضاء مثل القُطْن عليها راكب أبيض عليه ثياب بيض فقال : يا عباس بن مِرْداس ألمْ تر أن السماء كفت[4] حُرَّاسها ، وأن الحرب جَرعت أنفاسَها ، وأن الخيل وضعت أحلاسَها ، وأن الذى جاء بالبرّ والتقى يوم الاثنين فى ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القَصْواء .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣٥٧ ، فى خبر طويل ثم قال آخره : هذا حديث غريب . والخصائص الكبرى ١/٢٧٠ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/٢٧٠ . (٣) الخصائص الكبرى ١/٢٦٧ .

(٤) الخصائص : حفت حراسها .

فخرجت مَرْعوبًا قد راعنى ما سمعتُ وما رأيت ، حتى جئت وثنَنا ضِمَار وكنا نعبده ونُكَلِّم من جوفه ، فدخلت فكنَسْتُ ما حَوْله ثم تمسحت به وقبَّلته فإذا صائح من جوف الصنم بالليل وهو يقول :

قـل للقبائل من سُلَـيْم كلهـا ... هلَك الأَنيسُ وعاش أهلُ المسجدِ
أَوْدَى ضِمَـار وكان يُعْبَـد مـرةً ... قَبْـل الكتابِ إلى النـبىِّ محمـدِ
إن الـذى ورث النبـوةَ والهُـدَى ... بعد ابن مريم من قريش مُهْتَـدِى

قال : فكتمته الناسَ فلم أحدِّث به أحدًا فلما رجع الناس من غزوة الأحزاب ، فبينا أنا فى إبلى بطريق العَقِيق من ذات عِرْق راقد سمعتُ صوتا شديدا فرفعت رأسى فإذا رجل على جناح نعامة وهو يقول : النور الذى وقع يوم الاثنين ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العَضْباء فى دار بنى أخى العنقاء . فأجابه هاتف على شماله أبْصره :

بشِّر الجن وأَبْلاسَها ، أن المطىَّ قد وضعت أحلاسها ، وكلأَتْ السماء حُرَّاسها .

قال : فوثبتُ مذعورا وعلمت أن محمدا مرسل .

وقدِمت على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ وأنشدته شعرا قلته وهو :

لعَمْرك إنى يومَ أجعـلُ جاهـلاً ... ضمَارًا لرب العـالمين مشـاركًا
وتَرْكى رسولَ الله والأَوْس حولَـه ... أولئِـك أنصـارٌ له مـا أولائـكا
كتاركِ سَهْلَ الأرضِ والحَزْنَ يبتغى ... لِيَهْلِكَ فى كل الأُمور المهـالـكًا
فآمنتُ بالله الـذى أنـا عَبْـدُه ... وخالفتُ من أمْسَى يريـد المهـالكا
ووجهتُ وجهى نحو مكة قاصـدا ... أبـايع بـين الأَخْشبـين المبارَكـا
نبىٌّ أتى من بعـد عيسى بنـاطـقٍ ... من الحق فيـه الفَضْل فيـه كذلـكا
أمـينٌ عـلى الفرْقان أولُ شـافـع ... وأول مَبْعوث يجـيب المـلائِـكًا
تَلاقى عُرَى الإيمـان بعـد انتقاضها ... فأحكمها حتى أقام المنـاسكًا[1]

* * *

(١) خبر العباس بن مرداس هذا فى الاكتفا ٢٣٢/١ مختصراً ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٩ ، والوفا لابن الجوزى ١٥٧/١ مختصراً ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣٥٨/١ عن الخرائطى وأبى نعيم ، والخصائص الكبرى ٢٦٨/١ .

وروى أبو نُعيم عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذى يقال له سُوَاع بالمعلاة تدين له هُذَيْل وبنو ظُفَر من سُلَيْم فأرسلتْ بنو ظفر راشدَ بن عبد ربه بهدية بنى سُليم إلى سُوَاع ، قال : فأتيته فألفيت مع الفجر إلى صنم قَبْل سُوَاع فإذا صارخ يصرخ من جوفه : العجَب كلّ العجب ، خروج نبى من بنى عبد المطلب يحرم الزنا والربا والذبح للأصنام ، وحُرست السماء ورُمينا بالشُّهب ثم هتف صنم آخر من جوفه : تُرك الضِّمارُ وكان يُعْبد، وخرج نبى اسمه أحمد ، نبى يصلى الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام والصلة للأرحام . ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف :

إن الـذى ورَث النبـوةَ والهـدى بعد ابن مريم من قريش مُهْتـدِى

قال راشد : فألفيت عند سواع مع الفجر ثعلبين يلحسان ماحوله ويأكلان ما يُهْدَى إليه ثم يعرّجان عليه ببولهما فعند ذلك يقول راشد :

أَرَبٌّ يَبُـول الثَّعْلبـانِ برأسـه لقـد ذلَّ من بالت عليـه الثعالبُ

وذلك عند مَخْرج النبى صلى الله عليه وسلم[1] .

* * *

وروى ابن الجوزى عن بشير الهُذلى قال : خرجنا فى عِيراتنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقاء ومعَان وقد عرَّسنا من الليل إذا نحن بفارس يقول : أيها الناس هُبُّوا فليس هـذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد وطُرد الجن كلَّ مَطْرد . ففزعنا ونحن رُفْقة [حَزاورة][2] كلهم قد سمع هذا فرجعنا إلى أهلينا فإذا هم يذكرون اختلافا بمكة بين قريش بسبب نبىّ قد خرج من بنى عبد المطلب اسمه أحمد[3] .

وروى الرُّويانى وابن عساكر عن خُرَيْم بن فاتك ، والطبرانى وابن عساكر من طريق آخر عنه ، قال : بينا أنا فى طلب نَعم لى إذ جَنَّنى الليلُ بأبْرق العذيب فناديت بأعلى صوتى : أعوذ بعزيز هذا الوادى من شر سفهائه . وإذا هاتف يقول :

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٨١ ، والوفا ص ١٥٧ .

(٢) من دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٠ . والحزاورة جمع حزور وهو الرجل القوى .

(٣) الوفا ص ١٥١ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٠ . والخصائص ١/٢٥٩ .

وَيْحك عُـذْ بالله ذى الجـلالِ مـنزِّل الحـرام والحـلالِ
ووحِّـد الله ولا تُبَـالى ما كَيْـد ذى الجن من الأهـوالِ
إنْ تَذْكر الله عـلى الأميـال وفى سُهول الأرض والجبـالِ
قـد صار كَيْـد الجن فى سفَـالِ إلا التُّقَى وصـالح الأعمـال

فقلت له :

يا أيُّهـا الهـاتف ما تقـولُ أرَشَـد عنـدك أم تضليـلُ

فقال :

هـذا رسولُ الله ذو الخـيراتِ جـاء بياسـين وحاميماتِ
وسُـوَر بعـدُ مفصَّـلات يأمر بالصـلاة والزكـاةِ
ويَزْجر الأقـوامَ عن هنـات قـد كُنَّ فى الأنـام مُنْـكرات

[فقلت : من أنت ؟]

فقال : أنا مالك بن مالك الجنى .

وفى رواية الرُّويانى [عن][1] عمرو بن أثال [قال][1] : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جن نجد فانبعثت راحلتى فقلت :

أرْشدنى راشد هُديتَ لا جُعْتَ ولا عَرِيت
ولا برحتَ سيِّدا مُقِيتًا

قال فاتبعنى وهو يقول :

صاحبك الله وسَـلَّم نفسـكا وبلَّغ الأهـل وأدّى حِلْـكَا[2]
آمن به أفـلح ربى حَقَّـكا وانصـره أعـزّ ربى نَصْـرَكَا

فقلت : لو كان لى من يكفينى إبلى هذه لأتيته حتى أومن به . قال : أنا أكفيكها حتى أؤديها إلى أهلك سالمة . فاعتقلتُ بعيرًا منها ثم أتيت المدينةَ فوافيتُ الناسَ يوم الجمعة وهم فى الصلاة فقلت : يَقْضُون الصلاةَ ثم أدخل ، فبينا أنا أنيخ راحلتى إذ خرج إلىّ أبو

---

(١) زيادة متعينة .

(٢) فى سيرة ابن كثير : صاحبك الله وأدى رحلكا وعظم الأجر وعافى نفسكا

ذَرّ. وعند الرُّويانى : أبو بكر الصديق ـ فقال : ادخل فقد بلغنا إسلامُك . قلت : لا أُحْسن الطُّهُور فعلَّمنى فدخلت المسجدَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر كأنه البَدْر وهو يقول : «ما من مسلم توضأ فأحسنَ الوضوء ثم صلَّى صلاة يحفظها ويَعْقلها إلا دخل الجنّة» .

فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما فعل الشيخُ الذى ضَمن لك أن يؤدِّى إبلك إلى أهلك سالمةً ؟ أمَا إنه قد أدَّاها إلى أهلك سالمة . قلت : رحمه الله . قال : أجل رحمه الله تعالى[1] .

* * *

وروى الأموى والفاكهى وأبو نعيم عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما قالا : لما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قام رجل من الجن على أبى قُبَيْس فقال :

قبَّح اللهُ رأى كعبَ بن فِهْر[2] ما أرقَّ العقولَ والأحلامْ
دِينها أنها تعنِّف فيها[3] دِينَ آبائها الحماة الكرام
حالَف الجن جنَّ بُصْرى عليكم ورجالَ النخيل والآطامْ
توشك الخيلُ أن تَروْها تهادَى تقتل القومَ فى حرام بهامْ
هل كريمٌ منكم له نفس حُرٌّ ماجد الوالدين والأعمام
ضارب ضربةً تكون نكالا ورَواحا من كُرْبة واغتمامْ

فأصبح هذا الحديثُ قد شاع بمكة ، وأصبح المشركون يتناشدونه بينهم وقالوا: توانيتم حتى حرَّضتكم الجنُّ وهمُّوا بالمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا شيطان يكلِّم الناس يقال له مِسْعر ولم يُعْلن شيطان بتحريض نبى إلا قتله الله تعالى. فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول :

---

(١) الوفا ص ١٥٤ ، وسيرة ابن كثير ٣٧٩/١ ، ٣٨١ عن الأموى والطبرانى ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٢ .
(٢) ابن كثير عن الأموى : قبح الله رأيكم آل فهر .
(٣) ابن كثير عن الأموى ـ حين تغضى لمن يعيب عليها . ـ دين آبائها . . . .

نحن قتلنـــا مِسْعَـــرا لمـــا طغَى واستكبرَا
وسفَّه الحقَّ وسنَّ المنكَـــرا بشَتْمه نبيَّنـــا المطهَّرا
قنَّعتُه سَيْفا جـــروفا أبترا[1] إنَّا نَذُود من أراد البَطَرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكم عفريت من الجن يقال له سمحج وقد سميته عبدَ الله آمن بي فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام حتى قتله[2]

* * *

وروى ابن عساكر عن زَمَيْل ويقال زَمْل بن عمرو العُذْرى ، قال : كان لبني عُذْرة صنم يقال له خُمام[3] ، وكانوا يعظِّمونه وكان سادنُه يقال له طارق وكانوا يَعْتِرون عنده ، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول : يا طارق ياطارق بُعث النبي الصادق ، بوحيٍ ناطق ، صدَع صدعته بأَرض تهامة ، لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة ، هذا الوداع منى إلى يوم القيامة .

قال زَمْل : فوقع الصنم لوجهه . قال زمل : فابتعتُ راحلةً ورحلت عليها حتى أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى فأنشدته شعرا قلته :

إليك رسولَ الله أعملت نصَّهـــا أكلِّفها نَصًّا وَقوْزًا[4] من الرَّمْلِ
لأنصر خيرَ الخَلْق نصرًا مؤزَّرا وأعقد حبلا من حبالك فى حَبْلى
وأشهد أن الله لا شى غيـــره أدِين له ما أثقلَتْ قدمى نَعْلِي[5]

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة قال : لما بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أصبح كلُّ صنم منكَّسًا فأتت الشياطينُ إبليسَ فأخبروه فقال : هذا نبى قد بُعث فالتمسوه. فقالوا : لم نجده فقال : أنا صاحبه . فخرج إبليس فوجده بمكة فرجع إلى الشياطين فقال : قد وجد ومعه جبريل[6] .

---

(١) ابن كثير : قنعته سيفاً حساماً شهراً .
(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧١ ، وسيرة ابن كثير ١/٣٧٠ ، والخصائص الكبرى ١/٢٦٠ .
(٣) ابن كثير : صمام .
(٤) ابن كثير : وغورا .
(٥) سيرة ابن كثير ١/٣٦٨ .
(٦) الخصائص الكبرى ١/٢٧٣ .

وروى ايضا عن مجاهد قال : رنَّ إبليس أربع مرات : حين لُعن وحين أُهْبط وحين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وحين أُنزلت الحمد لله رب العالمين[1] .

والآثار فى هذا الباب كثيرة[2] .

[تفسير الغريب]

سَواد : بفتح السين المهملة وواو مخففة فألف فدال مهملة .

قارِب : بقاف فألف فراء مكسورة فموحدة .

الكاهن : الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويَدَّعى معرفةَ الأسرار .

شهر أَو شَيْعه : بشين معجمة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة . فعين مهملة مكسورة يعنى أَو دُونه بقليل .

يا سواد بن قارب : يجوز فتح سواد وضمه ونصب ابن وضمه وهو قليل .

تَطْلا بها : بفتح المثناة الفوقية :

العيس : بعين مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة ، وهى الإبل البيض مع شُقْرة واحدها أَعْيَس وعَيْساء وهى منصوبة على أنها مفعول المصدر وهو الشدُ .

الصَّفوة : بتثليث الصاد ، وهو خلاصة الشيء ، وخياره ، والمراد النبى صلى الله عليه وسلم.

أَنام : هذا جائز فى جواب الأمر والأكثر أَنَمْ وكذا التى بعدها .

اعْقِل : بكسر القاف ، وكذا يعقل الثانية ، والوصل[3] .

لؤى : بالهَمْز وتركه .

تَخْبارها : بمثناة فوقية مفتوحة .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/٢٧٣ .

(٢) وأكثرها بعيد عن الصحة . وإن الإسلام الذى يعتمد على دلائل العقل وشواهد التاريخ ، لا يحتاج فى إثبات صدق رسوله إلى هتاف جان أو سجع كهان، وخاصة أن الإسلام أبطل الكهانة وقضى على عبادة الأوثان فكيف يستشهد بأقوال الكهان على صدقه أو تنطق الأوثان بصحته ؟ !

(٣) يريد أن الهمزة فى قوله : « اعقل » ؛ همزة وصل .

كَكُفارها : بضم الكاف .

تَجْساسها : بتاء مفتوحة فوقية فجيم فسين فألف فسين أخرى مهملتين والتجسُّس : التفتيش عن بواطن الأُمور .

الأَحْلاس : بحاء وسين مهملتين جمع حِلْس وهو الكساء الذى يلى ظهرَ البعير تحت القتب .

ماخيِّر : بتشديد الياء وتخفيفها ، ولا يجوز هنا للوزن .

رحَلْت ناقتى : بتخفيف الحاء أى جعلت عليها رحْلَها .

ثم أتيت المدينة : كذا فى رواية . وفى رواية : حتى أتيت مكة . قال البيهقى : وهذه الثانية أقرب إلى الصحة من الأُولى .

هات بكسر التاء أى أعطنى .

أَنشأت : ابتدأت .

هَدْى : بهاء مفتوحة فدال مهملة ساكنة فهمزة . والهَدْى والهَدْأة بمعنى ، تقول : جاءنى بعدهَدْى وبعد هدأة . أى بعد ثلث من الليل أو رُبْعه وبعد ما هدأ الناسُ أى ناموا .

بلَوْت : اختبرت . الذِّعْلب : بذال معجمة مكسورة فعين مهملة ساكنة فلام مكسورة فموحدة وهى الناقة السريعة وكذا الذِّعلبة .

الوَجناء : بواو مفتوحة فجيم ساكنة فنون فألف ممدودة وهى الغليظة الصُّلْبة وقيل العظيمة الوجنتين .

السَّبَاسب : بسينين مهملتين الأُولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل سين باء موحدة وهى المفازة أو الأَرض المستوية .

أَدْنى : أقرب .

الوسيلة : ما يتقرَّب به إلى الغير .

آل ذَريح : بذال معجمة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية فحاء مهملة . قال السُّهيلى : وكأَنه نداءٌ للعجل المذبوح كقولهم : أَحَمْر ذَرِيحىّ أى شديد الحمرة فصار

وصفًا للعجل الذبيح من أجل الدم . ومن رواه : « يا جَلِيح » فمآله إلى هذا المعنى لأن العجل قد جُلِح أى كشف عنه الجلد .

وذكر قبله[1] : يا جليح ونقل عن بعض أشياخنا أنه اسم شيطان ، والجليح فى اللغة : ما تطاير من رءوس النبات وخفّ ، كالقطن وشِبهه ، الواحدة جلحة ، ثم ذكرما تقدم[2]

وقال ابن الأثير فى النهاية : جَليج اسم رجل قد ناداه[3] .

العَسِيف : الأجير .

دُغنة : بدال مهملة فغين معجمة فنون فهاء

مُرَوَّع الفؤاد : خائف القلب . .

هاجَك : فزعك وأثارك من مكانك .

الحضيض : القرار . من الأرض عند منقطَع الجبل .

القابس : طالب النار .

خُنَافر : بخاء معجمة فنون فألف ففاء فراء .

شِصَار : بشين معجمة فصاد مهملة مخففة .

يتاح : يقدَّر .

حِوَل : تحوُّل .

انتُسخت : زالت .

النِّخَل : بكسر النون وفتح الحاء : الملل .

آنست : بمد الهمزة . أبصرت .

العدام[4] .... الخفى[4] .

---

(١) يريد السهيلى فى الروض الأنف .

(٢) الروض الأنف ١٣٩/١ (ط الجمالية)

(٣) النهاية لابن الأثير « جلح » ٢٨٤/١ (تحقيق الطناحى) .

(٤) كذا بالأصل وبعدها بياض وقد سبق فى النص : العوام ، وذكرنا هناك أن رواية ابن دريد ؛ العزام . أما قوله : الخفى . فقد يكون تفسيرا لقوله « تهينمون » الآتى بعد وفيه : الهينمة : الصوت الخفى .

الرَّونق : الحسن .

أَصغيت : استمعت .

زُجرت : بضم أوله من الزجر . تُهَيْنمون : الهْينمة : الصوت الخفى .

إلام تَعْتزون : تنتسبون .

كُبَار : بضم الكاف يقال كبير وكُبَار بالتخفيف أى عظيم ، فإذا أفرط فى العظم قيل : كُبَّار . بالتشديد .

أُوَار النار : بضم الهمزة : حَرّها . المدَر هنا : القرى والأمصار .

ابتُعِث : بباء موحدة ساكنة فمثناة فوقية مضمومة من البعث .

بَهرَ : غلَب غيره وفَضَله .

النَّهْج : الطريق الواضح .

دَثَر : درس . الشَّبَر : بشين معجمة فباء موحدة مفتوحات فراء : العطية .

شايعْ : فعل أمر : تابع وانصر .

الأَوْرَه : بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فراء مفتوحة فهاء لا تاء : هو الحَمِقُ[1] وقيل الخَرِقُ ورجل أَوْرَه وامرأة وَرْهاء ، وقد وَرِهتْ تَوْره .

الكهَام : بكاف مفتوحة فهاء مخففة : السيف الكَليل . ولسانٌ كهام أى عَيِىّ أو كليل لم يُغْن شيئا . وفرس كهام : أى بطىء - وكأنّ ذا فى الأصل - والله تعالى أعلم - مأخوذ من هذا ، فيكون معنى الكلام : أكُلُّكم أحمق أو أخْرق عَيِىّ أو كَلِيل لم يُغْن شيئاً ، أو بطىء عن الحق .

الدُّجَا : بدال مهملة مضمومة فجيم فألف الليل المظلم .

الذُّروة : بضم الذال المعجمة وكسرها أَعْلَى الشىء .

بهَدّ[2] : بفتح الهاء وتشديد الدال .

---

(١) فى كتب اللغة أن الأورَه هو الأحمق ، وأن الورَه ، كالفرح ، هو الحمق . قال فى القاموس : ورِه كفرح : حمق ، والنعت أورَه ورهاء .

(٢) كذا والذى سبق : الهدم .

فجأهم بغتة : بجيم مكسورة[1] فهمزة مفتوحة أى جاءهم بَغْتَةً .

قرّاض : بقاف فراء مشددة فألف فضاد معجمة ساقطة .

ذُبَاب : بلفظ الطائر المعروف .

مازن : بميم فألف فزاى فنون .

الغَضُوبة : بغين مفتوحة فضاد معجمة فواو ساكنة فموحدة مفتوحة فتاء تأنيث .

السادن : الخادم .

العَتِيرة : بعين مهملة مفتوحة فمثناة فوقية فتحتية ساكنة فراء فتاء تأنيث وهى شاة كانوا يذبحونها فى رجب لأصنامهم .

تُسرّ : بضم المثناة الفوقية وفتح السين المهملة مبنى المفعول .

الكُبَر : بضم الكاف وفتح الموحدة جمع كُبْرى ، وفى الكلام حذف مضاف محذوف تقديره شرائع دِينِ اللهِ الكُبَر .

أَقبلْ إلىّ أقبل : بفتح الهمزة وكسر الموحدة فيهما .

ما لا يُجْهَل : بالبناء للمفعول .

فآمن به : بمد الهمزة وكسر الميم ، من الإيمان .

يُعْدَل : بالبناء للمفعول . وكذا تُشْعَل .

وَقُودها : بفتح الواو ما توقد به النار كالحَطب .

الجَندل : بجيم مفتوحة فنون ساكنة فذال مهملة : الحجارة .

الجُذَاذ[2] : بجيم مضمومة وتكسر وذالين معجمتين : أى قِطعا وكِسَرا .

بادِر : بباء موحدة وبعد الألف دال مهملة مكسورة ثم راء . قال فى النُّور : كذا أحفظه .

ضُلاًّ : بضم الضاد المعجمة الساقطة . يقال للباطل ضلٌّ بتضلال .

---

(١) وفيه فتح الجيم أيضا ، كسمعه ومنعه .

(٢) الذى سبق فى الشعر الوارد فى خبر مازن الطائى : كسرت بادر أجذاذا . وليس جذاذا . والأجذاذ : جمع الجذ بكسر الجيم وهو الجزء المقطوع .

عَمْرا : أراد به بنى الصامت وإخوتها .

قال : مُبْغض وإثبات الياء فيه للوزن .

مُولَع : بفتح اللام أى مُغْرى به .

الهَلُوك : بفتح الهاء وضم اللام المخففة وآخره كاف . قال فى الصحاح : الهلوك من النساء الفاجرة المتساقطة على الرجال فلا يقال رجل هَلُوك .

ألحَّتْ علينا السِّنون : أى دامت أيامُ الجَدْب .

الدَّرارى : بفتح الياء وتشديدها .

الحَيا : بفتح الحاء والقصر : المطر والخِصْب . ريًّا[1] . بكسر الراء وتفتح .

العَهْر : بفتح العين المهملة وإسكان الهاء : : الزنا .

حَيّان : بفتح الهاء المهملة وتشديد المثناة التحتية .

خبَّت[2] : بخاء معجمة مفتوحة فباء موحدة مشددة فمثناة فوقية كما فى عدة نسخ من العُيون : من السَّيْر الخَبَب وهو دون الإسراع .

تَجُوب : بالجيم والموحدة : تَقْطع .

الفيَافى بفتح الفاء الأُولى وكسر الثانية : الصحارى الملْس واحدها فيْفاء .

الفُلْج بضم الفاء[3] وإسكان اللام وهو الفَوْز والظَّفَر .

الشَّرْج : بشين معجمة فراء ساكنة فجيم ، يقال ليس هو من شَرْجه : أى ليس من طبيعته وشكله .

الرُّغْب : بضم الراء وإسكان الغين المعجمة ثم موحدة سعة البطن وكثرة الأكل ، ويروى بالزاى المفتوحة فعين مهملة ساكنة فموحدة : يعنى الجماع : قال فى النهاية : وفيه نظر . يقال زغَب المرأة إذا جامعها فملأها منيًّا ، يَزْغَبها كمنعَ يمنع .

---

(١) كذا ولم ترد هذه الكلمة فى الخبر الذى يشرح المؤلف ألفاظه .

(٢) كذا ، والذى ورد فى الخبر : سقت مطيتى . وليس خبت مطيتى ، وهى رواية أخرى .

(٣) الذى فى القاموس : الفلج – بفتح الفاء – الظفر والفوز كالإفلاج ، والاسم بالضم كالغلبة .

آذَن : بمد الهمزة : أعْلَم .

النهَّجْ : بفتح النون وإسكان الهاء وبالجيم : قال فى النُّور : أى البلاء .

فلله ماصومى : ما فى البيت مكررة زائدة فى الموضعين ، وتقديره فلله صومى وحجى .

ناجية : سريعة .

أمُون : أى مأمُون .

الحُزون جمع حَزْن : ما غلظ من الأرض .

المُزْجِى : السائق .

المطية : البعير ، فعِيلة بمعنى مفعولة لأنه يركب مَطاه أى ظهره ، ذكرا كان أو أنثى .

الليل الأَجَمّ : الطويل .

دُجُنَّات الظُّلم : بضم الدال المهملة والجيم وتشديد النون جمع دُجنة ، وهى الظلمة . والدياجى : الليالى المظلمة .

الحبور : السرور .

السُّلَمىّ : بضم السين المهملة .

ضِمَار : بضاد ساقطة معجمة مكسورة فميم مخففة فألف فراء مكسورة ، ووقع فى بعض نسخ السيرة بضم الضاد .

أوْدَى : بدال مهملة : هلك .

زُمَيْل بالتصغير ويقال زمْل بكسر[1] الزاى وإسكان الميم وباللام .

العُذْرى : بعين مهملة مضمومة فذال معجمة فراء فياء نسب .

خُمَام : بخاء معجمة مضمومة فميم مخففة .

الشِّرك بالنصب مفعول والإسلام فاعل .

هالَنا : أفزعنا .

---

(١) الذى فى القاموس : وزمل – مضبوطا بفتح الزاى بالقلم – أوزميل – مصغرا – ابن ربيعة أو ابن عمرو بن أبى العنز بن خشاف ، صحابى .

أَعْمل الناقةَ : حَثَّها وساقها .

نَصَّها : بنون مفتوحة وصاد مهملة مشددة يقال نصَّ فى سيره : دَفع وأسرع . والنصّ منتهى الغاية .

الحَزْن : بحاء مهملة مفتوحة فزاى ساكنة فنون وهو ما غلظ من الأرض .

قَوْزًا بقاف مفتوحة فواو ساكنة فزاى وهو الكثيب الصغير ، عند أبى عُبَيْدة ، والجمع أقْواز وقيزان . وفى النهاية : القَوْز بالفتح : العالى من الرمل كأنه جبل .

حَبْلا : بالحاء المهملة واحد الحِبال قال فى النور : والظاهر أنّ مراده العهد والميثاق فإنهما يقال لهما حَبْل[1] .

أَدِين له : بفتح الهمزة وكسر الدال : أُطيع وأخضع .

---

(١) وذلك على سبيل المجاز ، ومنه قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا » .

الباب الخامس

فى قدر عُمْر النبى صلى الله عليه وَسلم وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : الصواب أنه صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس الأربعين سنة ، هذا هو المشهور الذى أطبق عليه العلماء[1] .

وقال السُّهيلى رحمه الله تعالى : إنه الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر[2] .

وحكى القاضى عن ابن عباس وسعيد بن المسيّب رواية شاذة أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين . والصواب الأول .

وقال شيخ الإسلام البُلْقينى رحمه الله تعالى : كان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل فى غار حراء أربعين سنة على المشهور . وقيل ويوماً . وقيل وعشرة أيام . وقيل وشهرين وقيل وسنتين وقيل وثلاثة . وقيل وخمس .

قال : وكان ذلك يوم الإثنين نهارا .

واختلف فى الشهر . فقيل شهر رمضان فى سابع عَشْره وقيل سابعه . وقيل رابع عشره . وقال الحافظ : ورمضان هو الراجح لما سيأتى من أنه الشهر الذى جاور فيه فى حراء فجاءه المَلَك . وعلى هذا يكون سِنّه حينئذ أربعين سنة وستة أشهر .

وقيل فى سابع عشر شهر رجب . وقيل فى أول شهر ربيع الأول . وقيل فى ثامنه .

وعند أبى داود الطيالسى ما يقتضى أنّ مجىء جبريل لرسول الله عليهما الصلاة والسلام فى حراء كان فى آخر شهر رمضان . قال الحافظ : ولعله الراجح .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة[3] .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٥ ص ٩٩ (ط المصرية)

(٢) الروض الأنف ١٦١/١ . (ط الجمالية) .

(٣) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وسنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٤ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد : بعثه الله تعالى على رأس الأربعين وهى سن الكمال . قيل : ولها تُبعث الرسل . وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون فهذا لا يُعرف به أثر متصل يجب المصير إليه[1] . انتهى .

والأمر كما قال ، فإن ذلك يُروى عن وهب بن منبِّه قال : إن النصارى تزعم . فذكر الحديث إلى أن قال : وأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رواه الحاكم . وفى سنده عبد المنعم بن إدريس كذَّبوه ، ولو صح سنده فإنه عن النصارى كما ترى . وعن[2] الحسن رواه ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشْر وهو كذَّاب يضع[3] ، لكنه قال ابن أربع وثلاثين .

ورواه الحاكم عن سعيد بن المسيّب وفى سنده على بن زيد وهو ضعيف. ويأتى فى الوفاة النبوية أحاديث صحيحة تدل على أنه رُفع وهو ابن مائة وعشرين سنة .

* * *

الثانى : قال ابن الجوزى : حديث « ما من نبى نُبِّئ إلا بعد الأربعين » موضوع . لأن عيسى عليه الصلاة والسلام نُبِّئ ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاشتراط الأربعين فى حق الأنبياء ليس بشىء . انتهى .

وما ذكره فى قَدْر عمر عيسى لما رفع يردُّه ما سبق عن ابن القيم وسيأتى فى أبواب الوفاة حديث عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه لفاطمة إن جبريل كان يُعَارضنى القرآن فى كل عام مرة ، وإنه عارضنى بالقرآن العام مرتين

---

(١) زاد المعاد ١٨/١ (ط الحسينية) .

(٢) أى ويروى عن الحسن أيضا .

(٣) اسحق بن بشر بن مقاتل ، أبو يعقوب الكاهلى الكوفى ، قال مطين : ما سمعت أبا بكر بن أبى شيبة كذب أحدا إلا إسحق بن بشر الكاهلى . وقال الفلاس : متروك . قال الدارقطنى : هو فى عداد من يضع الحديث . انظر ميزان الاعتدال ١٨٦/١ (تحقيق البجاوى)

وأخبرنى أنه لم يكن نبى إلا عاش نصف عمر الذى كان قبله وأخبرنى أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أرانى إلا ذاهبا على رأس الستين . رواه الطبرانى ورجاله ثقات وله طرق تأتى فى الوفاة .

* * *

والمشهور عند الجمهور كما قال الحافظان ابن كثير وابن حَجَر أنه صلى الله عليه وسلم بُعث فى شهر رمضان[1]. وصححه الإمام علاء الدين على بن محمد الخازن. زاد الحافظ : لِمَا تقدم أنه الشهر الذى جاء فيه إلى حراء فجاءه الملك .

وعكس ابن القيم فقال فى زاد المعاد : قيل إنه بعث لثمان مضين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل . وهذا قول الأكثرين .

ثم حكى أنه كان فى رمضان .

وجمع بعضهم بين القولين بأنه صلى الله عليه وسلم نبِّئ بالرؤيا فى شهر مولده ثم كانت مدتها ستة أشهر ثم أوحى إليه فى اليقظة . ولهذا مزيد بيان فى التنبيه السابع من الباب الثامن .

* * *

وكان ذلك[2] يوم الاثنين .

وروى مسلم عن أبى قتادة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم يوم الاثنين فقال : « ذاك يومٌ ولدتُ فيه وفيه بعثت أو قال أنزل علىّ فيه[3] » .

وروى محمد بن عمر الأَسْلَمِى ، عن أبى جعفر الباقر قال : كان ابتداء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان .

وروى الإمام أحمد وابن جرير والطبرانى والبيهقى فى الشُّعب عن واثلة بن الأَسْقَع رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأُنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان وأُنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأُنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان[4] » .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣٩٢/١ . (٢) أى البعث .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٩٧ . ومسند أحمد ٢٩٧/٥ ، ٢٩٩ .

(٤) مسند أحمد ١٠٧/٤ . وسيرة ابن كثير ٣٩٣/١ .

الباب السادس

فى ابتدائه صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة وسلام الحجَر والشجر عليه ، زاده الله فضلا وشرفًا لديه

قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَق الصبح .

رواه البخارى[1] .

وروى أبو نعيم عن على بن الحسين رضى الله عنه وعن آبائه قال : إن أول ما أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى شيئًا فى المنام إلا كان كما رأى .

وروى أيضاً عن علقمة بن قيس قال إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى[2] .

وروى أيضاً البيهقى عن الزهرى رحمه الله تعالى قال : بلغنا أن أول ما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أراه رؤياً فشقَّ ذلك عليه فذكرها لخديجة فقالت أبْشر فإن الله لن يصنع بك إلا خيرًا[3] .

* * *

وروى ابن سعد عن بَرَّة بنت أبى تِجْراة - بكسر الفوقانية وسكون الجيم - قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبْعَد حتى لا يرى بيتًا ويُفْضى إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمرّ بحجَر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدًا[4] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٣٨٨ . قال ابن كثير : وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه ، وهو كلام حسن ، يؤيد ما قبله ويؤيده ما بعده . والخصائص الكبرى ١/٢٣١ .

(٣) الخصائص الكبرى ١/٢٣١ ، بسياق مطول ، عن البيهقى وأبى نعيم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهرى. هذا ويظهر أن المؤلف كان يعتمد على الخصائص الكبرى للسيوطى فينقل عنها ناسبا الرواية إلى مصدرها .

(٤) طبقات ابن سعد ١/١٥٧ (ط بيروت) .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لَأَعرف حجَرا كان يسلم علىّ قبل أن أُبْعث إنى لأعرفه الآن[1] » .

وقال عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان العلاء بن جارية - بجيم وراء - الثقفى ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تُحْسَر عنه البيوت ويفضى إلى شعاب مكة وأوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهى تحيِّيه بتحية النبوة : السلام عليك يا رسول الله .

رواه ابن إسحاق[2] .

وروى ابن سعد عن هشام بن عروة عن أبيه رحمهما الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا خديجة إنى أرى ضوءاً وأسمع صوتًا لقد خشيت أن أكون كاهنًا . قالت : إن الله تعالى لا يفعل ذلك بك إنك تَصْدق الحديث وتؤدى الأمانة وتصِل الرحم[3] .

وروى ابن الجوزى عن ابن عباس قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة : سبعاً يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثمانى سنين يوحَى إليه[4] .

وقال الخازن : وهذا إن صح فيحمل على سنتين قبل النبوة فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه من تباشير النبوة ، وثلاث سنين بعد النبوة قبل إظهار الدعوة وعشر سنين مُعْلنا بالدعوة بمكة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٢ . ومسند أحمد ٥/٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٥ .
(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٣٤ .
(٣) طبقات ابن سعد ١/١٩٥ (ط بيروت) .
(٤) الوفا ص ١٦٠ .

تنبيهات

الأول: قال السُّهيلي: فى بعض المُسْنَدات أن هذا الحجر الذى كان يسلِّم على النبي صلى الله عليه وسلم هو الحجر الأسود.

وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة ويكون الله تعالى أنطقه إنطاقًا، كما خلَق الحَنِين فى الجِذْع. ولهذا مزيد بيان فى المعجزات.

الثاني: قال القاضى وغيره رحمهم الله تعالى: وإنما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يَفْجأه الملَك ويأتيه بصريح النبوة بَغْتة فلا تحملها القُوى البشرية، فبدئ بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة ومن صدق الرؤيا وماجاء فى الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وتسليم الحجر والشجر عليه بالنبوة حتى استشعر عظيمَ ما يراد به واستعد لما ينتظره فلم يأته الملَك إلا بأمر عنده مقدِّماتُه.

الباب السابع

فيما ذكر أن إسرافيل قُرن به قبل جبريل صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد فى تاريخه بسند صحيح عن عامر الشَّعْبى قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقُرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلِّمه الكلمةَ والشيء ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاثُ سنين قُرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة ، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة[1]

وهذا يقتضى أن إسرافيل قُرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثم جاءه جبريل .

قال الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى : وحديث عائشة ـ أى الآتى فى الباب بعده ـ لا ينافى هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وكِل به إسرافيل فى تلك المدة التى كان يخلو فيها بحراء فكان يُلْقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجًا وتمرينًا ، إلى أن جاءه جبريل فعلَّمه بعد ما غَطَّه ثلاث مرات . فحكَتْ عائشةُ ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارًا للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل . انتهى .

وذكر بعض العلماء فى حكمة مجىء إسرافيل إليه أنه الموكَّل بالنفخ فى الصُّور ، والنبى صلى الله عليه وسلم بُعث قُرْب الساعة وكانت بعثتُه من أشراطها ، فبُعث إسرافيل لهذه المناسبة ولم يُبعث إلى نبىّ قبله .

وقد أنكر الواقدى رحمه الله تعالى خبر الشَّعْبى وقال : لم يُقْرَن به من الملائكة إلا جبريل .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٩١ ، والخصائص الكبرى ١/٢٢١ . والوفا ١/١٧٢ . وقال ابن سعد بعد أن أورد هذا الخبر : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر ـ يريد الواقدى ـ فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدتنا أن إسرافيل قرن بالنبى صلى الله عليه وسلم . . لم يقرن به غير جبريل .

قال الحافظ : ولا يخفى ما فيه ، فإن المثبِت مقدَّم على النافى إلا إن صَحِب النافى دليلُ نفيه فيقدَّم . انتهى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى فتاويه : فد ورد ما يُوهى أثرَ الشَّعْبى ، وهو ما رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : بَيْنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضًا من السماء من فوق فرفع جبريلُ بصَره إلى السماء فقال : يا محمد هذا ملَك فد نزل لم ينزل إلى الأرض قط . قال فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : أبشر بنورَين أُوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفًا منها إلا أُوتيتَه[1] .

قال جماعة من العلماء إن هذا الملك إسرافيل . انتهى كلام الشيخ .

وروى الطبرانى والبيهقى فى الزهد بسند حسن عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريلُ على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجبريل والذى بعثك بالحق ما أمسَى لآل محمد سَفَّة دقيق ولا كَفٌّ من سَوِيق، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هَدَّة من السماء أفزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمر اللهُ القيامة أن تقوم ؟ فقال : لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حتى يسمع كلامك فأتاه إسرافيل فقال : إن الله تعالى بعثنى إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرنى أن أعرض إليك أسيِّر معك جبال تهامة زمرداً وياقوتًا وذهبًا وفضة . فقلت : فإن شئت نبيًا مَلِكا وإن شئت نبيًا عبداً ؟ فأومأ إليه جبريل : أن تواضعْ . فقال بل نبيًّا عبدًا . ثلاثا .

ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصراً من حديث أبى هريرة ولفظه : جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له جبريل : هذا الملك ما نزل منذ خُلق قبلَ الساعة . وذكر الحديث .

فظهر أن المعتمد ما مشَى عليه الواقدى رحمه الله تعالى .

---

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين حديث رقم ٢٥٤ .

الباب الثامن

فى كيفية بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ورد ذلك من حديث : خديجة رضى الله تعالى عنها . رواه البيهقى .

وعائشة رضى الله تعالى عنها . رواه الشيخان .

وعُبَيْد بن عمير الليثى . رواه ابن إسحاق . وابن الجوزى فى الوفا .

وسعيد بن المسيّب . رواه موسى بن عقبة .

وسليمان بن طرخان التيمى . رواه أبو نعيم وابن عساكر .

وعمرو بن شُرَحْبيل . رواه البيهقى وأبو نعيم .

وابن شهاب . رواه أبو نعيم والبيهقى .

وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رواه الدُّولابى :

أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة – وفى رواية : الصادقة – فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَق الصبح، فرأى وهو بمكة أن آتٍ أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا : هو هو ولم يَأْنِ له بعدُ . فهالَه ذلك وذكره لعمه فقال : يا بن أخى ليس بشىء ، حلمْتَ . ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بى الرجلُ الذى ذكرتُ لك فأدخل يده فى جوفى حتى أجدَ بَرْدَها . فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبَّب بمكة فحدَّثه حديثه وقال عالجْه فصوَّب به وصعَّد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه وقال : ياعبد مناف ابنك هذا طَبِّب طيب ، للخير فيه علامات ، إن ظفرتْ به يهودُ قتلَتْه ، وليس الرَّئِىّ[1] من الشيطان ولكنه من النَّوَاميس الذين يتحسَّسون القلوب للنبوة . فرجع به .

---

(١) ط : وليس الرؤيا .

الباب التاسع

فى كيفية إنزال الوحى ٣٣٨

الباب العاشر

فى شدة الوحى وثقله ٣٤٤

الباب الحادى عشر

فى أنواع الوحى ٣٥٢

الباب الثانى عشر

فى فترة الوحى وتشريف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة بعد النبوة ٣٦١

الباب الثالث عشر

فى معنى الوحى والنبى والرسول والنبوة والرسالة... ٣٧٠

الباب الرابع عشر

فى مثله ومثل ما بعثه الله تعالى به من الهدى ... ٣٧٣

الباب الخامس عشر

فى مثله ومثل الأنبياء من قبله ٣٨٩

الباب السادس عشر

فى الوقت الذى كتب فيه نبينا صلى الله عليه وسلم ٣٩١

الباب السابع عشر

فى إعلام الوحش برسالته صلى الله عليه وسلم ... ٣٩٢

الباب الثامن عشر

فى شهادة الرضيع والأبكم برسالته صلى الله عليه وسلم... ... ... ٣٩٣

جماع أبواب بعض الأمور الكائنة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم٣٩٥

الباب الأول

فى تعليم جبريل النبى صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة ٣٩٧

الباب الثانى

فى إسلام خديجة بنت خويلد ، وعلى بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة ، وأبى بكر الصديق ، رضى الله تعالى عنهم واختلاف الناس فيمن أسلم أولا ٤٠٢

الباب الثالث

فى ذكر متقدمى الإسلام من الصحابة – رضى الله تعالى عنهم – تقدم على وزيد ابن حارثة ٤٠٩

الباب الرابع

فى قصة إسلام أبى ذر وأخيه أنيس رضى الله تعالى عنهما ٤٢١

الباب الخامس

فى سبب دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم واستخفاء المسلمين حال عبادتهم ربهم تبارك وتعالى... ... ... ٤٢٨

الباب السادس

فى أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بإظهار الإسلام ٤٣١

الباب السابع

فى مشى قريش إلى أبى طالب ليكف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٣٦

الباب الثامن

فى إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه... ٤٤٣

الباب التاسع

فى إرسال قريش عتبة بن أبى ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه أشياء ليكف عنهم ٤٤٧

الباب العاشر

فى أسئلة المشركين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد لا على وجه الهدى والرشاد... ... ٤٥١

الباب الحادى عشر

فى امتحانهم إياه بأشياء لا يعرفها إلا نبى ... ٤٦٠

الباب الثانى عشر

فى سبب نزول قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا»... ٤٦٨

الباب الثالث عشر

فى اعتراف أبى جهل وغيره بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٧٠

الباب الرابع عشر

فى تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن والآيات التى أنزلت فيه ٤٧٢

الباب الخامس عشر

فى عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة... ... ... ٤٧٦

الباب السادس عشر

فى الهجرة الأولى إلى الحبشة وسبب رجوع من هاجر إليها من المسلمين ٤٨٥

الباب السابع عشر

فى إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... ٤٩٣

الباب الثامن عشر

فى دخول بنى هاشم وبنى المطلب بنى عبد مناف الشعب وكتابة قريش الصحيفة الظالمة... ... ٥٠٢

الباب التاسع عشر

فى رجوع القادمين من الحبشة إليها والهجرة الثانية ٥١٧

الباب العشرون

فى إرادة أبى بكر رضى الله عنه الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة ٥٣٩

الباب الحادى والعشرون

فى نقض الصحيفة الظالمة ٥٤٣

الباب الثانى والعشرون

فى إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه ٥٤٨

الباب الثالث والعشرون

فى قصتى الإراشى والزبيدى اللذين ابتاع أبو جهل إبلهما ٥٥١

الباب الرابع والعشرون

فى وفد النصارى الذين أسلموا ٥٥٤

الباب الخامس والعشرون

فى سبب نزول أول سورة « عبس » ٥٥٦

الباب السادس والعشرون

فى سبب نزول « قل يأيها الكافرون » ... ٥٥٩

الباب السابع والعشرون

فى سبب نزول « أول سورة الروم »... ... ٥٦٠

الباب الثامن والعشرون

فى وفاة أبى طالب ومشى قريش إليه ليكف عنهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم ٥٦٣

الباب التاسع والعشرون

فى وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها ٥٧١

الباب الثلاثون

فى بعض ما لاقاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قريش بعد موت أبى طالب... ... ٥٧٢

الباب الحادى والثلاثون

فى سفر النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف... ٥٧٦

الباب الثانى والثلاثون

فى إسلام الجن... ... ... ٥٨٣

الباب الثالث والثلاثون

فى عرض النبى صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على القبائل ليؤووه وينصروه ودعائه الناس إلى التوحيد ٥٩٣

الباب الرابع والثلاثون

فى خبر بعض المستهزئين برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكيف كان هلاكهم ٦٠٥

مطابع الأهرام بكورنيش النيل